

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

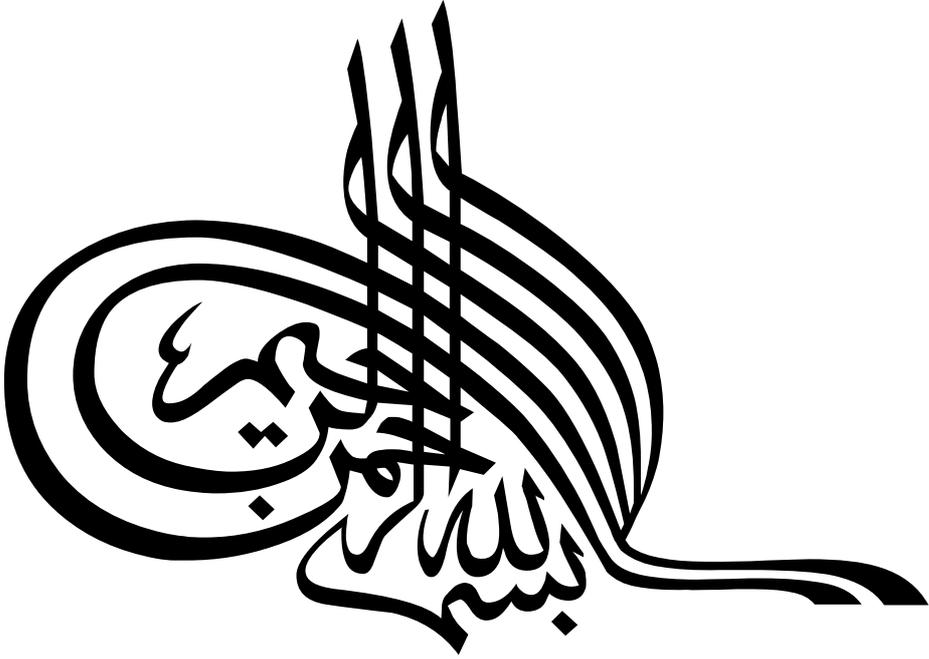
إعداد الطالبة

نعيمة عبد الله البرش

إشراف الدكتور

رياض محمود قاسم

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
(الذاريات آية ٢١).

وقال تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنْ اتَّقَى ﴾ (النجم آية ٣٢) .

ويقول الرسول ٣ : (اللهم آت نفسي تقواها
وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)^(١) .

(^١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم
يعمل، ح رقم ٤٨٩٩ .

إهداء

- * إلى روح والدي الحبيب الذي فارقتنا بجسده وبقيت تعاليمه تحدونا إلى ارتياد كل سلوك فاضل، فعليه رحمة الله .
- * إلى والدتي الحبيبة أطال الله عمرها .
- * إلى زوجي وأولادي الذين وفروا لي من جهودهم وتسامحهم ما مكنتني من إتمام هذا البحث .
- * إلى إخوتي وأخواتي الذين شجعوني على كتابة هذا البحث .
- * إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع .
- * إلى الذين يبحثون بصدق عن السعادة في الدنيا والآخرة .
- * إلى الذين يحرصون على تزكية أنفسهم .
- * إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا .
- وأسأل الله أن يجدوا فيه ما يصل بهم إلى نفسٍ مطمئنة راضية مرضية تقع موضع الخطاب الإلهي الذي صورته الآية القرآنية في قوله تعالى :
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ (الفجر آية ٧-٩) .

شكر وتقدير

إن أقل ما يمليه الواجب كلمة شكر وتقدير لمن كان لهم الفضل في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، فاعترافاً بالفضل لأهل الفضل، ومن باب قوله ٣ : (من لم يشكر الناس لا يشكر الله) ^(١) أتقدم أولاً بالشكر الجزيل إلى الله - تعالى - الذي وفقني لإتمام هذا العمل، ثم أشكر الدكتور رياض محمود قاسم -حفظه الله تعالى- الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، فله مني كل الاحترام والتقدير والإجلال، فكان النور الهادي لسفينة الأمان طيلة هذه الفترة جاد عليّ بإرشاداته السديدة، ونصائحه المفيدة، فجزاه الله - تعالى - كل خير، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريمين عضوي لجنة المناقشة.

فضيلة الدكتور: وليد محمد العامودي حفظه الله تعالى.

فضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله تعالى.

حيث تشرفت بقبولهما مناقشة هذه الرسالة وأسجل شكري وتقديري لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من مشرفي مكنتبات الجامعة الإسلامية، ومكتبة الصديق في مدينة جباليا، والشكر موصول للزوج والأولاد الذين شاركوني في إنجاز هذا العمل، وسلسلة الخيرين الذين قدموا لي كل خير، فلهم مني كل شكر وتقدير وامتنان .

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى القائمين على الجامعة الإسلامية وجهودهم المتواصلة للمحافظة على هذا الصرح العلمي الشامخ، كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كلية أصول الدين ممثلة بعميدها الدكتور نسيم ياسين ونائبه الدكتور رياض قاسم .

(1) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح رقم ١٩٥٤، ص ٤٤٥.

ملخص الرسالة (آفات النفس كما يصورها القرآن الكريم)

شملت هذه الرسالة تمهيداً وأربعة فصول :

أما التمهيد : ويشمل :

بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفس، وربط هذه المعاني، ثم الخروج بمصطلح

لآفات النفس يجمع بين اللغة والاصطلاح .

وأما الفصل الأول : أضواء على النفس الإنسانية : فقد تناولت الباحثة فيه مفهوم النفس، وأهمية معرفتها وحقيقتها، وعلاقتها بالروح والقلب والجسد في ضوء القرآن الكريم .

وتحدثت الباحثة في هذا الفصل عن أنواع النفس، وعناية علماء الإسلام بها، ثم

تحدثت عن الإعجاز النفسي في القرآن، وأثر القرآن في الأمن النفسي .

وأما الفصل الثاني : فقد تناولت فيه الباحثة صفات النفس الإنسانية وقضية جدالها وكسبها للخير والشر وجزائها .

وأما الفصل الثالث : فقد تناولت فيه الباحثة أهم الآفات والأمراض التي قد تصيب النفس الإنسانية .

وأما الفصل الرابع : فقد تناولت الباحثة في هذا الفصل القاعدة النفسية في التغيير، وكيفية التغيير وحقيقته من خلال آيات القرآن الكريم .

الخاتمة : وقد ساقَت الباحثة في خاتمتها أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها .

ABSTRACT

Self pestes as the Holy Quran portrays

This letter includes a preface and four chapters. The preface includes the linguistic and terminological to the self link these meanings and then getting out idiom of self pestes that combines language and terminology.

Chapter I: Focus on the human spirit:

The researcher has addressed the concept of self and the importance of its knowledge and reality and its relationship to the heart, soul and its body in the light of the Holy Quran.

The researcher also talks about kinds of self and how the Islamic Scientists care, Also, she talks about psychological miraculous in the Holy Quran and the effect of Quran on human safety.

Chapter II: The researcher talks about the characteristics of human self and how it does good or evil and its reward.

Chapter III: The researcher talks about the pestes and diseases that attack the people.

Chapter IV: The change from the Holy Quran inspiration: The researcher talks about the psychological rule in change and how we can change and what it is through the verses of the Holy Quran.

Conclusion: The researcher talked about the most important results and recommendations that she extracted.

المقدمة

الحمد لله نعمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النعمة المسداة والرحمة المهداة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه وسنته إلى يوم الدين .
أما بعد :

فإن القرآن الكريم هو الشفاء التام من جميع الأدواء النفسية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، فما من مرض من أمراض الأبدان أو النفوس الإنسانية، إلا في القرآن شفاء منه، فيه الهداية والتوجيه والإرشاد والحكمة والموعظة الحسنة والصلاح والإصلاح للنفس البشرية، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء آية ٨٢). وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس آية ٥٧).

وترجع عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية إلى أن الإنسان ذاته هو المقصود بالهداية والإرشاد والتوجيه والإصلاح فإذا أريد له أن يصل إلى ما له وما عليه فلا بد أن يستكشف نفسه لتتضح له سائر جوانبها ونوازعها حتى يكون على بصيرة منها، وعلى مقدره من ضبط وتقويم سلوكها.

فالنفس الإنسانية بالمعنى القرآني تحمل قوى الخير والشر لكن الإنسان إلى الخير أميل، فيمكن أن يتبع الإنسان الخير والحق والرشد، كما يمكن أن يقع في الباطل والغواية والإفساد.

وانطلاقاً من الإيمان الكبير بما للقرآن الكريم من الأثر العظيم على النفس البشرية، وتحقيق الهداية والرشاد لهذا الإنسان كان الدافع للخوض في النفس البشرية، ومحاولة دراستها في ضوء القرآن الكريم .

أسباب اختيار الموضوع :

- (١) تعلق موضوع البحث بالقرآن، وهو أشرف كتاب على وجه الأرض.
- (٢) كون النفس تعد من الموضوعات المهمة الجديرة بالدراسة والبحث والاستقصاء.
- (٣) بيان أسرار ومعاني النفس الإنسانية وعناية القرآن بها .
- (٤) تسليط الضوء على طبيعة النفس الإنسانية وآفاتها وعلاجها من خلال آيات القرآن الكريم.

٥) الرغبة الإيمانية في التبحر في كتاب الله والمساهمة في دراسة موضوعاته دراسة تفسيرية موضوعية .

أهداف البحث :

- ١) التعرف على الآيات القرآنية التي تناولت الموضوع.
- ٢) التطبيق العملي للتفسير الموضوعي.
- ٣) بيان أهمية معرفة النفس الإنسانية وحقيقتها.
- ٤) دراسة النفس من المنظور الإسلامي الأصيل وإعطاء الصورة المشرقة لها.
- ٥) تقديم دراسة موضوعية شاملة عن النفس وآفات وعلاجها.
- ٦) المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية، وخدمة طلبة العلم بإضافة بحث جديد في التفسير الموضوعي.

الدراسات السابقة :

لا شك أن كتب القدماء والمحدثين تناولت الموضوع ولكن بعد البحث والاطلاع على ما كتب حول الموضوع في المكتبات والمواقع لم أعتز على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع كدراسة تفسيرية موضوعية مستقلة متخصصة ومحكمة ولكني وقفت على كتب عدة تحدثت عن مفهوم النفس بصفة عامة ونواح جزئية أخرى، أما هذا البحث فتناولت فيه موضوع آفات النفس الإنسانية كما يصورها القرآن، وكيفية علاجها وذلك في إطار دراسة تفسيرية موضوعية محكمة، وبعد مطالعة دليل الرسائل العلمية الذي أصدره مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية لم أجد أي رسالة علمية كتبت في هذا الموضوع، وقد أرسلوا لي كتاباً مفاده أن الرسالة لم يكتب فيها من قبل.

منهج الباحثة :

- ١) جمعت كل ما يتعلق بالنفس من آيات ثم قمت بتقسيمها وتصنيفها حسب موضوعاتها.
- ٢) رجعت إلى أمهات المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع ما أمكن.
- ٣) ركزت على جانب التفسير الموضوعي وربطت الموضوعات المتعلقة بالنفس مع بعضها بعضاً.
- ٤) قمت بالاستدلال بالآيات وعزوتها إلى سورها .

- (٥) تتبعت تفسير غالب هذه الآيات من كتب التفسير القديمة كتفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير الألوسي، كما استعنت ببعض التفاسير الحديثة مثل تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وتفسير الكريم الرحمن للسعدي.
- (٦) قمت بالاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة التي تخدم البحث من كتب الصحاح والسنن وركزت على صحيح البخاري وصحيح مسلم.
- (٧) رجعت إلى المعاجم اللغوية من أجل الوقوف على معاني المفردات الغريبة.
- (٨) قمت بتوثيق المعلومات المتعلقة بالبحث من مصادرها الأصلية .
- (٩) قمت بالترجمة للأعلام غير المشهورين الذين ورد ذكرهم في الرسالة.
- (١٠) أسندت كل قول من الأقوال المقتبسة إلى أصحابها وذلك في مواضع الاقتباس وقمت بتوثيقها حسب الأصول.
- (١١) أفدت من كتب علم النفس القديمة والحديثة بما يتناسب ويتلاءم مع الدراسة.
- (١٢) قمت بربط النتائج والتوجيهات القرآنية بالواقع العملي في ضوء التغيير الدائم والمستمر في الحياة .

خطة البحث :

وقد شملت مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس .
المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث، الدراسات السابقة، منهج الباحثة، هيكلية البحث.

التمهيد

آفات النفس بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : معنى آفات النفس لغة واصطلاحاً

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى الآفة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني : معنى النفس لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث : آفات النفس اصطلاحاً .

المبحث الثاني : لفظة النفس واستعمالاتها في السياق القرآني

ويشمل أربعة مطالب :

المطلب الأول : ورود النفس في القرآن الكريم .

- المطلب الثاني : النفس في الآيات المكية .
- المطلب الثالث : النفس في الآيات المدنية .
- المطلب الرابع : الحكمة من كثرة ورود لفظة النفس في القرآن .

الفصل الأول

النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم النفس في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : وجوه النفس في القرآن الكريم .
- المطلب الثاني : معرفة الإنسان حقيقة نفسه في ضوء القرآن الكريم .
- المطلب الثالث : علاقة النفس بالقلب والعقل والجسد والروح في ضوء القرآن الكريم .

المبحث الثاني : معالم النفس في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : أنواع النفس البشرية .
- المطلب الثاني : النفس البشرية عند الفلاسفة .
- المطلب الثالث : عناية علماء الإسلام بالنفس البشرية .

المبحث الثالث : الإعجاز النفسي في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب :

- المطلب الأول : آيات الله في الأنفس .
- المطلب الثاني : أثر القرآن في الأمن النفسي .
- المطلب الثالث : وجوه إعجاز القرآن في حديثه عن النفس .
- المطلب الرابع : أثر سماع القرآن في النفس .

الفصل الثاني

صفات النفس الإنسانية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : كسب النفس للخير والشر وجدالها وجزاؤها

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : كسب النفس للخير والشر .

المطلب الثاني : جدال النفس .

المطلب الثالث : جزاء النفس .

المبحث الثاني : صفات النفس الإنسانية

الفصل الثالث

آفات النفس وأثارها في القرآن الكريم

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : آفة الاستكبار

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الاستكبار .

المطلب الثاني : أسباب الاستكبار .

المطلب الثالث : صفات المستكبر والأعمال التي تعد من الاستكبار .

المطلب الرابع : أثر الاستكبار على النفس البشرية.

المبحث الثاني : آفة الهوى

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الهوى .

المطلب الثاني : أسباب الهوى .

المطلب الثالث : أثر الهوى على النفس البشرية .

المبحث الثالث : آفة العُجب

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف العُجب .

المطلب الثاني : أسباب العُجب .

المطلب الثالث : مظاهر العُجب .

المطلب الرابع : من أقوال السلف في ذم العُجب .

المطلب الخامس : أثر العُجب على النفس البشرية.

المبحث الرابع : آفة الخوف

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الخوف .

المطلب الثاني : أقسام الخوف .

المطلب الثالث : أسباب الخوف .

المطلب الرابع : أثر الخوف .

المبحث الخامس : آفة الحسد

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الحسد .

المطلب الثاني : أسباب الحسد .

المطلب الثالث : أثر الحسد على النفس البشرية .

المبحث السادس : آفة الغرور

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الغرور .

المطلب الثاني : أصناف المغترين .

المطلب الثالث : مظاهر الغرور .

المطلب الرابع : أثر الغرور على النفس البشرية .

المبحث السابع : آفة الرياء

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الرياء .

المطلب الثاني : أسباب الرياء .

المطلب الثالث : أنواع الرياء .

المطلب الرابع : أثر الرياء على النفس البشرية .

المبحث الثامن : آفة العجلة

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف العجلة .

المطلب الثاني : حقيقة العجلة .

المطلب الثالث : أسباب العجلة .

المطلب الرابع : أثر العجلة على النفس البشرية .

المبحث التاسع : آفة الغضب

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الغضب.

المطلب الثاني : حقيقة الغضب .

المطلب الثالث : أسباب الغضب.

المطلب الرابع : أثر الغضب على النفس البشرية.

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في تزكية النفس البشرية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التربية الإيمانية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : اعتماد المنهج القرآني على الوقاية .

المطلب الثاني : الترغيب والترهيب .

المطلب الثالث : تجديد النفس بالتوبة .

المطلب الرابع : تربية عواطف المحبة والخوف والرجاء.

المبحث الثاني : ضبط الشهوات والاندفاعات النفسية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تهذيب النفس بالعبودية لله تعالى .

المطلب الثاني : الجهاد في سبيل الله تعالى.

المطلب الثالث : محاسبة النفس وتذكر عيوبها.

المبحث الثالث : التغيير من وحي القرءان الكريم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : قاعدة القرآن الكريم في التغيير النفسي.

المطلب الثاني : كيفية التغيير.

التمهيد

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : آفات النفس بين الاستعمالات اللغوية
والقرآنية.

المبحث الثاني : لفظة النفس في السياق القرآني.

المبحث الأول

آفات النفس بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

آفات النفس لغة واصطلاحاً:

تعريف الآفة لغة: "عرض مفسد لما أصاب من شيء، والجمع آفات، ويقال: آفة العلم النسيان" (١) "وإذا دخلت الآفة على قوم قيل قد إفوا ويقال في اللغة، قد إفوا" (٢).
الآفة اصطلاحاً: العاهة.

(عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ t قَالَ كَانَ النَّاسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ r يَتَّبِعُونَ الثَّمَرَ فَإِذَا جَذَّ النَّاسُ وَحَضَرَ تَقَاضِيهِمْ قَالَ الْمُتَبَاعُ إِنَّهُ أَصَابَ الثَّمَرَ الدُّمَانُ أَصَابَهُ مُرَاضٌ أَصَابَهُ قَشَامٌ عَاهَاتٌ يَحْتَجُونَ بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ e لَمَّا كَثُرَتْ عِنْدَهُ الْخُصُومَةُ فِي ذَلِكَ (فَأِمَّا لاً) (٣) فَلَا تَتَّبَاعُوا حَتَّى يَبْدُوَ صَلاَحُ الثَّمْرِ كَالْمَشُورَةِ يُشِيرُ بِهَا لِكثْرَةِ خُصُومَتِهِمْ) (٤).

قال ابن حجر: "قوله (عاهات) جمع عاهة والعاهة العيب والآفة، والمراد هنا ما يصيب الثمر مما ذكر" (٥).

النفس لغة: ورد لكلمة النفس في اللغة العربية كثير من المعاني، بعضها له صلة بموضوعنا وهو الحديث عن النفس الإنسانية التي تكون الشخصية وتؤثر في سلوكها، وبعضها الآخر بعيد عن موضوعنا، وسوف نذكر هنا بعضاً من هذه المعاني.

أولاً: النفس بمعنى الروح يُقال: "خرجت نفس فلان أي روحه" (٦) ومنه قوله تعالى:
﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ (الأنعام آية ٩٣).

ثانياً: النفس بمعنى "حقيقة الشيء وجملته" يُقال: قتل فلان نفسه أي ذاته وجملته،
ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران آية ١٨٥) ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾

(١) العين، عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٨، ص ٤١٠.

(٢) الكلبيات، أبوالبقاء أيوب بن حسن موسى الحسيني الكفوشي، ص ١٥٥، انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ج ١، ص ٢٩.

(٣) (أصلها إن شرطية وما زائدة فأدغمت) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص ٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، ح رقم ٢١٩٣، ج ٧، ص ٤٥٢.

(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ج ٤، ص ٣٩٤.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ج ٢، ص ٢٦٤، عمدة الحفاظ، أبو العباس شهاب الدين ص ٥٨٧، لسان

العرب ابن منظور _ مادة (نفس) _ ج ٦، ص ٢٨٨.

(آل عمران آية ٢٨) أي ذاته المقدسة والنفس هنا بمعنى العقوبة، والنفس هنا بمعنى العقوبة (١)
ثالثاً : النفس "الحسد، والعين يقال أصابته نفس أي عين". (٢)

رابعاً: "النفس بمعنى الدم، وإنما سمي الدم نفساً لأن النفس تخرج بخروجه" (٣)
خامساً : النفس ما يكون به التمييز، والعرب قد تجعل النفس التي يكون بها التمييز نفسين، وذلك أن النفس قد تأمره بالشيء وتنتهي عنه، وذلك عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نفساً، وجعلوا التي تنهيه كأنها نفس أخرى. (٤)

وجمع النفس أنفس، ونفوس، أما النفس فهو خروج الهواء ودخوله من الأنف والشم وجمعه أنفاس، وهو كالغذاء للنفس لأن بانقطاعه بطلانها. (٥)

النفس اصطلاحاً : وقد وردت (النفس) في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وتعددت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها، ومن هذه المعاني :

أولاً: النفس بمعنى الروح :

ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ (البقرة آية ٤٤) أي تنكرون، ويقال خرجت نفسه، خرجت روحه، والدليل على أن النفس هي الروح قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزمر آية ٤٢) يريد الأرواح. (٦)

ومنه قوله تعالى: ﴿أُخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الأنعام آية ٩٣) وذلك أن الكافر إذا حضرت وفاته تتفرق روحه في جسده فتخرجها الملائكة وتنتزعها بشدة ويقال لأصحابها أخرجوا أنفسكم أي أرواحكم، توبيخاً وزجراً. (٧)

ثانياً: النفس بمعنى الإنسان، أي الشخصية البشرية بكامل هيئتها .

وهي الإنسان بكامل دمه ولحمه وشخصيته، وهذا كثير وغالب في القرآن .
فمن ذلك الآيات التالية: قال الله تعالى مخاطباً الناس عامة وبني إسرائيل خاصة بأن يحذروا يوم الحساب ويعملوا صالحاً، وأن الإنسان يأتي ربه في ذلك اليوم فرداً ولا تتفعه شفاعة الشافعين:

(١) انظر: عمدة الحفاظ، ص ٥٨٧، والكليات ص ١٥٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ج ٥، ص ٩٧.

(٣) بصائر ذوي التمييز، ج ٥، ص ٩٧.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (نفس)، ج ٦، ص ٢٨٣.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٥٥٧.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١، ص ٢٥٠.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٢، ص ٢٣٤.

﴿ وَتَقْوَا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٍ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة آية ٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَلًّا ﴾ (آل عمران آية ١٤٥).^(١)

وقد شاع استعمال النفس في الإنسان خاصة حيث تطلق ويراد فيها : هذا المركب والجملة المشتملة على الجسم والروح .^(٢)

ثالثاً : النفس بمعنى القوى المفكرة في الإنسان (العقل)

ومنه قوله تعالى: ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (المائدة آية ١١٦).
النفس تطلق على العقل وما به الإنسان، وهي الروح الإنساني، وتطلق على الذات والمعنى هنا: تعلم ما أعتقد، أي تعلم ما أعلمه؛ لأن النفس عقر العلوم والمعارف، وإضافة النفس إلى اسم الجلالة هنا بمعنى العلم الذي لا يطلع عليه غيره، أي: ولا تعلم ما أعلمه، أي : انفردت بعلمه.^(٣)

رابعاً : النفس بمعنى قوى الخير والشر في الإنسان، لها صفات وخصائص كثيرة منها، القدرة على إدراك الخير والشر، والتمييز بينهما، والاستعداد لهما .

قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (الشمس آية ٧-٨) وقال U : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد آية ١٠) أي بينا له الطريقين، طريق الخير وطريق الشر.

وهناك إلى جانب الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، فمن استخدم هذه القوة في الخير وغلبها على الشر.. فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وجناها وأضعفها فقد خاب ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس آية ٩ - ١٠)^(٤).

تعريف النفس عند العلماء المعاصرين :

أولاً: "النفس هي همزة الوصل بين الروح والجسد، إنها حركة المادة ودونها لا حياة في هذه المادة، ولا نقصد هنا بكلمة (لا حياة) الموت التام، بل نقصد فقط نقص الفعالية الحركية الهادفة والموجهة؛ إذ من دون النفس يبقى الجسد حياً، ولكن حياته غير منظمة، يختل معها عمله السلوكي والحركي والعقلي، أي يصبح مضطرباً نفسياً".^(١)

(١) انظر: علم نفس الدعوة، الدكتور محمد زين الهادي، ص ٢٥.

(٢) الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور محمد حمدي زقروق، ص ١٤٠٩.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج٧، ص ١١٥.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٦، ص ٣٩١٧ .

(١) خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن، وليد عبد الله زريق، ص ١٩.

ثانياً: النفس هي جوهر الإنسان، ومحرك أوجه نشاطه المختلفة إدراكية أو حركية أو فكرية أو انفعالية أو أخلاقية سواء أكان ذلك على مستوى الواقع أو مستوى الفهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلها وتبادلها التأثير المستمر والتأثر، مكونين معاً وحدة متميزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تميز الفرد عن غيره من الناس، وتؤدي به إلى توافقه الخاص في حياته.^(٢)

من خلال وقوف الباحثة على المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (آفات - النفس) تستطيع أن تعرف مصطلح آفات النفس كما يلي :

آفات النفس اصطلاحاً : هي الانحرافات السلوكية التي تعتري الشخصية السوية فيختل معها تصورها، وفكرها، وعملها السلوكي والحركي والعقلي والاجتماعي وتنحرف بها بعيداً عن منهج الحياة المستقيمة الذي وضعه الله تعالى لعباده.

(٢) أصول علم النفس الحديث، الدكتور فرج عبد القادر طه ص ١٢-١٣.

المبحث الثاني

لفظة النفس في السياق القرآني

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : ورود النفس في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : النفس في السور المكية .

المطلب الثالث : النفس في السور المدنية .

المطلب الرابع : الحكمة من كثرة ورود لفظة النفس

في القرآن .

المطلب الأول

ورود النفس في القرآن الكريم

وردت لفظة النفس في القرآن الكريم، بكل مشتقاتها مكررة وبصيغ متفاوتة، مائتين وبضعاً وتسعين مرة في ثلاث وستين سورة في القرآن، وأحياناً ترد لفظة النفس في القرآن أكثر من مرة في آية واحدة ومنه قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة آية ٣٢) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ (النحل آية ١٦) (١).

"وقد وردت كلمة النفس في القرآن الكريم اثنتين وسبعين مرة، مفردة أو مضافة أو معرفة، أو منكرة، إضافة إلى ثلاثة مواضع وردت فيها النفس موصوفة بأوصاف معينة، يفهم منها مراتب أو درجات النفس، هي النفس الأمانة بالسوء، النفس اللوامة، النفس المطمئنة" (٢) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾

(الفجر آية ٢٧) وقال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ (القيامة آية ٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف آية ٥٣) وقد ذكرت لفظة النفس بصيغة الجمع ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير آية ٧) وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة آية ١٥٥).

ترى الباحثة من خلال الوقوف على آيات القرآن الكريم التي ذكرت النفس أن القرآن أطلق هذه اللفظة على شيء داخل الإنسان، وهذا الشيء يشتمل على الصفات والخصائص التي تكونت منها ماهيته، وما الهيكل الجسدي إلا وعاء لها، فيه تستقر فتصيب عليه النعوت والإشارات، بيد أن الجوهر هي النفس، فعندما يتوارد الكلام عن الإنسان أو عن ابن آدم، فإنما يرمي في ذلك كله - لو تمعنا ملياً - إلى خصائص النفس وتحيزاتها .

قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي...﴾ (يوسف آية ٥٣) وقال تعالى: ﴿... وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر آية ٩) وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ (النساء آية ٧٩) وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا...﴾ (سورة النمل آية

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (ن،ف،س) ص ٧١٠.

(2) الموسوعة العامة، زقزوق، ص ١٤٠٩.

١٤) وفي هذا إشارة إلى اتساع مدلولات لفظة النفس واشتمال معانيها على أحوال متنوعة تذكر الإنسان بنفسه وآفاتهما، ومعرفة أسباب انحرافها، والعمل على إصلاحها وتربيتها .

المطلب الثاني

النفس في السور المكية

وردت لفظة النفس ومشتقاتها في مائة وبضع وستين آية من خلال ثلاث وأربعين سورة مكية، وفي هذا إشارة واضحة إلى عناية القرآن المكي بالبناء الداخلي للإنسان عبر توجيهه للعناية بجوهره، وتنقية نفسه، وإصلاح داخله، وتثبيت العقيدة في نفسه، ونهيه عن الرذائل والأخلاق السيئة، وقد كان هذا طبيعياً في كتاب مهمته الأولى هي التربية والتوجيه، كتاب يخاطب النفس ويوجهها.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾

(النازعات آية ٤٠) وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت آية ٦)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (الزمر آية ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ ... وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ... ﴾ (لقمان آية ١٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (النجم آية ٣٢)

وترى الباحثة، من خلال وقوفها على الآيات المكية التي ذكرت لفظة النفس، أن نظرة القرآن تؤصل الإيمان الذي يجعل النفس البشرية مطمئنة تؤمن بما قدر الله وتستسلم لقضائه وتحتسب ذلك عنده أجراً مدخراً، فالآيات المكية التي ذكرت النفس تعمل على بناء العقيدة في النفوس وتركيتها وتطهيرها، وربط القلوب بخالقها ومبدعها، إذن لا شك في أن قوة الوازع الديني هي محور الارتكاز ومركز الدائرة وحجر الزاوية الذي تبنى عليه سعادة الأمة وتشديد فوقه صروحها.

هكذا بدأ الرعيل الأول الذين رباهم رسول الله ﷺ تلك الجماعة التي اختارها الله لإنقاذ العالمين ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس ، فتحوا أقطار الدنيا ومكن لهم في الأرض .

المطلب الثالث

النفس في السور المدنية

وردت لفظة النفس ومشتقاتها في مائة وبضع وعشرين آية من خلال عشرين سورة مدنية ذكرت فيها النفس، ومن هنا نقف على السياسة الحكيمة التي سلكها القرآن في تربية النفس الإنسانية، هذه السياسة التي تقوم على التدرج في الأحكام والتكاليف، وعلى البدء

بالأولويات التي تتلاءم مع ما تقتضيه تلك التربية الحكيمة، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَنُتُوبُوا إِلَى بَرَائِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (البقرة آية ٥٤) ، وقوله تعالى: ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ (النساء آية ١٣٥).

وترى الباحثة من خلال وقوفها على الآيات المدنية أنه، بعدما ثبتت العقيدة وصقلت النفوس وطرح السيئ من العادات، أن الناس في حاجة إلى ما ينظم شؤون حياتهم وعلاقاتهم في مناحي الحياة المتعددة فجاءت الآيات المدنية تسلط الضوء على ربط الإيمان بالأمن والطمأنينة والسكينة ، بعد أن كان الاضطراب والخوف والقلق طابعاً ملازماً لها، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد آية ٢٨) وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَؤُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ﴾ (الفتح آية ٤).

وهذا الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق، فلقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً وشعوراً بالتفاهة والضياع المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين، لكن طريق الله لتحقيق سعادة الإنسان وسكينته تلزم بتغيير النفس ومحاسبتها ومراقبتها وتهذيبها وترويضها، حتى تسير في طريق الله تعالى وبذلك تستطيع النفس أن ترتقي وتسمو إلى أعلى، فلهذا أمرنا الله تعالى أن نجاهد ونسير في الطريق لنغير من هذه النفس بالتخلي عن صفاتها المذمومة والتخلي بالصفات المحمودة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد آية ١١).

المطلب الرابع

الحكمة من كثرة ورود لفظة النفس في القرآن الكريم

أولاً: النفس البشرية عالم رحب واسع، ولهذا السبب خص الله النفس بآيات كثيرة .
ثانياً: ولما كانت النفس ذات أبعاد متنوعة ومختلفة، فقد تحدث القرآن عنها وعن مدلولاتها، وخصها بالتفصيل والإسهاب لما لها من قوة ومكانة في الإنسان .
ثالثاً: هذه الآيات الواردة عن النفس بمثابة المعاني التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصائصها المختلفة وفي توجيهه إلى الطريق السليم في تهذيبها وتربيتها.
رابعاً: من الممكن أن نسترشد بما ورد في القرآن من حقائق عن الإنسان وصفاته وأحواله النفسية في تكوين صورة صحيحة عن شخصية الإنسان وعن الدوافع الأساسية التي تحرك سلوكه.

خامساً : نجد أن القرآن الكريم أعطى هذا الجانب عناية كبيرة لما له من أثر في توطين النفس البشرية على الرضا والاستسلام والترقب والعناية، وفق منطق عقدي، جعل له التوجيه الإسلامي قاعدة متينة يرتكز عليها وسنداً قوياً يدعمه ليشد بذلك جوانب النفس حتى لا تتحرف وتزيغ .

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : مفهوم النفس في ضوء القرآن الكريم .
- المبحث الثاني : معالم النفس في القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : الإعجاز النفسي في القرآن الكريم .

المبحث الأول

مفهوم النفس في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معاني النفس في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : معرفة الإنسان حقيقة نفسه في ضوء القرآن الكريم .

المطلب الثالث : علاقة النفس بالقلب والعقل والجسد والروح في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الأول

معاني النفس في القرآن الكريم

رغم أن كلمة (نفس) ومشتقاتها قد وردت في القرآن الكريم بمعان عديدة ذكرت الباحثة شيئاً منها في التمهيد لهذه الرسالة^(١)، إلا أن لهذه الكلمة في القرآن معنيين رئيسين تتفرع عنهما، سائر المعاني الأخرى :

المعنى الأول : النفس بمعنى الإنسان بجوانبه النفسية، والعقلية، والجسمية، والروحية، وهو المعنى الذي يقابل في القرآن الكريم ، الآفاق.

المعنى الثاني : النفس بمعنى الروح التي تسكن هذا الجسم وتوجهه فإذا فارقتة حل به الموت^(٢).

وفيما يلي دلالات لفظة النفس في القرآن الكريم :^(٣)

أولاً : وردت لفظة النفس في الذكر الحكيم بمعنى أن الإنسان كائن حي أصله واحد _ سواسية الخلق _ يتكاثر ويكسب ويشتهي ويغضب ثم يجازى عن عمله أخيراً الجزاء الأوفى، ويتضح هذا المعنى في الآيات الكريمة التالية : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة آية ٤٨) " أي لا يغني أحد عن أحد " ^(٤).

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة آية ٤٥).

﴿ لَا تَكُلْفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا ﴾ (البقرة آية ٢٣٣).

ثانياً : النفس بمعنى الروح التي تدخل في جسم الإنسان، وهو جنين وتخرج إلى بارئها عندما ينتهي الأجل، ويتضح ذلك في الآيات الكريمة التالية :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (الفجر آية ٢٧).

﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ (الأنعام آية ٩٣).

(1) انظر: التمهيد، ص ١-٣.

(2) انظر: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، محمد عز الدين توفيق، المقدمة، ص ٥.

(3) انظر: علم النفس التربوي في الإسلام، د/ شادية أحمد النمل ص ٢٩.

(4) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٣٩.

وفى حديثه عن المنافقين وأموالهم وثوراتهم، وكيف أن الله يريد أن يعذبهم بها في الدنيا بجمعها ورعايتها والنصب عليها، فتكون وبالاً عليهم في الدنيا، وكذا يعذبهم بها في الآخرة، ثم بعد كل هذا العناء عليها يموتون على الكفر، فلم يستفيدوا منها لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة آية ٥٥).^(١)

ثالثاً: النفس بمعنى أصل البشرية، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء آية ١) جاء في تفسير هذه الآية: "أن الأصوليين قد اتفقوا على أن الخطاب عام لجميع المكلفين وهذا هو الأصح لوجوه، منها أنه - تعالى - علل الاتقاء بأنه خالق لهم من نفس واحدة، وهذه العلة عامة لجميع المكلفين وهي نفس آدم عليه السلام"^(٢)

رابعاً: النفس بمعنى الذات الإلهية، ويتضح ذلك في قوله: ﴿...وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران آية ٢٨). "أي ذاته المقدسة"^(٣).

خامساً: النفس بمعنى شخص بعينه، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف آية ٦).

والمقصود هنا شخص سيدنا محمد يخاطبه الله -تعالى- مسلماً له في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه"^(٤).

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَكَفَدَ رَاوِدُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْجَبَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف آية ٣٢).

والمقصود هنا شخص يوسف عليه السلام .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾ (القصص آية ٣٣)

والمقصود هنا الرجل الذي قتله موسى عليه السلام في أرض مصر "يعنى ذلك

القبطي"^(٥).

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٣٥٤ .

(2) التفسير الكبير، الرازي ، ج ٩، ص ١٥٨ .

(3) فتح القدير، الشوكاني ، ج ١، ص ٤٩٤ .

(4) تفسير القرآن العظيم، ج ٣ ، ص ١٥٦

(5) المرجع السابق ، ج ٣، ص ٦٢٢ .

سادساً : النفس بمعنى نية الإنسان وجوهره الداخلي، ويتضح ذلك في قوله تعالى :

﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ (النساء آية ٧٩) .

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (الإسراء آية ٢٥)

"هو الرجل تكون عنده المبادرة إلى أوبئه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به، فقال: ربكم أعلم ما في نفوسكم إن تكونوا صالحين .." (١)

﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد آية ١١) .

سابعا : النفس بمعنى القبيلة والجنس، ويتضح ذلك في قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة آية ١٢٨)

أي منكم وبلغتكم .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(الروم آية ٢١) أي خلق لكم من جنسكم إناثاً يكن لكم أزواجاً، ويعنى بذلك حواء، خلقها الله

من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر . (٢)

ثامناً : النفس بصيغة الجمع لتفيد تبادل الفعل، ويتضح ذلك في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة آية ٥٤) .

أي ليقتل بعضكم بعضاً .

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (النور آية ٦١) ، أي ليسلم بعضكم

على بعض .

تاسعاً: كما وردت اللفظة بمعنى العقل، والقلب، والفؤاد، بما يتوافق مع مصطلح العرب عن

النفس بمعنى العقل، وحيث وصف العرب ذم العقل بالسفه الذي هو من الجهل، حيث يكون

الجهل بخلاف الحلم، وهو العقل، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ

نَفْسَهُ ﴾ (البقرة آية ١٣٠) .

عاشراً: كما وردت بما يدل على فعل القلب من الحسرة وشدة الحزن ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ

عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر آية ٨) أي "إنها مصدر التأثر والحزن

والشعور" (٣) "فلا تهلك نفسك حزناً على الضالين وحسرة عليهم، فليس عليك إلا البلاغ،

(1) تفسير القرآن العظيم، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

(2) انظر : المرجع السابق، ج ٣ ، ص ٦٨٢ .

(3) السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، عبد المجيد أحمد منصور وآخرون، ص ٥٤ .

وليس عليك من هداهم من شيء " (١)

حادي عشر: أيضاً وردت النفس بمعنى الغرض أو الهوى أو الحاجة والرغبة في الشيء (٢)
﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
(يوسف آية ٥٣) أي: إن النفس لأمارة بالسوء ربما احتالت على العقل وعلى الضمير، مستغلة شيئاً من تهاونهما، فحققت أغراضها عن طريق تقديم مبررات مغلوبة لأفعالها، ومن ثم قد يصنع الإنسان عملاً يحسب أنه لا ضير منه في حين تكون نفسه الأمارة بالسوء قد أنفذت غرضها من خلاله " فإنها مركب الشيطان ومنها يدخل على الإنسان " (٣).

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِيهِمْ نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ (يوسف آية ٦٨) أي: بمعنى الحاجة فإنهم " لما ذهبوا ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم، وهو موجب الشفقة والمحبة للأولاد، فحصل له في ذلك نوع طمأنينة وقضاء لما في خاطره " (٤)، وقال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة آية ٣٠) " أي لم يزل يعزم نفسه ويحزمها حتى طوعت له قتل أخيه الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه، فقتله فأصبح من الخاسرين دنياه وآخرته " (٥).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن لمفهوم النفس معنيين رئيسيين في القرآن الكريم، معنى عام يتعلق بالإنسان ككل متكامل من جسم وروح، ومعنى خاص يتعلق بالجزء كالروح.

"هذا ومن الجدير ذكره أن مفهوم (النفس) ورد في السنة النبوية بالمعنى العام الشمولي أيضاً، ويتضح ذلك في قول النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٦) كما ورد بالمعنى الخاص في قوله ﷺ : (ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره، قالوا : بلى، قال: فذلك حين يتبع بصره نفسه) (٧) (٨).

(1) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٥٢.

(2) انظر: علم نفس الدعوة محمد زين الهادي ، ص ٢٦.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٢٣.

(4) المرجع السابق، ص ٤٢٥.

(5) المرجع نفسه ، ص ٢٢٥.

(6) صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ح رقم ١٣، ص ١٧.

(7) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب شخوص بصر الميت يتبع نفسه، ح رقم ٢٠١٦، ص ٤١٩.

(8) علم النفس التربوي، ص ٣٢.

ومن هنا نعلم أن النفس في القرآن الكريم أطلقت على شيء في داخل كيان الإنسان جامع لكثير من الصفات، والخصائص الإنسانية، التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني . ولئن كان هذا الشيء وحقيقته غير معلوم على وجه التحديد لدى الناس، إلا أن كثيراً من صفاته وخصائصه، وآثاره الظاهرة في السلوك مدركة معلومة، موصولة بالشعور الظاهر لدى الإنسان السليم.

فالنفوس البشرية كلها قد خلقت من نفس واحدة، هي نفس الإنسان الأول (آدم)، ثم اشتق الخالق من هذه النفس الواحدة نفس زوجها، ثم بث منهما عن طريق التناسل كل السلالات البشرية المتكاثرة حتى قيام الساعة، وهذا يدل على أن أسس وخصائص النفوس ومكوناتها وعناصرها تشترك في أصول واحدة، فالنفوس هي التي تمنح الحياة وهي التي تموت، وتذوق الموت وهي التي تقتل، وهي التي يتوفاها الله، كل هذه المفاهيم دلت عليها نصوص القرآن الكريم كما ذكر آنفاً .

المطلب الثاني

معرفة الإنسان حقيقة نفسه في ضوء القرآن الكريم

نستدل من المخلوق على الخالق، ونستدل من عظمة المخلوق على قدرة مبدعه، وعندما يصبح لنا هذا الاستدلال يكون إيماننا بعظمة الخالق، وتسليماً بقدرة المبدعة، وقد خلق الله - سبحانه - هذا الكون بما فيه من سماء وأرض، وخلق الإنسان، وخلق له هذه النفس، وقديماً تركزت كل فلسفة الحكيم الإغريقي سقراط حول قضية واحدة عدها قضية القضايا ولخصها في عبارة واحدة صغيرة الحجم كبيرة المعنى، وهي اعرف نفسك وهي عبارة موجهة لكل إنسان، لأن نفس الإنسان أولى الأشياء بالمعرفة.

وهذا الحكيم لم تكن دعوته صادرة عن عقيدة دينية سماوية، ومع ذلك فقد رتب على هذه المعرفة قيماً أخلاقية سلوكية للإنسان، إذ رأى أن هذه المعرفة تفضي بالإنسان إلى سلوك طريق الفضيلة، وهذا الطريق من شأنه أن يحقق للإنسان رضاه عن نفسه وسعادته، ومن ثم كانت هذه المعرفة لازمة لكل إنسان، من حيث هي المعبر إلى السعادة .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الإنسان إلى التأمل في الملكوت للاستدلال بذلك على الخالق المبدع سبحانه وتعالى، والقرآن يدعونا كذلك إلى التأمل في أنفسنا في قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات آية ٢١) وقال (وفي أنفسكم) ولم يقل (إلى أنفسكم)، والفرق بينهما هو الفرق بين من ينظر إلى السطوح ويتغلغل في الأعماق .

ومن أجل هذا يدعونا القرآن الكريم إلى أن نبصر في أنفسنا بعد أن نبهنا إلى ما في الأرض من آيات.

فالنفس، وإن كانت أقرب الأشياء إلينا، فهي في الغالب أبعد الأشياء عن تفكيرنا وتأملنا، فقليل من الناس هم أولئك الذين يتأملون في أنفسهم بالمعنى القرآني .

وليست هذه المقابلة بين العالم المشهود وعالم النفس الإنسانية مجرد صدفة، إنها على العكس تفتتاً لفتاً قوياً إلى أن عالم النفس حين نتأمله يكشف لنا عن نفس الأدلة والبراهين التي تتكشف لنا في العالم الأكبر وذلك أن الإنسان، ذلك الجرم الضئيل قد تمثلت فيه كل مقومات العالم الأكبر، فإذا أدرك الإنسان نفسه، أدرك العالم من حوله، ومن فوقه ومن تحته، ويجد نفسه دليلاً على الموجد المبدع سبحانه، ودليلاً على قدرته المعجزة، ودليلاً على تدبيره الحكيم، وعلى هذا فإن الدعوة التي يدعونا فيها القرآن الكريم إلى أن نتأمل في نفوسنا هي دعوة إلى تلمس الأدلة من أقرب الأشياء إلينا . (١)

وقد يبدو للوهلة الأولى أن دعوة الحكيم الإغريقي (اعرف نفسك) ، ودعوة القرآن الكريم : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات آية ٢١) تسيران في مسار واحد، وتستهدفان غاية واحدة، لكن الأمر في الحقيقة غير ذلك، فالخلاف بين الدعوتين كبير وجوهري وان بدتا في الظاهر متوافقتين.

لقد رأينا الحكيم القديم يستهدف من دعوته تلك غاية سلوكية أخلاقية، حين رأى أن معرفة الإنسان نفسه تهيئ له سلوك طريق الفضيلة، وأن سلوك الإنسان طريق الفضيلة يحقق له السعادة في دنياه فالغاية المرجوة من هذه المعرفة إذن تتوقف عند الحد الأخلاقي العملي، وحين يكون تحقيق الإنسان السعادة لنفسه هو الغاية الأخيرة من هذه المعرفة تصبح هذه المعرفة نفسها هي معيار هذه السعادة، وهو عندئذ معيار مرن، ومتغير، ومتفاوت .

أما الدعوة القرآنية فإنها تستهدف حقاً سعادة الإنسان في الدنيا، ولكنها تتجاوز ذلك إلى سعاده في الآخرة .

ذلك أن المعرفة بالنفس التي تدعو إليها الآية الكريمة ليست هي المعرفة المؤدية إلى السلوك أو الدافعة إليه، بل هي المعرفة المؤكدة لإيمان الإنسان وبقينه بوجود الخالق المبدع سبحانه .

إنها إذن الطريق إلى معرفة الله تعالى من خلال أعز مبدعاته عنده، وحين تتحقق للإنسان هذه المعرفة يقوى الإيمان لديه، ويثبت اليقين، وعند ذلك فإنه يتحرى أوامر الله

(1) انظر نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ، د. عز الدين إسماعيل ، ص ١١٨-١١٩ .

تعالى ونواهيته، فيعمل في حياته بما أمر الله به، وينتهي عما نهى عنه، فيحقق لنفسه السعادة في الدنيا، وهو في الوقت نفسه يكسب رضا الله تعالى عنه، والثواب الجزيل لديه، وإنه بذلك يحقق لنفسه سعادة الدارين، فمن عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه عمل ما يرضيه، ومن أَرْضَى ربه حظي بالسعادة في الدنيا والآخرة .

وهكذا تجاوز معرفة الإنسان نفسه- كما يدعو إليها القرآن الكريم - حدود الهدف الأخلاقي العملي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى .

فمعرفة الله إذن هي معيار السعادة وليست معرفة النفس- كما هو الشأن عند حكيم الإغريق القديم- هي هذا المعيار .

وهذا هو الفرق الجوهرى بين فكر الفيلسوف المحدد بالغايات النفعية المادية، والمعتقد الدينى الذي يجعل الغاية النفعية مترتبة على الغاية الاعتقادية، ولما كان للعقيدة الدينية صفة التكامل والثبات كانت هي المعيار الضابط لسلوك الإنسان الذي لا تؤثر فيه التغيرات العرضية (١) .

وإذا تعرف الإنسان على خالقه وفاطره، وعمل بأوامره وانتهى عما نهى عنه، فإن ذلك الإنسان هو الجدير بأن يكون خليفة الله في أرضه .

فالنفس الإنسانية فقيرة بذاتها، قوية وعزيزة بالله سبحانه وتعالى، فمعرفة النفس تؤدى إلى معرفة الله (سبحانه وتعالى) وتحمل صاحبها على أداء الأمانة وتحقيق الرسالة التي من أجلها خلق، ولأجلها يحيا في هذه الحياة الدنيا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، فيحظى بعبائه ورضاه وبذلك يستحق أن يكون خليفة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات آية ٥٦).

ولقد حث القرآن على التفكير في النفس وفي عجب خلقه ودقة تكوينه، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الروم آية ٨) والمعنى: " أفلم يتفكر هؤلاء المكذبون لرسول الله ولقائه في أنفسهم، فإن فيها آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي، قد نفخ فيه الروح، إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين لا يُنْهَوْنَ ولا يُؤْمَرُونَ ولا يُثَابَرُونَ ولا يُعَاقَبُونَ " (٢)، وقد قيل في هذا المعنى: أعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك (٣) .

(1) انظر نصوص قراء نية في النفس الإنسانية، ص ١٢١ .

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٩٩ .

(3) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٢٠ .

فالسعادة هي معرفة الحقيقة، ولا يكون ذلك إلا من خلال معرفة الإنسان لذاته :
ماهيته، رغباتها، ومصيرها، ولا سبيل لمعرفة الذات معرفة صحيحة إلا من خلال هدي
القرآن الكريم، والحديث، والسيرة النبوية الشريفة .

وما يعتقد أكثر الناس من أن السعادة تتأتى من المأكل والمشرب والتمتع بمتاع الدنيا
من شهوات جنسية وبنين ومال وجاه، إن هي في الحقيقة إلا لذات آنية ، مصحوبة غالباً
بالألم، تعطي القليل القليل مما نسميه بالسعادة المزيفة .

فالسعادة الحقيقية هي إحساس داخلي شبه دائم بالرضا والطمأنينة لا يمنحها إلا
البارئ لمن تبع هداه فقط، إنها إحساس شخصي ذاتي داخلي بالسكينة، لا يعرفه إلا من ذاقه،
أو كما يقول بعض العارفين بنعمة الإيمان: من ذاق عرف، ولو ذاق الملوك نعمة السعادة
الحقيقية التي يمنحها الإيمان بالله لقاتلونا عليها (١) .

فحينما يدرك الإنسان نفسه وما حوله، فإنه يعرف بذلك أين مكانه الحقيقي، وأين
مكانته في هذا الوجود، يقدر حينئذٍ معنى المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية.

من أبواب المعرفة:

- "الباب الأول : باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها، والفهم الخاص عن الله تعالى
ورسوله ٣ .

- الباب الثاني : باب التفكير في آياته المشهودة، وتأمل حكمته فيها، وقدرته ولطفه، وإحسانه
وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه .

وجماع ذلك: الفقه في معاني أسمائه الحسنى، وجلالها وكمالها، وتفرد به بذلك، وتعلقها
بالخلق والأمر، فيكون فقيهاً في أوامره ونواهيه، فقيهاً في قضائه وقدره، فقيهاً في أسمائه
وصفاته، فقيهاً في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري، وذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد آية ٢١) (٢).

من أقوال العلماء في معرفة النفس :

أولاً : قال قتادة -رحمه الله- : "من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله
للعبادة". (٣)

(1) من علم النفس القرآني، د عدنان الشريف .

(2) الفوائد، الإمام ابن قيم الجوزية ، ص ٢١٣ .

(3) تفسير القرآن العظيم، ج ٤ ، ص ٣٤١ .

ثانياً : وقال الغزالي^(١) - رحمه الله - : "فمن آياته الإنسان المخلوق من النطفة، وأقرب شيء إليك نفسك، وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى، ما تتقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشيره، وأنت غافل عنه، فيا من هو غافل عن نفسه، وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك، وقد أمرك الله التدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال : ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات آية ٢١) " .^(٢)

ثالثاً : وقال ابن قيم الجوزية - رحمه الله - : " لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه، ودعاه خالقه، وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء، إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر في نفسه استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين. " .^(٣)

رابعاً: وقال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - : " توحيد الربوبية لا يحتاج إلى دليل، فإنه مركز في الفطرة، وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كانت نطفة ثم صارت النطفة في قرار مكين، وانقطع عنها تدبير الأبوين، وسائر الخلائق، ولو كانت موضوعة على لوح أو طبق ، واجتمع حكماء العالم على أن يصوروا منها شيئاً لم يقدرُوا " .^(٤)

خامساً : وقال سيد قطب - رحمه الله - في تفسير آية: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وهذا المخلوق الإنساني هو العجبية الكبرى في هذه الأرض، ولكنه يغفل عن قيمته، وعن أسرار الكامنة في كيانه، حين يغفل قلبه عن الإيمان، وحين يحرم نعمة اليقين ، آية عجيبة في تكوينه الجسماني : في أسرار هذا الجسد، عجيبة في تكوينه الروحي : في أسرار هذه النفس وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه " .^(٥)

وهكذا فهم الأوائل أنفسهم من خلال معرفتهم لهذا الكتاب وآيات النفس المنبثة خلالها، وكان ذلك ثمرة التجربة والمعاناة والمعاشية والتطبيق، ومن هنا اطمأنت نفوسهم، وعزت كرامتهم، فلم يتمكنوا من السيطرة على نفوسهم فحسب، بل عمَّ تأثيرهم سائر الأرجاء، ودانت لهم نفوس كثيرة ما كان لها أن تدين إلا لهذا السلطان الأسر الذي صنعتته تعاليم

(1) الغزالي، الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، زين الدين أبو حامد الغزالي، صاحب التصانيف، برع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وألف كتاب الأحياء وغيره الكثير، وكان مولده سنة خمسين وأربع مئة. انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٨ ، ص ٣٢٢.

(2) إحياء علوم الدين ، الغزالي ، ج ٤ ، ص ٤٣٥ .

(3) التبيين في أقسام القرآن ، ابن قيم الجوزية ، ص ١٨٨ .

(4) العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ، ص ١٦٤ .

(5) في ظلال القرآن، ج ٦ ، ص ٣٣٧٩ .

السماء، وتوالت الأجيال التابعة المنتفعة بهذا التراث الجليل، وآيات النفس مبنوثة في القرآن الكريم .

ومن هذه الآيات قول الله تعالى :

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (الشمس آية ٧)

﴿وَأَحْضَرْتِ الْإِنْسُ الشُّحَّ﴾ (النساء آية ١٢٨)

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر آية ٩).

والإنسان اليوم أحوج ما يكون إلى من يعاونه في فهم نفسه، ومعرفة إمكانياته، وقدراته، وتوجيهها الوجهة الصحيحة ليكون أقدر على مواجهة مشاكل الحضارة المعاصرة، حيث تعقدت الحياة أكثر، وازدادت الأعباء الملقاة على كاهله، وارتفعت مستويات طموحه لتصل إلى ما هو أبعد من كرتة الأرضية، وازدادت معارفه المادية زيادة مذهلة، وتراجعت بالمقابل معارفه الروحية والأخلاقية، حتى بات يتشكك في قيمه وما تألف عليه آباؤه وأجداده، وفقد بالتالي نقطة ارتكازه واهتزت لدرجة فقد معها اتزانها، حتى صارت مظاهر التوتر والضيق والقلق هي سمات هذا العصر.

المطلب الثالث

علاقة النفس بالقلب والعقل والجسد والروح في ضوء القرآن الكريم

اعتنى كثير من العلماء بالبحث عن النفس، وعلاقتها بالروح والقلب والجسد، إلا أن أغلب تلك البحوث لم تسفر بشكل واضح عن التفسير المنطقي لتلك العلاقة وخاصة بين النفس والروح، فيجعلونها في معنى واحد تارة ومعنى مختلف تارة أخرى، ولعل المنتبِع للمنهج الرباني، يجد ما يكشف الحقيقة وينير الطريق حول ذلك، فإن الله عز وجل هو من خلق النفس، ونفخ الروح، وكون القلب وخلق الإنسان في أحسن تقويم، فلا هدى إلا هداه، ولا علم إلا علمه، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق آية ٥) "فإنه تعالى أخرج من بطن أمه لا يعلم شيئاً وجعل له السمع والبصر والفؤاد ويسر له أسباب العلم، فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، فله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدر على جزاء ولا شكور" (١) .

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك آية ١٤)، فمن خلق الخلق

وأتقنه وأحسنه كيف لا يعلمه وهو اللطيف الخبير .

(1) تيسير الكريم الرحمن ، ص ١٠٣١ .

ولكي نستطيع فهم العلاقة بين النفس والروح والقلب والجسد ومحاولة رفع الغموض واللبس بين هذه المفاهيم، كان لا بد من توضيح المفاهيم المتعلقة بالنفس .
وبما أن الباحثة قد تعرضت سابقاً لمفهوم النفس في القرآن الكريم، سنتطرق إلى المفاهيم الأخرى بصورة مختصرة.

أولاً : مفهوم القلب :

القلب هو جوهر الإنسان فصلاحه يعنى صلاح الإنسان ، قال رسول الله ﷺ (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) (١)
والله سبحانه وتعالى ينظر إلى القلوب عند الحساب لا إلى الصور والأجساد ، قال رسول الله ﷺ (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم) (٢).
وقد وردت كلمة قلب ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعان مختلفة لعل أبرزها التالية :

١- القلب محل الفطرة السليمة، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء آية ٨٩).

٢- القلب محل العواطف والانفعال، ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾ (البقرة آية ٧٤) .

٣- القلب محل الإيمان والهداية، والفهم ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات آية ٧) ، ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن آية ١١) ، ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل آية ١٠٦).

٤- القلب محل المعصية ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة آية ٢٨٣) .

وبالرجوع إلى معاني النفس الإنسانية ومدلولاتها، كما وردت في القرآن الكريم، وبمقارنتها بمعاني القلب الواردة أعلاه، يمكن القول بأن مفهوم النفس ورد بمعنى عام شامل للإنسان بكلية؛ جسمه وروحه، كما ورد بمعنى خاص (الروح)، أما القلب فورد بمعان خاصة فقط . (٣)

ومن هنا ترى الباحثة أن مفهوم النفس بمعناها العام أشمل وأوسع من مفهوم القلب، وبمعناها الخاص ترادفه، فالقلب والنفس محل الفطرة .

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ح رقم ٥٢، ص ٢٦.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه ح رقم ٦٤٣٧، ص ١٢٧٠.

(3) انظر : علم النفس التربوي، ص ٤٨-٤٩.

ثانياً : العقل :

العقل من مكونات النفس، ولقد وردت مشتقات كلمة عقل في القرآن الكريم بمعنى فعل من أفعال القلوب، كما في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج آية ٤٦) كما يشير قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف آية ١٧٩) إلى أن القلوب هي التي تفقه (١)، وعليه يمكن القول بأن للقلب جانبين؛ جانب وجداني وجانب عقلي، ويوضح الماوردي (٢) علاقة العقل بالقلب بقوله : "العقل نور في القلب يفرق بين الحق والباطل، ويستشهد بقوله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، ويرى أن هذه الآية الكريمة تشير إلى أن العقل علم، وأن العقل محله القلب كما يرى أن صحة المرء تكون باكتمال عقله، مسترشداً بقوله ٣ : (إن الأحقق يسيء بحمقه أعظم من فجور الفاجر) (٣)، وللعقل جانبان جانب فطري بالطبع أي ذكاء غريزي، وجانب مكتسب أي ذكاء بالخبرة " (٤) .
ومما سبق يمكن القول بأن مفهوم القلب أعم من العقل، فالعقل نور في القلب وفعل من أفعاله .

ثالثاً : الجسد :

الجسد هو البناء الذي يجسد في الفرد الجانب المادي المحسوس والملموس، حيث أبان القرآن الكريم لفظة الجسد أو الجسم بما يدل على أن الجسد لا يتعادل في قيمته مع النفس ويتوافق مع هذا أن الجسد يصبح رمادا بعد الفناء، في حين أن النفس تخلد حتى يوم الحساب، ولذلك هناك فرق بين النفس والجسد والدليل على ذلك، قوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران آية ١٨٥) " يدل على أن النفوس لا تموت بموت البدن، لأنه جعل النفس ذائقة الموت، والذائق لا بد وأن يكون باقياً حال حصول الذوق، والمعنى أن كل نفس

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٣١٩ .

(2) الماوردي، الإمام العلامة، أفضى القضاة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الشافعي، صاحب التصانيف، مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة، وقد بلغ ستاً وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، وله تفسير القرآن سماه : (النكت) و(أدب الدنيا والدين) و(الأحكام السلطانية) و(قانون الوزارة وسياسة) انظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٨ ، ص ٦٤ .

(3) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي ح رقم ٧٠٤٨ ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(4) أدب الدنيا والدين للماوردي ، ص ٤ .

ذائقة موت البدن، وهذا يدل على أن النفس غير البدن، وعلى أن النفس لا تموت بموت البدن" (١).

ومن ناحية الاضطرابات والأمراض النفسية تبين وجود تزاوج بين الجسم والنفس، حيث ثبت في الدراسات المعاصرة أن الأمراض النفسية، التي يترتب عليها أمراض جسمية مثل قرحة المعدة والذبحة الصدرية وأمراض الحساسية توضح أن المتاعب النفسية تؤثر بالضرورة على الحالة الصحية والنفسية للفرد وهذا كله يؤكد الصلة والرابطة بين الجسم والنفس. (٢)

وليس أدل على علاقة الوضع النفسي بالجسدي من قول الله عزوجل ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح آية ٢٩) "أي: قد أثرت العبادة - من كثرتها وحسنها - في وجوههم حتى استنارت، فلما استنارت بالصلاة بواطنهم استنارت بالجلال ظواهرهم"، (٣) ويقول أيضا: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران آية ١٠٦) وقال أيضا: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران آية ١٠٧) "يخبر الله تعالى بتفاوت الخلق يوم القيامة في السعادة والشقاوة، وأنه تبيض وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وامتثلوا أمره، وتسود وجوه أهل الشقاوة الذين كذبوا رسله وعصوا أمره." (٤)

فرق القرآن الكريم بين النفس والبدن في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَجِيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةٌ...﴾ (يونس آية ٩٢) مخاطباً فرعون الذي لحق بسيدنا موسى عليه السلام فأغرقه المولى في البحر نجد أن نفس الفرعون قد ماتت مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران آية ١٨٥) أما بدن الفرعون قد قضت حكمة المولى أن تبقى منذ ثلاثة آلاف سنة ونيف إلى يومنا هذا، ليكون بدن الفرعون آية وبرهاناً مادياً محسوساً قاطعاً للذين يأتون بعد الفرعون، على صدق التنزيل، فبدن (أي مومياء) الفرعون الذي لحق بموسى عليه السلام موجود حتى اليوم في متحف القاهرة بمصر (٥).

بناءً على ما سبق يمكن القول بأن علاقة النفس بالبدن إنما هي علاقة التدبير والتصرف فإذا ما التوى عودها بان ذلك منها في تصرفات الفرد ولاح في ملامح سلوكه بوضوح.

(1) التفسير الكبير، ج ٩ ص ١٢٥ .

(2) انظر: السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وعلم النفس المعاصر، ص ٦٠.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٨٦.

(4) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(5) من علم النفس القرآني، ص ٤٠ .

ومن خلال ذلك يمكن القول إن الجسد وعاء النفس فهو بمثابة المسرح للعمليات الناتجة عن التفاعل بين الجسد والنفس .

رابعاً: الروح :

وردت كلمة روح ومشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، والروح كما هو معلوم هي الشطر الغيبي من الإنسان، وهي سر من أسرار الله سبحانه وتعالى ولا نعرف عنها سوى القليل، قال تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ (الإسراء آية ٢٥) .

وقد وردت لفظة روح في القرآن ومشتقاتها بمعان مختلفة ولعل أبرزها :

- ١- الروح بمعنى جبريل عليه السلام، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء آية ١٩٣-١٩٤).
- ٢- الروح بمعنى الوحي (القرآن)، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ ...﴾ (الشورى آية ٥٢).
- ٣- الروح بمعنى التأييد والنصر، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة آية ٢٢).
- ٤- الروح بمعنى رسول من الله تعالى، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النساء آية ١٧١)، وقد أضيفت إلى الله على سبيل التشريف.

صفات الروح:

* وللروح صفات منها: أنها تنفخ في الجسد كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر آية ٢٩)، يقول القرطبي معلقاً على الآية: "النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً..." (١) .

* والروح تخرج كما في قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ ...﴾ (الأنعام آية ٩٣) .

(1) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٧ .

* والروح تمسك وترسل كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر آية ٤٢).

* والروح تصعد وترجع وتقبض فهي جوهر مستقل عن البدن . (١)
ومن خلال ما سبق ندرك أن أوسع الألفاظ ورودا في الذكر الحكيم هي النفس التي تدل على كيان الإنسان بصفته كائناً حياً، ولا يختص بالدلالة على التفكير أو الفهم ، ويلى ذلك لفظة القلب التي تدل على العنصر الواعي والعاطفي في الإنسان .
والروح تمثل حقيقة مجردة ذات أصل إلهي، وتتصل بالإنسان على نحو خاص يميزه عن سائر المخلوقات، والعقل في الذكر الحكيم يمثل حقيقة فعل العقل الذي يدل على الفهم والتفكير .

فندرك من خلال ذلك، أن كتاب الله الذي نزل بالحق وضح النظرة الشاملة المتكاملة للنفس الإنسانية والتي تتشكل من النفس والقلب والروح والعقل .
والمكونات الإنسانية في القرآن الكريم تؤكد الترابط الكلي المركب من الجسد والروح من جانب، والعقل والقلب من جانب آخر .

وفق ما سبق يتبين أن العلاقة بين الجسم والروح علاقة دائبة طالما أن الجسم حيٌّ، وحيث يحدث الضعف والإرهاق والتراخي في جهد الإنسان يحدث مثل ذلك في حالته المعنوية، وهذا يسبب خللاً في طاقته العقلية والحيوية، فالعلاقة متبادلة التأثير بينهما .

آراء العلماء في الفرق بين النفس والروح :

أما أقوال العلماء في الفرق بين النفس والروح، فقد تباينت واختلفت: فمنهم من جعلها شيئاً واحداً، ومنهم من فرق بينهما، ويمكن تلخيص بعض الآراء كالآتي:

في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي...﴾ (الزمر آية ٤٢) .

- قال ابن عباس - رضي الله عنهما - "إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس : التي بها العقل والتمييز، والروح : هي التي بها النفس والتحريك ، فيتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها حين النوم والأظهر أنهما شيء واحد". (٢) وهو الذي دلت

(1) انظر: علم النفس التربوي، ص ٥٥.

(2) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ١٧٠، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة الزحيلي

ج ٢٤ ، ص ٢٢-٢٣ .

عليه الآثار الصحاح، ومن ذلك قول النبي ﷺ : عن أبي هريرة **t** قال : (إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها) ^(١)، وقال بلال في حديث الوادي : (أخذ بنفسي يا رسول الله الذي أخذ بنفسك) ^(٢)، وقال رسول الله **e** مقابلاً له في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادي: (يأبها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها إلينا في حين غير هذا ^(٣)). ^(٤)

- وقال الرازي : " النفس الإنسانية : عبارة عن جوهر مشرق روحاني، إذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الأعضاء، وهو الحياة، ففي وقت الموت : ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن وباطنه، وذلك هو الموت، وأما في وقت النوم فإنه ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع تام كامل، والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه " ^(٥)

- وقال ابن عاشور -رحمه الله تعالى- عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل آية ١١١) : "إن النفس الثانية ما به الشخص، فالاختلاف بينهما بالاعتبار ... وذلك أن العرب يستشعرون للإنسان جملة مركبة من جسد وروح فيسمونها النفس، أي الذات، وهي ما يعبر عنه المتكلم بضمير أنا، ويستشعرون للإنسان قوة باطنية بها إدراكه ويسمونها نفساً أيضاً ومنه أخذ علماء المنطق اسم النفس الناطقة " ^(٦).

- أما أبو حامد الغزالي -رحمه الله تعالى- يرى أن الروح تعني النفس والقلب بما يدل على أنه يريد بهما معنى واحداً، فيقول: "إن الروح بمعنى النفس الناطقة أو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو أحد معاني القلب، والنفس بهذا المعنى هي : حقيقة الإنسان وذاته، وهي تطابق معنى الروح والقلب في ذلك.

(1) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، ج٤، ح رقم ٧١١٥، ص ١٤٠٦.

(2) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها، ح رقم ٤٣٩، ص ٧٥.

(3) موطأ مالك ، كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة، ح رقم ٢٦، ص ٢١.

(4) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥ ص ١٧٠.

(5) التفسير الكبير، ج ٢٦، ص ٢٨٤.

(6) التحرير والتنوير، ج ١٤ - ص ٣٠٢ .

وأحياناً يفرق بينهما فيفهم من خلال حديثه عنهما، أنه جعل الروح في تجويف القلب، وجعل النفس قوة الغضب والشهوة في الإنسان، وقال: هذا استعمال أهل التصوف لها". (١)

_ وقال ابن منظور، ومعه كثير من اللغويين: "أن الروح والنفس شيء واحد، والروح والنفس، يذكر ويؤنث". (٢)

- أما د. عدنان الشريف من المعاصرين فقد ذكر أن الروح والنفس أشياء مختلفة عن بعضها، فذكر أن النفس هي الدم، وجزم بذلك وأن الروح مكانها في القلب، وأن النفس التي هي الدم تنقل الروح إلى كل خلية من خلايا البدن، فتبعث فيها الحياة، ويقول: إن الروح هي العقل المفكر، وآلته الدماغ الإنساني، ويدافع بأن النفس ليست الروح، لأن النفس عنده هي الدم فقط، والروح عنصر حيوي مفكر، وعن طريقه تكون كل الانفعالات والتفاعلات الحيوية والدماغية في الإنسان ... والظواهر النفسية وما يتبعها من انعكاسات عضوية (٣).

وهكذا يتبين أن المفسرين قد اختلفوا في التفريق بين النفس والروح، فالنفس أحياناً تطلق على الروح وأحياناً مقابل الروح، وذلك أن النفس والروح من أمور الغيب بالرغم من وجودهما فينا، وكل أمر غيبي لا يقع تحت حسنا وإدراكنا المباشر، لا يمكن الفصل فيه إلا من خلال القرآن والسنة النبوية، ومن خلال الفهم على ضوء النصوص الشرعية التي تملك زمام الغيب نستطيع أن ندرك بعضاً من ذلك .

والناظر إلى تلك النصوص يجد أن ثمة علاقة وثيقة حميمة بين الروح والنفس، ويجد الحديث عنهما في تلازم وتناغم .

وبالعودة إلى معنى النفس ومدلولاتها كما وردت في القرآن وبمقارنتها بمعاني الروح الواردة سابقاً يمكن القول بأن النفس بمعناها العام أعم وأشمل من الروح، وبمعناها الخاص ترادفه .

ويتضح من خلال ذلك أن الروح لا تدل على التكوين الجسمي أي الجسدي وحده، ولا على الجسد والروح بمعنى الإنسان وفعاليته ونشاطه، كما هو الأمر بالنسبة للنفس وفي هذا ما يدل على تمييز الروح عن النفس في القرآن الكريم ليس هذا فحسب، بل إن الذكر الحكيم يدعو إلى الانتباه بأن إدراكنا بطبيعة الروح قاصر فهي من أسرار الغيب.

(1) إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٤.

(2) لسان العرب، -مادة -نفس- ج ٦، ص ٢٨٢.

(3) انظر : من علم النفس القرآني، ص ٤٠ ، ٤١ .

المبحث الثاني معالم النفس في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أنواع النفس البشرية.

المطلب الثاني : النفس البشرية عند الفلاسفة .

المطلب الثالث : عناية علماء الإسلام بالنفس البشرية.

المطلب الأول

أنواع النفس

النفس الإنسانية هي نفس واحدة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء آية ١)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (الأنعام آية ٩٨). "التحقيق أنها نفس واحدة" ^(١) ولكن النفس تتوارد عليها أحوال، أحياناً تهبط وأحياناً تعلو، وأحياناً تقوى، وأحياناً تضعف، وأحياناً تسود وتقود. فالثبات الدائم ليس هو السمة الغالبة على النفس الإنسانية، ولكن لها أحوال.

وقد وقع الاختلاف بين الباحثين في حصر عدد هذه الأحوال التي وصف بها القرآن الكريم النفس الإنسانية، فمنهم من أوصلها إلى سبعة: أمانة، ولوامة، ومطمئنة، وزكية، وحوازية - أي تستحوذ على الإنسان فتدمغه إلى تكرار أنماط سلوكية وسواسية - ظالمية، مجاهدة، ومنهم من أوصلها إلى اثنتي عشرة حالة: النفس المطمئنة، واللوامة، والزكية، والمجادلة، والملهمة، والأمانة، والمهتدية، والمجاهدة، والشاكرة، والصالحة، والشحيحة، والخيرة.

والظاهر أنه بهذه الطريقة يمكن أن تصل هذه الأنواع إلى أكثر من ذلك، إلى الحد الذي اعتبرت فيه كل صفة من صفات النفس نوعاً من أنواع النفس الإنسانية، لذلك ظهرت الحاجة إلى التمييز بين المستويات الأصلية التي تحدد أنواع النفس، والمستويات الفرعية التي تلحق بها، والمعيار لمعرفة المستويات الأصلية أنها لا تندمج في غيرها، وأنها تصف الحالة العامة للنفس بحيث تندرج تحتها جزئيات السلوك، وأنها تكون مذكورة في آية من آيات القرآن الكريم ^(٢).

فورود كلمة نفس، أو مشتقاتها في أية قرآنية كريمة لا يكفي بالضرورة لاشتقاق نوع من أنواع النفس، فالنفس تسمى باعتبار كل حالة باسم.

وواضح أن وصف النفس بهذه الأوصاف لا يعني نفوساً متعددة بل هي أحوال تعتري كل نفس على تفاوت في غلبة حال منها أو آخر، واستقرار النفس على حال من تلك الأحوال لا يلغي طروء الأحوال الأخرى، ويشتق لها الاسم من الحالة الغالبة عليها في لحظة من اللحظات، أو فترة من الفترات، فيقال نفس أمانة، أو لوامة، أو مطمئنة.

(١) الروح، ص ٢٦٦.

(٢) انظر: علم النفس التربوي، ص ٣٦-٣٧.

ومن الجدير بالذكر أن أحوال النفس تنتم بالاستقرار النسبي، الأمر الذي يسمح بتزكيتها وارتدادها من جهة أخرى، فالإيمان يزيد وينقص، وقد يصبح الإنسان مؤمناً ويمسي كافراً، فالنفس الإنسانية تتأثر بالتربية وظروف البيئة.

وبعد استعراض أحوال النفس في القرآن الكريم، رأت الباحثة أن تستعرض أكثر الأحوال وروداً في القرآن الكريم: وهي السوية التي فطر عليها الإنسان، والأمانة، واللوامنة، والمطمئنة.

أولاً: النفس السوية (المهمة):

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس آية ٧-٨) في هذه الآية صفتان للنفس: سوية وملهمة، ومعنى سوية " إن حملنا النفس على الجسد فتسويتها: تعديل أعضائها على ما يشهد به علم التشريح، وإن حملناها على القوة المدبرة فتسويتها: إعطاؤها القوى الكثيرة كالقوة السامعة، والباصرة، والمخيلة، والمفكرة، والمذكرة على ما يشهد علم النفس " (١).

وقال ابن كثير في معنى قوله تعالى: (ونفس وما سواها) أي " خلقها الله سوية مستقيمة على الفطرة القويمية" (٢).

والصفة الثانية (فألهمها فجورها وتقواها): " بين لها ما ينبغي أن تأتي أو تذر من خير أو شر، أو طاعة أو معصية" (٣).

والإلهام: " أن يوقع في قلبه، وإذا أوقع الله في قلب عبده شيئاً ألزمه ذلك الشيء " (٤). وحاصل كلام المفسرين في الإلهام المذكور في الآية: أنه إلهام الفطرة، أو بيان الوحي (فألهمها فجورها وتقواها) عرفها ذلك بالفطرة، وبين لها ذلك بالوحي، فالنفس الإنسانية في أول أحوالها نفس سوية، تلهم طريق الفجور، وطريق التقوى، فتميز بينهما بهداية الفطرة، وهداية الرسالة.

ثانياً: النفس الأمانة بالسوء:

تخلق النفس الإنسانية سويةً على الفطرة وملهمة من الله سبحانه وتعالى، ثم تطرأ عليها وساوس الشيطان، فتنحول من السواء الذي خلقت عليه وتأمّر صاحبها بالسوء.

(1) التفسير الكبير، ج ٣١، ص ١٩١ .

(2) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٧٥٣ .

(3) جامع البيان، ج ٣٠، ص ٢١٠ .

(4) فتح القدير، ج ٥، ص ٦٤٥ .

والأمر من النفس نوعان:

النوع الأول: الأمر بالخير إذا بقيت على أصل الفطرة .

والثاني: الأمر بالسوء إذا انحرفت عن سواء الفطرة، وقد وصف القرآن النفس الأمارة بالسوء في قوله تعالى عن أول قتل وقع في الأرض: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة آية ٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (يوسف آية ٥٣) " إن هذا الجنس من الأنفس البشرية شأنه الأمر بالسوء لميله إلى الشهوات وتأثيرها بالطبع، وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك" (١) ولا ينجو من الوقوع في حبالها، والاستجابة لرغباتها إلا من ثاب إلى عقله، واستمع إلى ضميره، وتسمى أيضاً النفس الشهوانية.

وقال تعالى على لسان يعقوب لما أخبره بنوه أن الذئب أكل يوسف ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ (يوسف آية ٨٣) فهذه الآيات نسبت الأفعال السيئة للنفس، فهي الأمارة، والمسولة، والمطوعة، وفي مواضع أخرى من كتاب الله نجد نفس الأفعال منسوبة للشيطان مثل قوله تعالى عن موسى لما دفع المصري فكان في تلك الدفعة أجله: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (القصص آية ١٥).

فالشيطان قرين النفس الأمارة بالسوء؛ فهو الذي يوسوس للنفس، وهي التي تستجيب، وتتفذا، ولذلك كان من دعاء الرسول ٣ (أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه) (٢).

فعندما تتحالف النفس مع الشيطان، وتقف في صفه تصبح مثله مصدراً للشر، وأما أصلها فأمارة مأمورة إن ائتمرت بأمر الله أمرت بالحق والخير، وإن ائتمرت بأمر الشيطان أمرت بالباطل والسوء.

ثالثاً: النفس اللوامة:

هي النفس التي أقسم الله تعالى بها في قوله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ (القيامة آية ٢).

اختلف أهل التأويل في قوله (اللوامة) فقال بعضهم معناها: النفس التي تلوم على فوات الخير وفعل الشر.

وقال آخرون: بل اللوامة التي تلوم على ما فات وتندم.

(1) فتح القدير، ج ٣، ص ٤٩ .

(2) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات، ح رقم ٣٥٢٩، ص ٨٠١.

وقال آخرون: اللوامة: الفاجرة.

وقيل: إنها المذمومة^(١)، وذكر الزمخشري أن "النفس اللوامة هي النفس المتقية التي تلوم النفوس في يوم القيامة على تقصيرها في التقوى، أو التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: إن المؤمن لا تراه إلا لاثماً نفسه، وإن الكافر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

وقيل: هي التي تتلوم يومئذ على ترك الإزدياد إن كانت محسنة، وعلى التفريط إن كانت مسيئة وقيل: هي نفس آدم التي لم تنزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة"^(٢). وهذه الأقوال التي ذكرت وإن اختلفت ألفاظها إلا أن المعاني متقاربة، فالمؤمن يلوم نفسه التي توقعه في الذنب، وهذا اللوم من الإيمان، أما الشقي، فإنه لا يلوم نفسه على ذنب، بل يلومها على فواته .

فكل واحد يلوم نفسه، برأ كان أو فاجراً؛ فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهوها. وكل هذه الأقوال حق، ولا تنافي بينها، فإن النفس موصوفة بها كلها، وباعتباره سميت لوامة.

*وجه المناسبة بين القسم بالقيامة والنفس اللوامة:

ذكر العلماء عدة أوجه في المناسبة بين القسم بالقيامة والنفس اللوامة:

الوجه الأول: أن أحوال القيامة عجيبة جداً، والمقصود من إقامة القيامة إظهار أحوال النفوس، أي سعادتها وشقاوتها، فقد حصل بين القيامة والنفوس اللوامة هذه المناسبة الشديدة.

الوجه الثاني: القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث أنها أبداً تستحق فعلها وجدها واجتهادها في طاعة الله.^(٣)

الوجه الثالث: يوم القيامة هو يوم الحساب والنفس هي ذلك الجانب الذي يناقشه الحساب.

الوجه الرابع: النفس اللوامة هي حساب النفس في الدنيا، ويوم القيامة هو حساب النفس في الآخرة.^(٤)

(1) انظر: جامع البيان ، ج٢٩ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(2) الكشف، ج٤ ، ص ١٩٠ .

(3) انظر: التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢١٦ .

(4) انظر: خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن ، ص ٣٣ .

*لطيفة:

(اللؤامة) صيغة مبالغة على وزن الفعالة مما يدل على أن عملية اللوم عملية مستمرة مع الإنسان، " وتنبه عن التكرار والإعادة".^(١)

فهذه النفس لا تزال تلوم صاحبها باستمرار، والإنسان الذي ما يفتأ يلوم نفسه إنسان فيه صلاح؛ لأن لوم النفس علامة على أن الإنسان غير راضٍ عنها، وعندئذ يكون اللوم عاصماً للنفس من الإقدام على أفعال السوء التي أغرتها بها النفس الأمارة بالسوء. ويتبين من خلال ذلك التقابل الواضح بين النفس اللؤامة والنفس الأمارة بالسوء، فهما يقفان على طرفي نقيض، طرف يجذب الإنسان إلى حضيض الخسة، وآخر يقف له بالمرصاد، يسجل عليه أخطائه، ويؤنبه على أفعال السوء التي يرتكبها، سواء بالفعل أو بالنية المبيتة. ولأن هذا الجانب من النفس هو الجانب النظيف الشريف الرادع للنفس الأمارة بالسوء، فقد أقسم الله تعالى به.

ومن خلال ذلك يتبين أن النفس اللؤامة قسمان، وذلك بحسب من تحل به:

١ - نفس المؤمن اللؤامة: وهي النفس التي أقسم بها في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّٰوَامَةِ﴾ وهي التي قصدها الحسن البصري في قوله: إن المؤمن لا تراه إلا لائماً لنفسه، وهي النفس التي تلوم ذاتها على التقصير والتفريط في جنب الله تعالى وتأمل التعويض فتقول: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر آية ٥٥).

٢ - نفس الكافر اللؤامة: هذه نفس ظالمة يلومها الله تعالى ويلومها الناس وتلومها الملائكة حتى أنها تلوم ذاتها، ولومها لذاتها يكون في:
* حالة مذنب أقر بذنبه واعترف بخطيئته فلام نفسه لأنه أتاها، ولكن كان ذلك في وقت لا ينفع معه الندم، وفي مثل هذا يقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبا آية ٤٠)^(٢).

رابعاً: النفس المطمئنة:

وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر آية ٢٧).

(1) التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢١٦.

(2) انظر: خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن ص ٣٣ - ٣٤.

فالمطمئنة هي التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا والآخرة، فصدقت بذلك، وقد اختلف أهل التأويل في المطمئنة؛ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : المصدقة وقال قتادة - t - : المطمئنة إلى ما قال الله، والمصدقة بما قال، وقال آخرون: المصدقة الموقنة بأن الله ربها، والمسلمة لأمره فيما هو فاعل بها. (١) ويقول سيد قطب - رحمه الله - : "المطمئنة إلى قدر الله بها، المطمئنة في السراء والضراء، المطمئنة فلا ترتاب، المطمئنة فلا تحزن والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرعب...". (٢)

والاطمئنان هو الاستقرار والثبات، واليقين بالحق، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة آية ٢٦٠)، ولا يحصل هذا الاطمئنان إلا بذكر الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد آية ٢٨)، والطمأنينة هي المعرفة الحقة بالله تعالى، فثبت أن من أثر معرفة الله لشيء غير الله فهو غير مطمئن، وليست نفسه نفساً مطمئنة، وكل من كان غير ذلك كان أنسه الله، وشوقه إلى الله وبقاؤه بالله، وكلامه مع الله، فلا جرم أن يخاطب عند مفارقة الدنيا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (الفجر آية ٢٧).

والحديث عن النفس المطمئنة ورد في سياق آيات كريمة عن تجلي عظمة الله سبحانه وتعالى، وقد برزت الجحيم حقيقة ماثلة للعيان، هنالك يتذكر الإنسان كل ما اقترف من ذنوب، ولكن ماذا ينفعه التذكر، إنه يتمنى لو كان في حياته قد عمل لهذا اليوم ما يجنبه عذاب الجحيم، أي رعب وأي هلع يستولي عليه وقد رأى المصير الأليم، فلما وصف حال من اطمأن إلى الدنيا، وصف حال من اطمئن إلى معرفته وعبوديته، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٤) ، تقف نفوس المؤمنين مطمئنة بما وعدّها الله به في الآخرة، في رفقة عباده الصالحين، ولا تعاني من هذا الفلق النفسي وتلك الحيرة والضياع التي تشكو منها المجتمعات الغربية، وهي ضريبة الشرود عن منهج الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه آية ١٢٤) فالمسلم بين هذه الجموع الشقية يجد هذه الطمأنينة.

وبما أن الحياة قد تعقدت في وقتنا الحاضر، وجلبت المدنيات المعاصرة العديد من نمازق الحياة، وزخارفها، وأصبح الإنسان يلهث في طلب المزيد من متاع الدنيا، ناسياً أنه

(1) انظر: جامع البيان، ج ٣٠، ص ١٩٠.

(2) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٠٧.

(3) انظر: التفسير الكبير، ج ٣١، ص ١٧٦.

(4) المرجع السابق، ج ٣١، ص ١٧٦.

مفارقها، لذلك يصعب وجود هذا النمط من البشر، فالنفوس مطمئنة هي نفوس قليلة جداً، فأكثر النفوس أمارة بالسوء، وقليل منها النفس اللوامة، وأقل منها النفس مطمئنة، نسأل الله أن يرزقنا إياها.

وأشكال النفس الإنسانية على الهيئة التي وردت لا يعني بأي حال ترتيبها أو تسلسل حركتها وتقلبها، وكل ما يمكن الجزم به النوع الأول الذي تخلق عليه النفس الإنسانية_الحالة السوية الملهمة_ ثم تتقلب إلى حال أو أحوال أخرى.

وأشكال النفس تتفاوت في نياتها، وأفعالها، ولكنها نفس واحدة تكون أمارة تارة، ولوامة أخرى، ومطمئنة ثالثة.

المطلب الثاني

النفس عند الفلاسفة

احتلت النفس البشرية مكانة مهمة في فلسفة القدماء، فلقد استحوذ التفكير في موضوع النفس ذلك المخلوق المهيّب على فلاسفة الرومان واليونان والمسلمين، وحتى لا يتقل البحث في الحديث عن موقف الفلاسفة من النفس، ويتحول الموضوع إلى بحث عقلي جاف يتنافى مع ما هدفت إليه الباحثة وهو بيان آفات النفس وكيفية علاجها، لذلك رأت الباحثة أن تشير إلى هذا الموضوع بإيجاز.

والواقع أن الفلاسفة توغلوا في الحديث عن النفس، لكنه حديث قائم على منهج خاطئ لأنهم تصوروا أنهم يستطيعون بالبحث العقلي أن يصلوا إلى حقيقة النفس، فحاضوا وتشعبت آراؤهم، وكثرت تخبطاتهم في المتاهات العقلية النظرية، أما القرآن الكريم فإنه يقرر أن حقيقة النفس غيب اختص الله بعلمه، فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء آية ٨٥) فالمطلوب هو دراسة أحوالها وكيفية تهذيبها وعلاج ضعفها.

وأول ما يعرض له الفلاسفة إثبات وجود النفس بالبراهين العقلية، ورد الإمام الراغب الأصفهاني على الفلاسفة بقوله: "إن وجود النفس في الإنسان لا يحتاج إلى دليل لوضوح أمره، فالنفس هي تحصيل الحياة، والحركة، والحس، والعلم، والرأي، والتمييز." (١)

*** طبيعة النفس:**

(1) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص ٢٠.

أما الحديث عن طبيعة النفس، فإنهم اختلفوا في ذلك، فمنهم من قال بماديتها، ومنهم من قال بروحانيتها، والقائلون بالمادية انقسموا، فمنهم من قال إنها جسم، أو الجسم الإنساني نفسه، أو عرض من أعراضه، أو إنه جسم لطيف.

أما أنصار روحانية النفس فقد قالوا: إن النفس ليست جسماً، ولا عرضاً لجسم، ولا يجوز عليها الحركة، والسكون، واللون، والطعم، فسقراط يرى أن النفس " ذات روحية قائمة بذاتها، وأنها هي جوهر الإنسان الحقيقي، وأن البدن ليس إلا أداة لها، وأن في الموت خلاصها وتحريرها" (١).

ولا يبعد تصور أفلاطون للنفس عن هذا، فهو يرى أن " النفس هي العنصر الجوهرى في الإنسان وأنها ذات مستقلة، فلا يدخل البدن في تعريفها ولا يعد جزءاً من ماهيتها، وحقيقتها، وحينئذ فهي المبدأ الذي تفيض منه الحياة على الجسم، وهي التي تحركه، وتدبره، وتعنى بأمره" (٢).

فأفلاطون يتفق مع أستاذه سقراط في تصور النفس جوهرًا روحياً، وأن هذا الجوهر يضيق بالجسم المادي الذي يحل فيه، ولكنه أيضاً هو الذي يمنحه الحياة، ويتخذ منه أداة لحركته، وهكذا ينحو هذان الحكيمان في فهمهما للنفس منحىً روحياً.

أما أرسطو فيبدو أنه في نظره للنفس كان متأثراً بفلسفته الطبيعية في العلاقة بين مادة الشيء وصورته، فقد كان ينظر إلى الإنسان بوصفه جوهرًا واحداً تتحد فيه المادة والصورة، أما المادة فهي الجسد، وأما الصورة فهي النفس، فقال: " كما أنه لا يمكن فصل صورة التمثال عن الحجر أو الرخام إلا بتحطيم التمثال نفسه، كذلك لا يمكن فصل النفس عن البدن إلا بالقضاء على هذا الأخير" (٣).

وواضح من هذا أن أرسطو لا يتمثل النفس بمعزل عن الجسم، بل هي متلبسة به ولا وجود لها إلا فيه.

هذان هما التصوران الأساسيان للنفس عند الثلاثة الكبار من فلاسفة الإغريق. وتظن الباحثة أن هذين التصورين قد تمثلا بصفة عامة، وأحياناً مع شيء من التحوير لدى فلاسفة المسلمين أنفسهم حين تعرضوا للحديث عن النفس .

(1) في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، محمود قاسم، ص ٢٣.

(2) المرجع السابق ص ٣٢، ٣٣.

(3) المرجع نفسه، ص ٦٨.

ومما يفيض فيه الفلاسفة بحثاً ومناقشة: الحديث عن وحدة النفس، فقد اختلفت آراؤهم حول كون النفس واحدة أو منقسمة، فمنهم من قال إنها واحدة وإن ما يبدو لنا من اختلاف وتجزئة فيها إنما يعود إلى تنوع قواها، وليس إلى تعدد النفوس وتجزئتها، ومن هؤلاء أرسطو فهو يرى أن حلول شيء واحد في أجسام مختلفة يؤدي لسلوكيات مختلفة لهذا الشيء، ومنهم من قال بانقسام النفس في الكيان الواحد إلى أجزاء متعددة، فيرى أفلاطون أن في النفس ثلاث قوى تتصارع فيما بينها على تسيير الشخصية التي حلت بها، والقوة التي تكون لها الغلبة هي التي تسمى باسمها وهذه القوى هي: النفس العاقلة، والغضبية، والشهوانية، فالانسجام في عمل النفس بقواها المختلفة، ففي الحالة الطبيعية تخضع النفس الشهوانية للغضبية، وتخضع الغضبية للعاقلة، وبذلك يكون الوئام والانسجام في عمل النفس.

ويقول أفلاطون: إن تجزؤ النفس يكون من خلال الأعراض لا من خلال الفعل وعلى ذلك، فإن الاختلاف يحصل لحولها في أبدان مختلفة، والتجزئة تكون بالقوة لا بالفعل⁽¹⁾.
والغريب أن الفلاسفة يختلفون في أصل النفس هل هي قديمة أو حادثة، فقد قال بعضهم بأولية النفس وقدمها، وهم فلاسفة اليونان وبخاصة أفلاطون الذي ادعى أن النفس كانت في المثل والأفلاك ثم هبطت فحلت في أبدان البشر. وقال بعضهم بحداثتها، وهم أكثر فلاسفة الإسلام، ومن قبلهم أرسطو الذي قال: إن النفس صورة الجسد وهي بالتالي حادثة معه.

ولا شك أن النفس حادثة، ولا يجوز أبداً القول بقدمها؛ لأن هذا يعارض صريح آيات القرآن، فقد قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ (مريم آية ٩)، وقال تعالى: ﴿هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ (الإنسان آية ١).

كما إن القول بقدم النفس يعني أنها غير مخلوقة، وهذا شرك بالله تعالى الذي خلق كل شيء، وكل ما في الوجود مخلوق بأمره قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر آية ٦٢).

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن الفلاسفة لن يصلوا إلى معرفة حقيقة النفس مهما بحثوا وبخاصة أنهم قد أعياهم البحث منذ آلاف السنين، فلم يظفروا إلا باضطراب يزيد النفس غموضاً، والعلم الحديث ما دام بعيداً عن المنهج لن تكون نتائجه صحيحة.
ومن خلال ذلك تجد أيضاً كيف اضطرب الفلاسفة وتخبطوا في المتاهات العقلية بحثاً عن حقيقة النفس وجوهرها، فلم يظفروا إلا بما يزيد غموضاً.

(1) انظر: خواطر الإنسان بين علم النفس والقرآن، ص ٢٢-٢٣.

المطلب الثالث

عناية علماء الإسلام بالنفس البشرية

لقد فهم علماء المسلمين النفس البشرية من خلال فهمهم لآيات الله، فقد وجد العلماء في الكتاب الكريم إشارات كثيرة تتصل بموضوع النفس، وضرورة حراستها، وإيقافها عند حدود الشرع، ومن خلال إقتدائهم بالرسول ٣ الذي يعتبر أعظم معالج نفسي فقد عالج أمراضاً نفسية يعجز الأطباء، في العصور القديمة والحديثة، على إيجاد علاج لها، وكانت هذه الإشارات منطلقاً انطلقوا منه، ولقد كان للعلماء المسلمين عناية بالطب النفسي، وأفردوا لهذا العلم الكثير من أبحاثهم، واشتملت العديد من مؤلفاتهم على الإفاضة في ذكر المصطلحات النفسية والروحية.

* طبيعة النفس:

تبدو عند فلاسفة المسلمين النظرة الروحية لطبيعة النفس، فيشير الإمام الغزالي إلى أن للنفس معنيين يتعلق أحدهما بالصفات النفسية المذمومة المضادة للقوى العقلية، ويراد به المعنى الجامع لقوة الغضب، والشهوة في الإنسان، وهذا الاستعمال غالب على أهل التصوف، فيما يتعلق الآخر بحقيقة الإنسان ذاته.

فإن نفس كل شيء حقيقته، أي جوهره. ويضيف: " إن أول ما يخلق عند الطفل هي النفس الشهوانية التي يشترك فيها مع الكائنات الحية الأخرى من نبات وحيوان، ثم تخلق له النفس الغضبية التي يشترك فيها مع الحيوان فقط، وأخيراً تخلق النفس العاقلة التي تنفرد عن الكائنات الحية الأخرى، ويكون التطابق على أساس مقابلة النفس الشهوانية مع النباتات، والغضبية مع الحيوان، والعاقلة مع الإنسان" (١).

ونقل نزار العاني قول ابن مسكويه من كتابه السعادة، أن " النفس ناسوتية، وهي الأصل في الإنسان، فإن تمت تركيبها بالذكر، والفكر، والرياضة صارت روحاً ترتقي إلى أن تكون سراً من أسرار سبحانه وتعالى، وقد تميل النفس إلى الطبيعة الجسدية، فتجذب القلب إلى الأسفل، وتأمره بإشباع الشهوات، وبالأخلاق السيئة، وقد تنتور وتتيقظ من الغفلة، وتعمل على إصلاح حالها، متقلبة بين حالتها الربوبية والخلقية، فإن صدر عنها فعل شيء تداركها النور التنبيهي الإلهي، في ضوء فطرتها المجبولة عليها، فنلوم نفسها وتتوب إلى خالقها، وقد تتخلق بالأخلاق الحميدة وتترفع عن الأخلاق الذميمة فيتنبور قلبها بالإيمان، وتواظب على فعل الطاعات". (٢)

(1) إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٥.

(2) الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، نزار العاني ص ٢٨.

أما ابن باجه الأندلسي^١ فيرى في كتابه "النفس" أنها "موهبة إلهية بها تبصر النفس الناطقة نفسها كما أنها ترى بقوة العين ضوء الشمس".^(٢) ويقرر ذلك ابن سينا فيقول: "فالنفس إذن جوهر لأنها صورة"^(٣).

"كما يضع فلاسفة المسلمين النفس الناطقة من النفس الإنسانية على رأس الملكات الإنسانية، بل ويسندون إليها رئاسة سائر قوى النفس، والرقابة عليها ويوقنون كذلك بقدرة هذه النفس على إدراك الحقيقة المطلقة بصورة يقينية"^(٤).

ويتبين من خلال ذلك أن فلاسفة المسلمين ينظرون إلى طبيعة النفس نظرة روحية، ويوافقون أرسطو والأفلاطونية بأنها من طبيعة عالم المثل وليست من قبيل العالم المادي، وأنها صورة.

ومن خلال ذلك يتبين بأن فلاسفة المسلمين تأثروا بصورة أو بأخرى بالفلسفة اليونانية، في نظرتهم إلى ماهية النفس.

*وحدة النفس الإنسانية:

ذهب فلاسفة المسلمون إلى القول بوحدة النفس، فقال ابن رشد "إن جوهر النفس وحقيقتها نشاط وإدراك عقلي، أي أنها عقل فعال".^(٥)

وينظر فلاسفة الإسلام إلى أن لكل جسم نفسه الخاصة، وأنه من المستحيل أن يحتوي الجسم الواحد على أكثر من نفس واحدة، وأن للنفس قوى منبثة في جميع أنحاء البدن وتنقسم هذه القوى لديه إلى قسمين رئيسيين، أحدهما موكل بالعمل، والآخر موكل بالإدراك^(٦).

*النفس لا تعدم وهي باقية:

ذهب بعض فلاسفة المسلمين إلى أن النفس قديمة على مذهب أفلاطون لأن البارئ تعالى عنده علة وجودها، والمعلول عنده لا ينعدم، فالنفس لا تنعدم.

وذهبت طائفة من محققيهم أن النفس محدثة وهو مذهب ابن سينا ولكن انفق الكل على أنها لا تنعدم، وبذلك أخبرت الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ

(١) ابن باجه الأندلسي: فيلسوف الأندلس، محمد بن يحيى بن الصانع الشاعر كان يضرب به المثل في الذكاء،

مات بفاس سنة ٥٣٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ج ٢٠، ص ٩٤.

(٢) الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي، ص ٢٤.

(٣) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الكتاب الثاني، طبيعة المعرفة، د راجح الكردي، ص ١٥٣.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٥) في النفس والعقل، ص ١١٤ - ١١٥.

(٦) انظر: طبيعة المعرفة، الكتاب الثاني، ص ١٥٤-١٥٥.

اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿المائدة آية ١١٩﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران آية ١٦٩)، وقال سبحانه في نفس الكافر: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (الأعلى آية ١٣) و (طه آية ٧٤) وقال تعالى في أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (الدخان آية ٥٦) .

وتخصص موسوعات الفلسفة الإسلامية كالشفاء لابن سينا وغيره مقالات مطولة لدراسة النفس دراسة مفصلة من حيث تعريفها، وتقسيمها إلى نفس نباتية، وحيوانية، وناطقة، ومن حيث قواها الظاهرة، والباطنة، ووحدتها، وكثرتها، وقدمها وحدوثها إلى آخر هذه الأبحاث التي تأثروا فيها بفلسفة أرسطو أو أفلاطون تأثراً واضحاً، وربما انفرد الفلاسفة المسلمون باستعمال خاص في قولهم بوجود "نفس" للنبات، فلم يعهد في الاستعمال العربي إطلاق "النفس" بمعنى القوى المحركة على النبات أو الجماد، وقد ذهب هؤلاء ومعهم الإمام الغزالي وبعض الأشاعرة إلى أن النفس ليست جسماً ولا عرضاً حلاً في جسم، وإنما هي جوهر مجرد قائم بذاته غير متحيز، وتعلقه بالبدن تعلق تحريك وتدبير فقط.

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أن النفس "جسم لطيف" يسري في البدن سريان الماء في العود الأخضر، ويرى الإمام النووي أن هذا المذهب هو الأصح عند علماء الحديث، وذهب البعض الآخر إلى أن النفس تحل في البدن كما يحل العرض في الجوهر. ويذهب أبو البقاء^(٢) في كلياته إلى أن القول بتجرد النفوس لا يتنافى مع شيء من قواعد الإسلام^(٣) .

(١) ابن سينا: العلامة الشهيد الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق ولد في صفر سنة ٣٠٧ ومات في رمضان ٤٢٨. انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٧، ص ٥٣١.

(2) أبو البقاء، هو الشيخ الإمام النحوي محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، صاحب التصانيف، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة، حاز قصب السبق في العربية، وكان ثقة، متديناً، حسن الأخلاق، من تصانيفه: (تفسير القرآن) وكتاب (إعراب القرآن)، وكتب أخرى كثيرة، توفي العلامة أبو البقاء في ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وست مئة، وكان ذا حظ من دين وتعبد وأوراد، انظر: سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٩٣.

(3) انظر: الموسوعة الإسلامية العامة، ص ١٤٠٩-١٤١٠.

المبحث الثالث

الإعجاز النفسي في القرآن

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : آيات الله في الأنفس.

المطلب الثاني : أثر القرآن في الأمن النفسي.

المطلب الثالث : وجوه إعجاز القرآن في حديثه عن النفس

المطلب الرابع : أثر سماع القرآن في النفس.

المطلب الأول

آيات الله في الأنفس

إن القرآن الكريم كتاب هداية، أنزله الله تعالى على محمد ٣ وللناس كافة يخاطب فيه عقل الإنسان، ووجدانه، ويعلمه عقيدة التوحيد، ويزكيه بالعبادات، ويهديه إلى ما فيه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية، ويرشده إلى الطريق الأمثل لتحقيق ذاته، ونمو شخصيته. وارتقاء نفسه إلى مدارج الكمال الإنساني حتى يستطيع أن يحقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية آية ٢٠)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس آية ٥٧)، ووجه القرآن الكريم نظر كل إنسان إلى نفسه قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ كما وجه نظره إلى ما حوله، فمرة يأمره بذلك مباشرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات آية ٢٠)، ومرة يوجه نظره عن طريق القسم بهذه النفس تنبيهاً إلى ما فيها من آيات مثل قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس آية ٧-٨) ومثل قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة آية ١-٢) وسواء كان توجيه النظر إلى آيات الله في النفس بهذا الأسلوب أو ذلك، فإن الغاية هي أن يتبين الإنسان الحق الذي قام عليه وجوده، ووجود السموات والأرض .

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت آية ٥٣) غير أن هذه الغاية البعيدة للنظر في آيات الآفاق وفي الأنفس - الاعتبار - لا تمنع من غاية أخرى قريبة؛ هي الانتفاع بتلك الآيات وتسخيرها، بل إن الخلافة في الأرض انتفاع واعتبار، كما قال عز وجل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل آية ٥-٦)، فذكر سبحانه غايتين لخلق الأنعام: المنفعة والجمال، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَنَّكُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (الواقعة آية ٧١-٧٣)، فذكر سبحانه غايتين لخلق الشجر، وخلق النار المتولدة منها بالاحتراق وهما: التذكرة والمتاع.

والتفكر في النفس الذي أمر به القرآن الكريم، يعني التفكير فيها بالمعنى العام الذي يقابل الآفاق، ويشمل الإنسان بجوانبه الجسمية، والروحية، وهو متضمن للمعنى الخاص.

وقد ذكرت بعض الآيات القرآنية نماذج من آيات الله في الأنفس، ونبهت على مواضع العبرة فيها وهي على ثلاثة أنواع:

١- نوع يرشد إلى نظر عمودي، يتأمل الإنسان من خلاله أطوار خلقه، ومراحل حياته مثل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون آية ١٢-١٦).

٢- نوع يرشد إلى نظر أفقي يتفكر الإنسان من خلاله فيما أودعه الله من آيات في أعضاء جسمه وملكات نفسه، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (البلد آية ٨-٩) وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن ١-٤).

٣- ونوع يرشد إلى نظر مقارن يقف الإنسان من خلاله على آيات الله في الأنفس والمجتمع، والعلاقة بينهما كالعلاقة بين آية انتشار الناس في الأرض، وآية الأسرة، وآية اللغة، وآية الحرف، والمهن، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم آية ٢٠-٢٣).

وقد جاءت السنة الكريمة مساندة لدعوة القرآن الكريم في التفكير في النفس، والنظر في آيات القرآن وأمثاله والاعتبار بها، وتحذر من الانحراف عن المنهج الذي يأمر بالتفكير في الخلق لا في الخالق، قال ٣: (يأتي شيطان أحكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) (١) (٢)

وجاء في سورة فصلت قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت آية ٥٣).

فكانت هذه الآية توجيهاً لأنظار غفلت عن قدرة الله تعالى، ولعقول ضلت الطريق الأقوم، فبعد أن وصفت الآيات السابقة ما عليه الإنسان من استمرار في طلب الخير، ومن

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح رقم ٣٢٧٦، ص ٦٨٦

(٢) انظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، ص ٦٦-٦٧.

يأس و قنوط إذا مسه الشر، ومن كبرياء و جحود وإعراض إذا بدل الله ضره رحمة، وبعد أن أشير إلى أن القرآن حق، وأنه من عند الله تعالى، وأن الضالين حقاً هم من لم ينظروا فيؤمنوا عن دليل، أو يجحدوا عن برهان، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (فصلت آية ٥٢).

"بعد كل ذلك توعدهم بأنه سيريهم آياته في الآفاق، فيشهدوا انتصار الدعوة المحمدية بعدد قليل من المسلمين، يتغلبون على دول ذات عدة و عدد، وحين يرون هذه العجائب في نشر الدعوة على أيدي فئة قليلة، يدركون مدى ما تصنع قوة الإيمان، ويتبين لهم أن دين الإسلام حق، وأن القرآن حق، وأن الثبات والاستقامة هما صفة الحق، والصدق، والاضطراب، والتزلزل صفة الفرية والزور، وأن للباطل ريحاً، تخفق ثم تسكن " (١)

ولئن كان أكثر العلماء حملوا (آيات الآفاق والأنفس) على ما يتصل بالدعوة، والقرآن، والإيمان بالله، فإن الآية مطلقة، وهي تنبيه للغافلين على النظر في ملكوت الله وعلى البحث في آفاق النفس، فإنهم سيرون من آيات الله - تعالى - ما ينتفي معه الشك، فيما جاء به الرسول ٣ من الدين الحق، والكتاب العربي المبين، وما وعد به من البعث للحساب والجزاء، "وينظر الإنسان، فيرى البشر قد كشفوا كثيراً منذ ذلك الحين، فقد تفتحت لهم الآفاق، وتفتحت لهم مغاليق النفوس في القدر الذي شاءه الله تعالى... وعرفوا عن النفس البشرية شيئاً لا يبلغ ما عرفوه عن الجسم؛ لأن العناية كانت متجهة بشدة إلى مادة هذا الإنسان، وآلية جسمه أكثر مما كانت متجهة إلى عقله وروحه، ولكن أشياء قد عرفت تشير إلى فتوح ستجيء... وما يزال الإنسان في الطريق! ووعد الله ما يزال قائماً" (٢).

ثم نزل آية قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات آية ٢١) فكان أدل على التنبيه، بل على التعنيف، وقد سبقها قوله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ (الذاريات آية ٢٠)، وجاء بعدها: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات آية ٢٢).

ففي الأرض آيات للموقنين، وفي الأنفس آيات، ولكنها ليست آيات للكسالى عن النظر، الغافلين عن عجائب صنع الله، ولا لمرضى القلوب، ضعاف الأفهام، بل هي آيات واضحات للذين ينظرون، فيمعنون النظر، ويقبلون على تعرف ما أودع الخالق في عالمهم الظاهر والباطن، بوجدان صادق، ونفوس راغبة، في الوصول إلى أقصى درجات اليقين .

(1) الكشاف، ج ٦، ص ٤٥٨.

(2) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣١٣١.

فما من ناظر في ظواهر النفوس من اختلاف الألسن والألوان، ومن دقائق التركيب في الخلقة، وعجائب اللطف في الحواس، ووظائفها التي لا يكاد التأمل فيها ينتهي إلى غاية، إلا لاح له غايات أخرى، وربما أشار الناظر إلى روائع منها، وإن كانت لا تعد شيئاً بجانب ما فيها من جلال.

ولعل النظر في كل أولئك أيسر على الدارس، وأهون على المتأمل من النظر فيما ركب في النفوس من عجائب الفطر، وما ركز من مخيلة، وحافظة، وذاكرة، وما تزخر من عواطف وانفعالات^(١).

والنفس الإنسانية على الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت لدراستها لا تزال مجهلاً لدى السالكين، مهما أوتوا من معرفة، وبصر، وقوة .

بل إن علم وظائف الأعضاء وهو يعتمد على التجارب الحسية لا يزال يكشف في النفس كل يوم جديد.

يقول سيد قطب - رحمه الله - عن عجائب النفس : "والعجائب في النفس الإنسانية لا يحصرها كتاب، فالمعلوم المكشوف منها يحتاج تفصيله إلى مجلدات، والمجهول منها أكثر من المعلوم، والقرآن لا يحصيها، ولا يحصرها، ولكنه يلمس القلب هذه اللمسة، ليستيقظ لهذا المتحف المعروض للأبصار والبصائر، وليقضي رحلته على هذا الكوكب في ملاحظة وتدبر، وفي متاع رفيع يتأمل هذا المخلوق العجيب الكامن في ذات نفسه، وهو عنه غافل مشغول.

فإن القرآن يمثل هذه اللمسة، يخلق الإنسان خلقاً جديداً، بحس جديد، ويمتعه بحياة جديدة، ويهبه متاعاً لا نظير له." (٢)

يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (الروم آية ٨).

وفي هذه الآية دعوة صريحة إلى التأمل، والتفكير وإطالة النظر في ثنايا النفس، وهذا التفكير سيهديهم حتماً أن ينتفعوا بما علموا إلى أن الله وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، أنه خلقهما بالحق، فلم يخلقهما باطلاً، ولا عبثاً، بل خلقهما لغرض صحيح، وحكمة بالغة، وأن لهذه المخلوقات أجلاً معلوماً تنتهي إليه، كما تنتهي نفوسهم إلى وقت معلوم، و"أن الكثرة من الناس لا يتفكرون في أنفسهم فيبقون في ظلام الجهل بما أودع الله

(1) انظر: القرآن والطبائع النفسية، ص ١٤، ١٥.

(2) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٧٩.

تعالى مما يدل على عظيم حكمته، وكامل قدرته، ويظنون بعيدين عن اليقين بالله، وبالبعث ... " (١).

يتضح من خلال ذلك جلياً أن الغرض من الدعوة للتفكير في النفس إنما هو الوصول إلى الحقيقة الكبرى، وهي خلق الله لهذا العالم، وعلى هذه الحقيقة تترتب حقائق أخرى يتحتم الإيمان بها، ومنها لقاء الله الذي لا ريب فيه.

فائدة:

ربط آية الذاريات وآية فصلت بحرف العطف في قوله تعالى: (وفي أنفسكم...) يبين الدلائل المؤكدة لوجود الله تعالى قائمة في النفس البشرية وحدها بما يعادل قيامها في الكون كله بكل آفاقه، وفي الأرض كلها، وبجميع أطرافها، وليس أدل على وجود قوة الله في النفس البشرية من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه آية ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد آية ٤).

لهذا دعا القرآن الكريم للتفكير في خلق الإنسان، ومن هو الخالق، فقال ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور آية ٣٥)، الجواب مستحيل أن يكون خلق الإنسان من دون قوة خالقة، بل من فعل قوة عظيمة مدبرة، مبدعة خلقته، وتلك القوة هي الله، إذ لا يوجد حتى الآن من ادعى أنه الخالق، أما الله - تعالى - فقد أكد أنه الخالق في مواضع كثيرة سواء من خلال وجود الإنسان بشكل عام، أو من خلال النفس فيه كأعظم قوة تسيّر هذا الإنسان. (٢)

ومن فوائد التفكير في النفس:

"زيادة الإيمان: فالتفكير في آيات الله، وفي الكون، وفي النفس ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الروم آية ٨)، وفيما خلق الله، هذه الميادين في التفكير، مهمة جداً للإنسان المسلم، وهذا التفكير رأس المال، وينتج بضاعة عظيمة جداً، فالثمرة الخاصة للتفكير العلم، وإذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب، تغيرت أعمال الجوارح.

فالعلم تابع للفكر، والفكر هو المبدأ، ينتج علماً، والعلم ينتج حالة في القلب من الخشية، والإحساس بالتقصير في حق الله، والرغبة والجد ينتجها العلم، فيؤدي هذا إلى زيادة أعمال الجوارح بالعمل، فيصلح الإنسان، ويعلو شأنه، ويتحسن حاله، وهذا من نتيجة التفكير". (٣)

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٩٩.

(2) انظر: خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن، ص ٤٨.

(3) سلسلة أعمال القلوب، الشيخ محمد صالح المنجد، ص ١٨٦.

المطلب الثاني

أثر القرآن على الأمن النفسي

الحياة كنوز ونفائس، وأعظمها الإيمان بالله، وطريقها منارة القرآن الكريم، فالإيمان إشعاعه الأمان، والأمان يبعث الأمل، والأمل يثمر السكينة، والسكينة نبع للسعادة، والسعادة حصادها أمن وهدوء نفسي، فلا سعادة بلا سكينة نفس، ولا سكينة نفس بغير إيمان القلب، فإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس الإنسانية البشرية والقلب الإنساني، فإن الإيمان بالله، وبالدار الآخرة هو دواؤها وغذاؤها، وضيائها.

والقرآن الكريم النبع الفيض الذي لا ينضب هو نور هذا الإيمان، والسلوك الأمثل الذي يجب على الإنسان أن يسلكه ويقتدي به.

" وتتحقق للمؤمن سكينة النفس وأمنها وطمأنينتها لأن إيمانها الصادق بالله يمهده بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته، وحمايته، لأن المؤمن دائم التوجه إلى الله - تعالى - في عبادته وفي كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، ولذلك فهو يشعر أن الله تعالى معه دائماً، وهو في عونه دائماً، وأن شعور المؤمن بأن الله - تعالى - في عونه يكفي بأن يبث في نفسه الشعور بالأمن والطمأنينة" (1).

الإيمان مصدر الأمان :

بين القرآن الكريم ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام آية ٨٢)، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد آية ٢٨)، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ (التغابن آية ١١) فعند حدوث المصيبة يبين الله - تعالى - مدى تحمل المؤمن لهذه الكارثة و" أن كل من آمن أنها من عند الله فرضي بذلك، وسلم لأمره هدى الله قلبه، فاطمأن، ولم ينزعج عند المصائب كما يجري ممن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات عند ورودها والقيام بموجب الصبر فيحصل له بذلك الثواب العاجل مع ما يدخره له يوم الجزاء من الأجر العظيم" (2).

ويتبين من خلال ذلك أن القرآن الكريم يربط كل عامل من عوامل الدنيا - التي تجعل الإنسان قلقاً بشأنها - بقوة العقيدة، وسلامة الإيمان، ونقاوته، وبذلك تخف الوطأة وتهون المصيبة، فهو يخاطب النفس بما يطمئنها، ويريحها، ويهدئ ثائرتها، ولا يمر القارئ

(1) القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، ص ٢٤٢.

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٦٤.

لكتاب الله بآية إلا ويلمس فيها سراً عجبياً، وعلاجاً مريحاً، يزيل عن النفس كابوس القلق والاضطراب.

وهناك نماذج كثيرة في القرآن الكريم تبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، منها قصة إبراهيم U عندما دعا إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التي دعا إلى نبذها، فقال الله - تعالى - على لسان إبراهيم - U - متعجباً!:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟﴾ (الأنعام آية ٨١) وقد عقب الله - تعالى - على ذلك حاكماً بين الفريقين فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام آية ٨٢) وقد فسر النبي ٣ الظلم في هذه الآية بالشرك، روى البخاري في صحيحة عن عبدالله قال: (لما نزلت ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، قال أصحابه : وأينا لم يظلم ؟ فنزلت ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان آية ١٣) ^(١) فبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، وبالتالي يكون الجحود بالله أو الشك فيه أو الشرك به أعظم أسباب الخوف، والاضطراب، والرعب، وصدق الله إذ قال: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ (آل عمران آية ١٥١) ^(٢) .

ويتبين من خلال ذلك أن الإيمان هو مصدر الأمان، فالناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرط في حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

الإيمان وأثره الجلي في طمأنينة النفس:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد آية ٢٨) "ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها للذين لم يعرفوها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها، ويندي بها ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجه ليس مفرداً بلا أنيس فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله، وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يجرمون طمأنينة الأُنس إلى الله، وليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ولم يلبسوا إيمانهم بظلم. ح رقم ٤٦٢٩، ص ٩٧١.

(2) انظر: الإيمان والحياة، ص ١٥٨.

هو حوله في الكون؛ لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون" (١) .

وهذا هو الأمن النفسي الذي لا يكون إلا بتذكر عظمة الخالق سبحانه، واستصغار ما دونه، فلا إله إلا الله: كلمة صغيرة في حروفها، سهلة في نطقها، لكنها عظيمة في مدلولها، كبيرة في معناها، عميقة في تأثيرها، فهي مطمئنة للنفس، مهدئة للأعصاب، ومسكنة للجيشان.

وقد جعل القرآن الكريم وهدى الرسول ﷺ محور هذا الأمن، الإيمان الذي مقره القلب، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنفس ومتطلباتها، كالأمن الصحي، والأمن النفسي، والأمن الغذائي، والأمن الاقتصادي، والأمن الأخلاقي، وغيرها... أو ما يتعلق بالمجتمع وترابطه كالأمن في الأوطان، والأمن على الأعراض، والأمن على الأموال والممتلكات وغيرها، أو ما يتعلق بالأمن على النفس من عقاب الله، ونقمة بامتنال أمره، وطاعة رسوله ﷺ واتخاذ طريق المتقين مسلكاً لكي تتفد النفس لكسب رضا الله، واستجلاب رحمته، والأمن من عذابه في نار جهنم وغيرها.

وكل هذه الأنواع من الأمن مطالب ملحة تسعى إليها البشرية في كل عصر، وفي كل مكان، وكل من حمل راية الزعامة في كل مجتمع وبيئة يدعو إليها، ويوصل هذا المدلول ما روي عن الرسول ﷺ : (نعمتان مجحودتان -وفي رواية- مغبون فيهما كثير من الناس - الصحة في الأبدان، والفراغ (٢)) (٣) .

وقد أشار كثير من المفكرين الغربيين في العصر الحديث إلى أن أزمة الإنسان المعاصر إنما ترجع أساساً إلى افتقار الإنسان إلى الدين والقيم الروحية، "فقد أشار المؤرخ أرنو لد توينبي A Toynbee إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث؛ إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي، وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه هو الرجوع إلى الدين.

وهكذا ترى أن للإيمان تأثيراً عظيماً في نفس الإنسان فهو يزيد من ثقته بنفسه، ويزيد قدرته على الصبر، وتحمل مشاق الحياة، ويبث الأمن والطمأنينة في النفس، ويبعث على راحة البال ويغمر الإنسان الشعور بالسعادة " (٤) .

(1) في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٠٦٠.

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة ح، رقم ٦٤١٢، ص١٣٦٦.

(3) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ص١٦١.

(4) القرآن وعلم النفس، ص٢٤١.

وقد جاءت دراسات منهم تقول: إن المسلمين لا يعرفون الانتحار المنتشر في بلاد الغرب، وبعضهم يطلق على أجيال ما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية أجيال القلق والضياع الفكري.

وتلمس ذلك في كثرة المصحات النفسية في ديارهم، وانتشار شركات التأمين على كل شيء يخشون ضياعه، أو حلول كارثة فيه، فاستغلت شركات التأمين التي أسسها ودعا إليها بوسائل إعلامية مختلفة مصاصو دماء الشعوب وهم اليهود، عندما استغلوا القلق الذي يعيشه أولئك الذين فرغت قلوبهم من الإيمان بالله، فسهل عليهم جذبهم إلى مصائدهم، واستغلال نقطة الضعف فيهم، وندرك بعضاً من سرّ عداوة اليهود للإسلام وأهله، كما أوضح الله عنهم في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة آية ٨٢) فاليهود وصفهم الله بشدة العداوة لأهل الإيمان؛ لأنهم يعرفون الله، ويعرفون الحق الذي أنزل على عباده، ويتركون العمل به قصداً وبسابق إصرار وعن علم ودراية، فلذلك كانوا أعداء الله ولأهل الإيمان (١).

ويتبين من ذلك أن الإيمان الحق هو السير في طريق الله للوصول إلى حب الله والفوز بالقرب من الله لتحقيق السعادة، والسكينة، والطمأنينة التي ينشدها ويسعى بها الإنسان لينعم بالأمن النفسي.

المطلب الثالث

وجوه إعجاز القرآن في حديثه عن النفس

إن القرآن الكريم هو الآية الأولى للرسول ٣ وهو معجزته الكبرى التي قدمها للناس، واعتبره دليلاً على رسالته للعالمين، وأن القرآن هو وحي الله إليه، فهو كلام الله سبحانه وليس من تأليف محمد ٣ .

وأن القرآن قد تحدى الكافرين، وطالبهم أن يقدموا من بيانهم، وكلامهم مثله، أو مثل عشر سور مثله، أو سورة مثله، أو سورة من مثله، ولكنهم لم يقدرُوا، وبذلك كان القرآن معجزاً لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء آية ٨٨)، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود آية ١٣)، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَن اسْتَطَعْتُمْ مِّن

(1) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ (يونس آية ٣٨)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (البقرة آية ٢٣).

فإعجاز القرآن حقيقة قاطعة وبديهية مقررة، أقر بها المسلمون والكافرون؛ المسلمون بتدبرهم القرآن وتذوقهم له، وإيمانهم به، والكافرون بإقرارهم بعجزهم عن معارضته، واعترافهم بإعجازه لهم.

ومن العلوم التي كثرت حولها البحوث والدراسات "أحوال النفس الإنسانية" وكان من المنطقي أن يتوجه علماء وباحثون مسلمون إلى القرآن الكريم؛ ليتعرفوا على حديثه عن النفس.

ووجد هؤلاء في القرآن الكريم آيات كثيرة، تتحدث عن النفس الإنسانية، وتعرض لصفاتها وأوصافها، والكتاب حافل بالآيات التي تصف النفس الإنسانية في مختلف حالاتها سوية وشاذة، وصاعدة وهابطة، وخيرة وشريرة، ومقبلة ومعرضة، ومؤمنة وكافرة، ولاصقة بالطين أو مرفرفة في عالم النور...^(١).

جوانب الإعجاز النفسي:

"كثيرون من علماء البلاغة، والتفسير، والقرآن في القديم والحديث، لاحظوا تأثير القرآن في القلوب، وأثره في النفوس فاعتبروا ذلك التأثير من وجوه إعجاز القرآن وعبروا عنه بعبارات متفاوتة"^(٢).

والإعجاز النفسي يتمثل في جانبين:

الجانب الأول: الحديث عن النفس الإنسانية، والجانب الثاني: تأثير هذا الإعجاز في النفس الإنسانية.

أما الجانب الأول: فقد تعرضت الباحثة له من خلال المباحث السابقة، ولكنها ستشير هنا لحديث القرآن عن النفس من جهة الإعجاز النفسي، وفي المطلب الرابع من هذا المبحث، ستحدث - إن شاء الله - عن تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات بإيجاز.

الجانب الثاني: حديث القرآن الكريم عن النفس الإنسانية:

كم كشف القرآن عن بواطن النفوس، وذوات الصدور، فلا يوجد كتاب مثله في تناوله للنفس البشرية، يكشف خبيئتها، ويقوم عوجها، ويصوب فكرها، ورأيها، ونظرتها

(1) دراسات في النفس الإنسانية، ص ٥.

(2) البيان في إعجاز القرآن، د. صلاح الخالدي، ص ٣٥٠.

للكون، والحياة، فالقرآن الكريم هو " كتاب تربية وتوجيه... وفي سبيل هذا التوجيه يكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه، وأسرار الكون من حوله، ويدعوه إلى دراسة هذه وتلك، ليعرف ويتعلم، ومن ثم يتجه الاتجاه الصحيح" (١) .

نماذج من الإعجاز في (المعلومات) النفسية:

يوجد في القرآن الكريم معلومات عن النفس الإنسانية كثيرة وشاملة، أكثر من أي علم آخر، وهذا يدل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ومن هذه النماذج:

١ - الازدواجية في الخلق الإنساني:

أشار القرآن الكريم، وهو يحدثنا عن خلق آدم U إلى أن الإنسان خلق من طبيعة مزدوجة؛ يتمثل فيها عنصران أساسيان مادبان، لهما أثر عظيم على نفس الإنسان، وتوجهها، وسيرها، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص آية ٧١-٧٢) لقد خلق الله هذا الكائن البشري من الطين، كما أن سائر الأحياء في الأرض خلقت من طين فمن الطين كل عناصرها، فيما عدا تلك النفخة العلوية التي جعلت منه إنساناً ونفخ الله من روحه فيه؛ لأن إرادته اقتضت أن يكون خليفة في الأرض؛ وأن يتسلم مقاليد هذا الكوكب في الحدود التي قدرها له، لقد أودعه القدرة على الارتقاء في المعرفة، ومن يومها وهو يرتقي كلما اتصل بمصدر تلك النفخة، فأما حين ينحرف عن ذلك المصدر العلوي، فإن تيارات المعرفة في كيانه، وفي حياته لا تتناسق، ولا تتجه الاتجاه المتناسق المتجه إلى الأمان" (٢) .

وينشأ من هذا الازدواج في طبيعة الإنسان أن بعض النفوس تجنح إلى المادة، وتلتصق بالطين، وتغرق في الوحل، وتتغمس في الشهوات، فتكون كالأنعام بل أضل! ولكن بعض النفوس تتخذ الجانب المادي الغليظ منها وسيلة للسمو الروحي وتتخذ من ذلك الجسم مركباً للإشراق، والارتقاء، وتحقق إنسانية الإنسان، وكرامته في عالم القيم والفضائل والمثل (٣) .

٢ - الازدواجية في الاستعداد الإنساني:

(1) دراسات في النفس الإنسانية، ص ٨.

(2) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٠٢٧.

(3) انظر: دراسات في النفس الإنسانية، ص ٢٠.

وهي قدرة الإنسان على السير في الطريق الذي يريده سواء حقاً أو باطلاً، وفي قدرته على الكسب والاكْتساب، سواء في مجال الخير أو الشر، وفي قوله تعالى ما يدل على هذه الازدواجية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس آية ٧-١٠) "ومن خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها، وأن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الاتجاه، فهو بطبيعة تكوينه من طين، ومن نفخة الله تعالى فيه من روحه، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز، والرسالات والتوجيهات، والعوامل الخارجية إنما توظف هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك.

وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان، هي التي تتاطب بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها، وتنمية استعداد الخير فيها، وتغليبها على استعداد الشر فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخباها وأضعفها فقد خاب" (١).

٣ - القرآن يمزق الحاجز النفسي:

ونأخذ هذا النموذج للإعجاز القرآني في المعلومات النفسية من الشيخ محمد متولي الشعراوي. فقد أشار الشعراوي إلى أن القرآن مزق حواجز الغيب بالنسبة للإنسان، وتمزيقه لحواجز الغيب مظهر من مظاهر إعجازه، ودليل على أنه كلام الله تعالى، ومن حواجز الغيب التي مزقها القرآن حاجز النفس الإنسانية: وهو ما يخفيه الإنسان داخل نفسه، حيث يكشفه الله - تعالى - للآخرين، ويطلعهم على ذلك الحديث النفسي المكتوم.

ومن أوضح الأمثلة على هذا: كشف القرآن ما في نفوس المنافقين، وإخبار الرسول ٣ ما سيقوله المنافقون في نفوسهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَبِنَسِ الْمَصِيرِ﴾ (المجادلة آية ٨) أخبر القرآن بما قاله المنافقون في أنفسهم عندما خالفوا أمر الرسول ٣ وعندما حرفوا له التحية (ويَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ) سمع المنافقون هذه الآية وعجبوا من إخباره عما في نفوسهم وسكتوا لأنهم قالوا ذلك في نفوسهم، ولو لم يقلوه في نفوسهم لكذبوا الرسول ٣ ولأعلنوا أنه يقول كلاماً غير صحيح.

(1) في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٩١٧.

فالقُرآن الكريم مزق حاجر نفوسهم ودخل داخلها وأخبر عما يدور فيها، إن هذا الإخبار القرآني والدخول إلى أعماق نفوس الكفار، دليل على أن القرآن هو كلام الله (١).
ويتبين من خلال ذلك أن هذا القرآن من عند الله، ولو كان من عند غير الله لما استطاع أن يصل إلى داخل النفس الإنسانية، وأن يمزق حجبها الداخلية، ويكشف الغيب الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه، وهناك أمثلة كثيرة، والباحثة ترى الاكتفاء بهذا القدر للاختصار.

المطلب الرابع

أثر سماع القرآن في النفس

القرآن الكريم فيه من عطاء الله ما تحبه النفس البشرية ويستميلها، إنه يخاطب ملكات خفية لا نعرفها نحن، ولكن يعرفها الله سبحانه وتعالى.
وهذه الملكات تتفعل حينما يقرأ القرآن؛ ولذلك حرص الكفار على ألا يسمع أحد القرآن، حتى الذين لا يؤمنون بالله، لأن كل من يسمع القرآن، سيجد له تأثيراً وحلاوة قد لا يستطيع أن يفسرها، ولكنها تجذبه إلى الإيمان، ومن هنا كان أئمة الكفر يخافون من سماع الكفار للقرآن أن يميلوا إليه، ولو كان القرآن لا يعطي شيئاً من هذا ولا يخاطب الملكات الخفية في النفس، لما اهتم الكفار بأن يسمعه أحدهم أو لا يسمعه، ولكن شعورهم بالقوة والقدرة للقرآن على النفس البشرية، جعلهم لا يمنعون سماع القرآن فقط، بل ويعتدون على من يتلوه، ولا يمكن أن يكون هذا هو مسلكهم وتلك طريقتهم إلا خوفاً مما يفعله القرآن الكريم في النفس البشرية، كيف يستطيع أن يؤثر فيها، وأن يجذب النفس الكافرة أو غير المؤمنة إلى الإيمان، وتلك من معجزات القرآن الكريم.

فتأثير القرآن الكريم في النفس البشرية هو الجانب الثاني من الإعجاز النفسي للقرآن الكريم، عندما تسمعه وتتفاعل معه حتى لو كانت نفس كافرة، وأشار القرآن الكريم في أكثر من آية إلى أثره في النفوس عندما تسمعه، بل إلى أثره في الجبال لو خاطبها الله به، فقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشرية ٢١) " والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره " (٢).

(1) انظر: معجزة القرآن، محمد متولي الشعراوي، ج ١، ص ١٠٨-١٠٩.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج ٥، ص ٣٢٣.

وأما الكفار فقلوبهم أفسى من الجبل، ولذلك لما سمعوا القرآن نفروا منه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (الإسراء آية ٤٥-٤٦) " وذلك من خور الإرادة والعزيمة، بحيث يخطر الخاطر في نفوسهم ثم لا يصممون، وتخطر معاني القرآن في أسماعهم ثم لا يتفهمون، وذلك خلق يسري إلى النفوس تدريجياً، تغرسه في النفوس بادئ الأمر شهوة الإعراض، وكرهية المسموع منه، ثم لا يلبث أن يصير ملكة في النفس لا تقدر على خلعه ولا تغييره " (١). كما أشار القرآن الكريم إلى إدراك الكفار لهذا الأثر، ولذلك تواصلوا على التشويش عليه، ومنع الآخرين من سماعه، وأن يحدثوا لغواً وضجة، ووضواء عند تلاوة الرسول ﷺ أو المؤمنين له، حتى يبقوا هم الغالبين قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ (فصلت آية ٢٦) "بعد أن وصف إعراضهم في أنفسهم انتقل إلى وصف تلقينهم الناس أساليب الإعراض، فالذين كفروا هنا هم أئمة الكفر يقولون لعامتهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، فإنهم علموا أن القرآن كلام هو أكمل الكلام، شريف معان، وبلاغة تراكيب، وفصاحة ألفاظ، وأيقنوا أن كل من يسمعه، وتداخل نفسه جزالة ألفاظه، وسمو أغراضه، قضى له فهمه أنه حق إتباعه، وقد أدركوا ذلك بأنفسهم، ولكنهم غالبتهم محبة الدوام على سيادة قومهم، فتمالؤوا، ودبروا تدبيراً لمنع الناس من استماعه، وذلك خشية من أن ترق قلوبهم عند سماع القرآن فصرفوهم عن سماعه .

وهذا من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكتموا أفواه الناطقين بالحق والحجة، بما يستطيعون من تخويف وتسويل، وترهيب وترغيب، ولا يدعوا الناس يتجادلون بالحجة، ويتراجعون بالأدلة؛ لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض، فهم يسترونها ويدافعونها لا بمثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحيل ورأوا بوارق الحق تخفق خشوا أن يعم نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد، وعدلوا إلى لغو الكلام، ونفخوا في أبواق اللغو والجعجة لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق، ويغمرون الكلام القول الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء " (٢).

أما القرآن فإنه واثق من أثره في النفوس؛ ولذلك طالب المسلمون أن يتلوه على الكافر المستجير، أن يسمعه إياه ليسلم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى

(1) التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ١١٦.

(2) المرجع السابق، ج ٢٤، ص ٢٧٦-٢٧٧.

يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ ﴿ (التوبة آية ٦). ولقد أثبتت كتب التاريخ، والتفسير، والسيرة نماذج كثيرة من تأثير القرآن في الكافرين، نكتفي بهذا النموذج الذي أورده ابن هشام في السيرة:

"إن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلمُ بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجلٍ منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجلٍ منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرحُ حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنسُ بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ﷺ؟ فقال أبو سفيان خيراً.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد ﷺ؟ فقال ماذا سمعت! تنازعنا نحنُ وبنو عبد مناف الشرفَ، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحيُّ من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه... " (١).

أما بالنسبة للمسلمين المؤمنين، فإن القرآن ترك على قلوبهم، ونفوسهم وكيانهم وحياتهم أثراً بالغاً.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر آية ٢٣) والمعنى: "أنهم إذا سمعوا بالقرآن، وآيات وعيده: أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده المغفرة: لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة" (٢).

(1) السيرة النبوية، ابن هشام: ٣٣٧-٣٣٨.

(2) الكشاف، ج٣، ص٣٩٥.

ومحمدٌ ٣ كان يتأثر وهو يتلو القرآن، ويتأثر وهو يسمع القرآن، ويبدو التأثر دموعاً غزيرة تذرّفها عيناه الشريفتان وهو أول من أنزل عليه.

إن للقرآن الكريم تأثيراً عظيماً في نفوس الصحابة قادم إلى الانتقال من الشرك والكفر والجاهلية إلى الإسلام، ومن أوضح الأمثلة على ذلك عمر بن الخطاب t الذي كان سبب إسلامه، سماعه القرآن من الرسول ٣ أو قراءته صحيفة فيها آيات من القرآن، فقد روى ابن هشام في قصة إسلام عمر وذهابه إلى أخته وزوجها سعيد بن زيد ليبتش بهما لإسلامهما، وأنه ضرب أخته وشج وجهها ثم رق قلبه، وأخذ الصحيفة التي فيها آيات من القرآن من سورة طه، " فقرأها فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. وتوجه إلى الرسول ٣ فأسلم. " (١)

ولقد كان للقرآن الكريم تأثير عجيب في نفوس غير العرب:

ذكر سيد قطب رحمه الله في تفسيره قصة حدثت له مع سيدة يوغسلافية، وتأثرها لدى سماعها آيات من القرآن الكريم أثناء قيامه بخطبة الجمعة، وإمامة الصلاة على ظهر سفينة مصرية، والركاب الأجانب معظمهم متعلقون يرقبون الصلاة، وبعدها جاء كثير منهم يهنئونهم على نجاح القداس!! أي الصلاة؟ فكانت سيدة من هذا الحشد شديدة التأثر، والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالك مشاعرها ولا تملك نفسها من التأثر العميق بهذه الصلاة، وما فيها من خشوع، ونظام، وروح! وموضع الشاهد في هذه القصة، قولها: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها "قسيكم"! فهي لا تتصور أن يقيم الصلاة إلا قسيس أو رجل دين كما هو الحال عندهم، وقالت: إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منه حرفاً.. إن الموضوع الذي لفت حسي هو أن الإمام كانت ترد في كلامه - بهذه اللغة الموسيقية - فقرات من نوع آخر، غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً.. هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعشة وقشعريرة! إنها شيء آخر كما لو كان - الإمام - من الروح القدس.

ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء الخطبة وفي أثناء الصلاة! وكانت مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً (٢).

(1) السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٩٥.

(2) انظر: في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٧٨٦.

وهكذا يتبين أن للقرآن الكريم تأثيراً عجبياً على النفوس، وسلطاناً قوياً على القلوب المؤمنة، والكافرة على السواء، وعلى نفوس العرب، والعجم على السواء، وهناك نماذج كثيرة ولكن أرادت الباحثة الاختصار.

يقول سيد قطب -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (السجدة آية ٢) .

"إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن؛ وتشفي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني يهتز ويرتجف ويتزائل ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلما تفتح القلب، وصفا الحس، وارتفع الإدراك، وارتفعت حساسية التلقي والاستجابة.

وإن هذه الظاهرة تزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان، ومعرفته بهذا الكون وما فيه ومن فيه، فليست هي مجرد وهلة تأثيرية وجدانية غامضة، فهي متحققة حين يخاطب القرآن الفطرة خطاباً مباشراً.

وهي متحققة كذلك حين يخاطب القلب المجرب، والعقل المتقف، والذهن الحافل بالعلم والمعلومات.

وإن نصوصه يتسع مدى مدلولاتها ومفهوماتها وإيقاعاتها على السواء كلما ارتفعت درجة العلم والثقافة والمعرفة، مادامت الفطرة مستقيمة لم تتحرف، ولم تطمس عليها الأهواء، مما يجزم بأن هذا القرآن صنعة غير بشرية على وجه اليقين وأنه تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين" (١) .

(1) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣٨٠.

الفصل الثاني

صفات النفس الإنسانية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : كسب النفس للخير والشر وجدالها
وجزاؤها .

المبحث الثاني : صفات النفس الإنسانية .

المبحث الأول

كسب النفس للخير والشر وجدالها وجزاؤها

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : كسب النفس للخير والشر.

المطلب الثاني : جدال النفس.

المطلب الثالث : جزاء النفس.

المطلب الأول

كسب النفس للخير والشر

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان بنعم كثيرة، وخصه بها دون سائر المخلوقات، ومن هذه النعم ما آتاه الله تعالى من القدرات والذكاء والفطنة، التي بها يتمكن من أن يميز بين الطيب والخبيث وبين الخير والشر، فعلم الإنسان بتوجيه من خالقه، بأن هناك طريقاً هادياً للخير والعدل، وأن هناك طريقاً ملتوياً مائلاً إلى الشر والضلال، فبالعقل ينتهي الإنسان عن قبيح الأخلاق وفحش الأفعال التي تهوي به إلى الدرك الأسفل من الضلال.

يقول تعالى: ﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (الزمر آية ٤١) ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك والبيان الذي بيناه لك، فضلاً عن قصد المحجة، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله وأليم عقابه والخزي الدائم في دركات الجحيم، فمن عمل بما فيه الخير فإنما بغى الخير لنفسه، إذا أكسبها رضا خالقها، وفاز بالجنة ونجا من النار (١).

ويتبين من ذلك أن العاقبة في الدنيا والآخرة لأهل الهداية والاتباع والصبر .

وكون الإنسان مزدوج الطبيعة التكوينية، ومزدوج الاستعداد والاتجاه، فإنه ولا شك عرضة للاستجابة إلى ما يحيط به من مؤثرات خارجية مناهضة لطبيعته الخيرة، التي فطر عليها، فهو وإن كان مستعداً للخير بفعل طبيعته الخيرة الكامنة والمركوزة في أعماق نفسه إلا أنه أيضاً في الوقت ذاته مستعد للشر وعرضة له بفعل طبيعة الشر الموجودة والمركوزة في محيطه الذي يعيش فيه، حيث تتعدد منابعه ومصادره، ولا ينجو منه إلا من رحم الله تعالى.

الخير والشر في طبيعة الإنسان:

وبعد أن يعرفنا دين الفطرة بطبيعة كل من الخير والشر، وطريقة كل منهما نراه يأمرنا تكليفاً باتباع الخير، وكل طريق موصل إليه، وينهانا عن الشر وكل طريق قد يوصل إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان آية ٣) " فبعد أن ركبه وأعطاه الحواس الظاهرة والباطنة، بين له سبيل الهدى والضلال، فأعطاه الحواس الظاهرة والباطنة والتحلي بها متقدم على الهداية، والمعنى أريناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بإنزال الآيات ونصب الدلائل" (٢) ووصف سبيل الخير بالرفعة بخلاف سبيل الشر، فإن فيه هبوطاً من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

(1) انظر: جامع البيان، ج ٢٤، ص ٨.

(2) روح المعاني، ج ٢٩، ص ٢٦٢.

أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ ﴿التين آية ٤﴾ " نأخذ من هذه الآية أن الإنسان مخلوق على حالة الفطرة الإنسانية التي فطر الله النوع ليتصف بآثارها، وهي الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكاً مستقيماً. وتفيد الآية أن الإنسان مفطور على الخير وأن في جبلته جلب النفع والصلاح لنفسه وكرهه ما يظنه باطلاً أو هلاكاً، ومحبة الخير والحسن من الأفعال؛ لذلك نراه يسر بالعدل والإنصاف، وينصح بما يراه مجلبة لخير غيره." (١).

فميزان الله دقيق يعرفنا بما هو خير وبما هو شر، فما رغب به ودعا إليه فهو الخير، وما نفر منه ودعا إلى حظره ونهى عنه فهو الشر، فالخير والشر من طبيعة الإنسان فهو ليس كما قالت النظرية التحليلية إنه شر، وليس كما قالت الإنسانية إنه خير قط والشر طارئ، ولكن الخير والشر في طبيعته، وذلك قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (الشمس آية ٧-٨). (٢) "أي" طريقَي الخير والشر، وبيننا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي، فهذه المنن الجزيلة تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله ويشكره على نعمه وأن يستعين بها على معاصي الله، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك" (٣).

والنفس الإنسانية بما فيها من عناصر البقاء والنمو والارتقاء تبقى سوية متزنة ما دام إشباع الحاجات الإنسانية ضمن الإطار الرباني الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده، فما دام الإنسان يستجيب لدوافعه وميوله ورغباته حسبما تقتضيه الشريعة السمحة الغراء، فإنه يبقى سوي الفطرة، سوي النزعة، سوي الخلق والخلق.

فمراقبة النفس، وملاحظة ما يجري في داخلها، والتعرف على غرائزها، وطبائعها، ونزعاتها، وميولها، وعواطفها، وقواها، كل ذلك يمكنه أن يدرك الخير والشر، والعلم الصحيح سبيل اليقين الثابت، ووسيلة الخلق الفاضل، قال تعالى: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم آية ٣٠) "وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين؛ وكلاهما من صنع الله؛ وكلاهما موافق لناموس الوجود؛ وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه" (٤).

وذهب بعض المفسرين أن فطرة الإنسان متجهة للخير، والشر يأتيها من خارجها، ومن العلماء الناظرين في القرآن أيضاً من يرون أن الإنسان خلق قابلاً للخير والشر،

(1) التحرير والتتوير، ج ٣٠، ص ٤٢٦.

(2) الإرشاد النفسي الديني، أسامة المزيني، ص ٤٣.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٢٥.

(4) في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٧٦٧.

ويستدلون بقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس آية ٨) وبقوله تعالى في شأن الإنسان: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ وبقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان آية ٢) ولا دليل في هذه الآيات على أن الفجور طبيعة وجبلة في النفس؛ لأن معنى الإلهام هنا الإفهام، فإله تعالى قد أودع في النفس الإنسانية العقل الذي يدرك طريق الفجور، كما يدرك طريق التقوى.

فنسب الفعلين زكى ودسى إلى الإنسان، وكذلك لا حجة في الآيتين الأخيرين لأن معنى الهداية فيهما الإرشاد إلى الطريقتين طريق الخير والشر ولا تدل الهداية على أن ذلك مودع في نفس الفطرة، وبعض المفسرين يرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ (الإنسان آية ٣) أن ذلك إرشاد إلى الخير فقط، لأن السبيل لا يطلق إلا على الهدى، ويفسر المطلوب من هداية السبيل، بأنه نصب الدلائل، وبعث الرسل، وإنزال الكتب.

فالفطرة خيرة بطبيعتها، وما أودع فيها من الغرائز كان لخير الإنسان وإسعاده، وأن هذه الغرائز لو أشبعت في وقتها المناسب مع إبعاد عوامل الإفساد عنها لأمن انحرافها، ولكن المشاهد في هذه الحياة أن الغرائز لسبب أو لآخر تظما، وتطلب ما يروي غلتها، ثم تحوطها أسباب الشر من كل جانب فتتحرف عن الطريق السوي، وتخرق الأسوار الحصينة التي أقيمت لتحول بينها وبين الترددي في مهاوي الضلال والغواية^(١).

ويتبين من خلال ذلك أنه ما دامت طبيعية النفس خيرة، فإنها تجد الهدوء والطمأنينة، وتشعر بالهدوء والراحة حين تفعل الخير، وسر ذلك أنها وجدت ما يوافقها فرضيت، كما أنها حين تقترف الرذيلة تجد ما يخالفها فتألم وتحزن، وكذلك تستريح حين ترى الفضيلة في غيرها وتألم حين ترى الرذيلة.

ولعل من أقوى الأدلة أن فطرة الإنسان خيرة، ما يجده المرء في نفسه من وخز الألم وحرقة الندم، عندما يقترف أي حماقة من حماقات لا سيما عند مزاولتها لأول مرة، وكل إنسان - مهما كانت البيئة التي نشأ فيها - يدرك بسليقته، إن كان العمل الذي أقدم عليه طيباً أو خبيثاً، والفطرة مصدر للفضائل، ومما يدل على ذلك قول الرسول ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء^(٢) هل تحسون فيها من جدعاء - مقطوعة الأذن والأنف -^(٣)) ، ثم يقول أبو هريرة t :

(1) انظر: الطبائع النفسية، ص ٢٠-٢١.

(2) الجمعاء التي لم يذهب من بدنها شيء، انظر: معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٢٥.

(3) الجدعاء، مقطوعة الأذن والأنف، انظر: المصباح المنير، ج ١، ص ١٠١.

﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(١) فليست الغريزة في نفسها مصدر شر، بل هي مصدر خير، ولو ترك الإنسان مع غرائزه، وأبعدت عنه كل المؤثرات الخارجية التي تعين على الشر لنشأ فاضلاً خيراً، وفي قول الرسول ٣ ما يرشد إلى ذلك مثل قوله: (والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس)^(٢) .

ويتبين من خلال ذلك أن الأخلاق الفاضلة في ذاتها لها وزنها وقيمتها، ولو لم ترتبط بأي اعتبار، مما يدلنا على أن النفس تدرك بطبيعتها الخيرة جمال الفضيلة وقبح الرذيلة، وهذا تأكيد على أن الفطرة تهدي صاحبها إلى الحق وتوجه أحاسيسه إلى الخير وبها يستطيع أن يميز بين الخير والشر إن كانت فطرة نقية يقظة.

لطيفة:

"من دقائق القرآن أنه لم يقتصر على اللسان ولا على الشفتين خلاف عادة كلام العرب أن يقتصروا عليه،... فأعقب ما به اكتساب العلم وما به الإبانة عن المعلومات، بما يرشد الفكر إلى النظر والبحث وذلك قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (الشمس ٧-٨) وقد استعيرت الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضار والنافع، وهو أصل التمدن الإنساني، وأصل العلوم والهداية لدين الإسلام إلى ما فيه الفوز، واستعير النجدان للخير والشر، وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير، فغلب على الطريقين، أو لأن كل واحد صعب باعتبار، فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه"^(٣) .

والفطرة الإنسانية خيرة بما فيها من خصائص، وسمات، وصفات، وغرائز، وطبائع، والإسلام هو المنهاج المناسب الملائم، يقول سيد قطب -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين آية ٤) "ذلك أن الإسلام يعتبر الأصل في الفطرة هو الاستعداد للخير، فالإنسان خلق في أحسن تقويم، وإنما يرتد أسفل سافلين حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه وبينه له، وتركه ليختار أحد النجدين"^(٤) .

وتخلص الباحثة من ذلك إلى أن النبع الأصل الذي ينبغي أن يُرجع إليه في قياس الخير و الشر، في كيان الإنسان، هو فطرة ذلك الإنسان، وفطرة الإنسان تتركز على بناء

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح رقم ٦٦٥٠، ص ١٣٠٨.

(2) المرجع السابق، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، ح رقم ٦٤١٢، ص ١٢٦٦.

(3) التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٣٥٥، ٣٥٤.

(4) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٣٣ .

حقيقة النفس البشرية من جسم وروح مترابطين، وحيث يحكم الجسم هذا المزاج المجتمع المترابط، فإنه لا يلغي وجود الروح، ولكنه يطمس عليها ويكبت إشعاعاتها التي تُضفي السمو والرفعة على الكيان الجسدي، وبذلك فإن هذا الترابط وهذا المزاج قد يكون محكوماً بالجسد تارة، وتارة يكون محكوماً بالروح، أي يكون شريراً تارة وخيراً تارة.

المطلب الثاني

جدال النفس

وصف الله تعالى الإنسان بأنه أكثر شيء جدلاً، وهذا يدل على مبلغ قدرته على الحيلة الفكرية، التي تمكنه من أن يجادل بالحق أو بالباطل، ويكر ويفر ويرaug في المجادلة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف آية ٥٤) واضح من ظاهر لفظ الآية (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) أن الجدل صفة من أكثر صفات الإنسان لزوماً، ويدل على هذا استخدام صفة التفضيل أكثر، وبما أن اختيار الألفاظ في القرآن يتم بدقة تتناسب مع علم الله سبحانه وتعالى - خالق هذا الإنسان - فلا بد من الحصول من هذه الآية على أهم مفتاح من مفاتيح النفس البشرية، ألا وهو ميل هذه النفس إلى الجدل. "يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء، فإن الإنسان كثير المجادلة والمخاصمة، والمعارضة للحق بالباطل، إلا من هداه الله وبصره." ^(١) والسبب في كون الإنسان أكثر شيء جدلاً أن القدرات الفكرية التي زوده الله بها قد مكنته من استخدام حيل كثيرة، تعتمد على الإظهار، والإخفاء، والمرادغة، والمخادعة بمكرٍ عظيم، فهو بذلك قادر على أن يكون طويل النفس في المجادلة بالحق أو بالباطل.

يضاف إلى ذلك قدرات النطق والتعبير التي زوده الخالق بها، والتي يستطيع بها تصريف كلامه في كل باب من أبواب القول بالحق أو بالباطل.

وحين تدفعه أهواؤه الجامحة وشهوته الجانحة إلى تجاوز دوائر الحق والعدل والخير والفضيلة، ويظل مع ذلك حريصاً على أن يظهر أمام الناس بمظهر الكمال، تتولد عنده الرغبة الشديدة بأن يثبت سلامة تصرفه وصحة منهجه في الحياة، فيلجأ إلى خطة التزيين والتبرير بالباطل، فإذا وجد مخالفة أو معارضة لجأ إلى خطة الجدل، وفي الجدل يصنع ما يصنع المقاتل راغباً بالانتصار على خصمه، لا حريصاً على الوصول إلى الحق بالمناظرة الشريفة العفيفة، ولقد عرف الإنسان منذ نشأته الأولى المداورة والمحاورة في

(1) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج٦، ص٣١٩٩.

القول، ومرن على الجدال مهما اختلفت مستويات ثقافته؛ لأنه يرى في الجدال منفذاً ينفذ منه إلى إقناع الآخرين بالحق أو بالباطل، ليستجيبوا له أو ينصروه، وبذلك يتغلب على خصمه المخالف له.

ومن أغرب مظاهر الجدل عند الإنسان مجادلته ربه يوم القيامة، مع المكابرة في إنكار أقوى الأدلة التي تتوجه ضده، فيحاول الإنسان - رغم معرفته ويقينه بصدق الموقف - أن يجادل عن نفسه، وهنا يأمر الله سبحانه وتعالى جوارح هذا الإنسان أن تشهد عليه بما فعلت فتشهد، ومع ذلك لا يكف الإنسان عن الجدال، فيتجه باللوم نحو أعضاء جسده قائلاً ومستكراً: ﴿لم شهدتم علينا﴾ (فصلت آية ٢١) فترد هذه الأعضاء ﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ (فصلت آية ٢١) (١).

وتحقيقاً لقواعد العدل الرباني تُعطى يوم القيامة كل نفس حق الدفاع عما كسبت، وقواعد العدل في المحاسبة تقتضي منح حق الدفاع؛ لذلك تأتي كل نفس تجادل عن نفسها يوم القيامة عند الحساب، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل آية ١١١) "يوم تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها، وتحتج بما أسلفت من خير أو شر أو إيمان وكفر (وتُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) في الدنيا من طاعة ومعصية" (٢).

"والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام، والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، ومنه سُمي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه علم الجدل" (٣).

وهكذا يكون جدال النفس عن ذاتها لا يهمها شأن أحد غيرها، ليس لأحد يحاج عن أحد، لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوج، كل نفس تخاصم عن ذاتها وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير وشر أو إيمان وكفر، كل نفس وإن عظم جرمها تجادل، وتعتذر بأقصى ما تقدر عليه بمفردها لا يهمها غير نفسها.

(1) انظر: الأخلاق الإسلامية، ج ١، ص ٣٦٥.

(2) جامع البيان، ج ١٤، ص ١٨٥.

(3) التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٩٤.

موقف الإسلام من الجدل:

"ولما كان الإنسان أكثر شيء جدلاً، كان موقف الإسلام بيان واقعه هذا بوصفه فطرةً من الفطر الربانية، مع اتخاذ الوسائل الكفيلة بتهذيبه، للاستفادة من الخير الذي قد ينجم عنه، وتقادي الشر الذي يفضي إليه، فنهى عن الجدل بالباطل ونهى عن الجدل في أمور الدنيا إلا عند الضرورة، خشية أن يورث الأحقاد والضغائن، وأوصى بالجدال بالتي هي أحسن للتعريف بالحق الذي انزله الله على رسوله" (١)، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِّبِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل آية ١٢٥) "بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له، ولا تقبيح حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا تشعر بالهزيمة" (٢).

هذا هو المنطق العام للمنهج الذي رسمه الإسلام للمسلمين في جدالهم، حينما تدعوهم ضرورة التعريف بالحق إلى اتخاذ وسيلة الجدل.

المطلب الثالث

جزاء النفس

ولما كانت النفس عاملة كاسية لما يصدر عن الإنسان، وذات إدراك ووعي كامل للخير والشر كانت مسؤولة ومكلفة، والجزاء هو ثمرة المسؤولية والتكليف، لذلك كان من صفات النفس أنها تلام وتُمدح، وتُجازى على الخير خيراً، وعلى الشر شراً وتُوفى يوم القيامة ما كسبت وإذا اكتسبت شراً كانت الظالمة، وهي المظلومة من قبل ذاتها.

ولما كانت مسؤولة ومكلفة مجازاة على أعمالها، كان لا بد في فترة ابتلائها من أن تكون موضوعة للمراقبة الدائمة، والمراقبة تستتبع تسجيل أعمالها؛ لذلك فهي تجد ما عملت من خير وشر محضراً مسجلاً قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ (آل عمران آية ٣٠) "يعني يوم القيامة يُحضر للعبد جميع أعماله من خير ومن شر، فما رأى من أعماله حسناً سره ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغازه، وود لو أنه تبرأ منه وأن يكون بينهما أمد بعيد." (٣) وقواعد العدل في الجزاء تقتضي المحاسبة قبل المعاقبة، وقواعد العدل في المحاسبة تقتضي منح حق الدفاع؛ لذلك تأتي كل نفس تجادل عن نفسها كما

(1) الأخلاق الإسلامية، ج ١، ص ٣٦٩.

(2) في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٢٠٣.

(3) تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٣٥.

تحدثت الباحثة في المطلب السابق، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (النحل آية ١١١) .

" وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر فلا يُجزى المحسن إلا بالإحسان ولا المسيء إلا بالذي أسلف" (١) .

"والظلم يعني الاعتداء على الحق، وأطلق هنا على مجاوزة الحد المعين للجزاء في الشر والإجحاف عنه في الخير؛ لأن الله لما عين الجزاء على الشر ووعده بالجزاء على الخير صار ذلك كالحق لكل فريق، والعلم بمراتب هذا التحديد مفوض لله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف آية ٤٩). " (٢)

وبما أن من صفات النفس أنها مكلفة ومسؤولة ومسؤولية شخصية فهذا التكليف يستتبع المسؤولية ويستتبع الجزاء، وقد اثبت القرآن ذلك للنفس الإنسانية، وأثبت أن مسؤوليتها مسؤولية شخصية، وقد دل على قانون الجزاء عدة نصوص قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية آية ٢٢) "ليثيب الله كل عامل بما عمل من عمل - خالق السموات والأرض - المحسن بالإحسان والمسيء بما هو أهله، لا يبخس المحسن ثواب إحسانه، ولا يحمل عليه جرم غيره، فيعاقبه أو يجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فيكرمه، ولكن يجزي كلاً بما كسبت يده وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم" (٣) .

لطيفة:

في قوله تعالى: (بِمَا كَسَبَتْ) "الباء للتعويض وما كسبته النفس لا تجزي به، بل تُجازى بمثله وما يناسبه، فالكلام على حذف مضاف أي بمثل ما كسبته، وهذه المماثلة مماثلة في النوع، وأما تقدير تلك المماثلة فذلك موكول إلى الله تعالى ومراعى فيه عظمة عالم الجزاء في الخير والشر ومقدار تمرد المسيء وامتنال المحسن، بخلاف الحدود والزواجر، فإنها مقدرة بما يناسب عالم الدنيا من الضعف، ولهذا أعقبه بقوله تعالى: (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)، فضمير "وهم" عائد إلى كل نفس، فإن ذلك الجزاء مما اقتضاه العدل الذي جعل سبباً أو ملابساً لخلق السموات والأرض وما فيهما، فهو عدل فليس من الظلم في شيء، فالمُجازى غير مظلوم، وبالجزاء أيضاً ينتفي أثر ظلم الظالم عن المظلوم، إذ لو ترك الجزاء لاستمر

(1) جامع البيان، ج ١٤، ص ١٨٥.

(2) التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٣٠٣.

(3) الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ١٥٦.

المظلوم مظلوماً" (١).

ومن الواضح في المفاهيم الإسلامية، وقواعد العدل الربانية أن المسؤولية عن السلوك مسؤوليته شخصية، لا تحمل مواريث الأصول الأقربين والأجداد والآباء الأولين، ولا تتحمل نصيباً من سلوك الأهل والأقارب والعشيرة المعاصرين ولا تورث تبعاتها للذري القادمين، وقد دل على ذلك عدة نصوص منها قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام ١٠٤) "بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق فما انقاد له ولا تواضع، فإنما مضرة عماه عليه" (٢).

ولما كانت مسؤولية كل نفس مسؤولية شخصية لزم أن لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ﴾ (البقرة آية ٢٥٤) فأخبر تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه، فإنه لا ينفع قرابة قريب، ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهباً، ولا تنفعه خلة أحد (٣).

ولما كانت الغاية من خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا امتحانه، وكانت أعماله فيها مظهراً لما تكسبه نفسه، وكان عدل الله يقتضي توفيته جزاءه، كان لا بد من وجود آخره توفى فيها كل نفس ما كسبت، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة آية ٢٨١) "يعظ عباده، ويذكرهم بزوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها، وإتيان الآخرة، والرجوع إليه تعالى، ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر، ويحذرهم عقوبته" (٤) قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام آية ١٦٤) "إخبار من الله تعالى عن واقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى، وحكمه، وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد، وهذا من عدله تعالى" (٥).

لذلك كانت العقوبات المعجلة التي تنزل بالإنسان إنما تنزل به بسبب من نفسه، أي بما كسبت نفسه، قال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ

(1) التحرير والتنوير جزء ٢٥ ص ٣٥٦ .

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٦٩ .

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم ج ١، ص ٤٥٦ .

(4) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٩٨ .

(5) نفس المرجع، ج ٢، ص ٢٩٦ .

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ (آل عمران آية ١٦٥) أي من قبلك، ومن عملك أنت وذنوبك، فالنفس العاقلة هي التي تحسب حساب المستقبل فتتظر ماذا قدمت وتجتهد في تقدير الأعمال الصالحة، حتى تنال الأجر العظيم عند الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر آية ١٨) وهو تعبير ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه ومجرد خطورته على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله بل صفحة حياته، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها وينظر رصيد حسابه بمفرداته وتفصيلاته لينظر ماذا قدم لغده، فهذه الصفحة وهذا التأمل كفيل بأن يوقظه إلى مواضع ضعف، ومواضع نقص، ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير وبذل من جهد، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلاً، ونصيبه من البر ضئيلاً؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكف عن النظر والتقليد! ^(١).

وأثبت القرآن أن كل نفس تكون يوم القيامة رهينة بما كسبت حتى تحاسب ويُقرر مصيرها، إلا أصحاب اليمين فهم في جنات يتساءلون ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر آية ٣٨)، وطبيعي أن تجد يوم القيامة كل نفس ما عملت من خير أو شر محضراً مسجلاً، لأن ذلك هو المستند لمحاسبته، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ (آل عمران آية ٣٠) أي في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من عملها من خير وشر وفي هذا اليوم يُحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر، ^(٢) وهنالك تظهر كل نفس ما أسلفت من عمل في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ (يونس آية ٣٠).

فالنفس الظالمة حين تجد هول عقابها، تتمنى لو أنها تملك ما لتفتدي به، لافتدت به، ولو كان ما في الأرض جميعاً قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس آية ٥٤) "الله أن يبعثكم فكما ابتداء خلقكم ولم تكونوا شيئاً كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم وإذا كانت القيامة (لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَّا فِي الْأَرْضِ) بالكفر والمعاصي جميعاً (مَّا فِي الْأَرْضِ) من ذهب وفضة وغيرهما لتفتدي به من عذاب الله ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ ولما نفعها ذلك وإنما النفع والضرر والثواب والعقاب على الأعمال الصالحة والسيئة (وَأَسْرُوا) أي: (الذين ظلموا الندامة لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) ندموا على ما قدموا (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ)

(1) في ظلال القرآن ج ٦، ص ٣٥٣١.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٥٣٥.

أي العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه" (١) .
ويتبين من خلال ذلك أن كل إنسان مسئول عن عمله، وحسابه على خالقه، وأن
الإنسان في هذه الحياة يسعى جاهداً من أجل حياة مطمئنة، ومستقرة، وهنيئة، وملينة بالبهجة
والأمن والأمان.

فالحياة الطيبة جعلها الله سبحانه وتعالى جزاء الإيمان والعمل الصالح، لا يهم أن تكون
ناعمة رغبة ثرية بالمال؛ فقد تكون به وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال
تطيب بها الحياة : فيها الاتصال بالله، والثقة به، والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه،
وفيهما الصحة والهدوء، والرضى والبركة وسكن البيوت ومودات القلوب، قال تعالى:
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل آية ٩٧) " وهذا وعد بخيرات الدنيا وأعظمها الرضى بما قسم
لهم وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم، وهذا مقام دقيق
وتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب
همهم وآمالهم، ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا، وقد عقب بوعد جزاء الآخرة بقوله تعالى:
(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) " (٢) .

وهذه مفاهيم تستدعي تعميقها في النفوس لتنهأ بالحياة التي تريد، وتسعى جادة في
سبيلها، وما النفس إلا الإنسان بكامل كيانه، وبمجملي تكوينه وبنياته.

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٨٤ .

(2) التحرير والتنوير ج ١٤، ص ٢٧٣ .

المبحث الثاني

صفات النفس الإنسانية

النفس الإنسانية كما نعيها ونفهمها أنها جسد وروح، عقل وقلب، سوية بحكم الطبيعة والفطرة، إنها عالم ضخم انطوى فيه العالم الأكبر، وهي بما أودع الله تعالى فيها من الغرائز والطباع والفطرة، والسمات والصفات، والخصائص الإنسانية الفريدة، تعتبر منبع طاقات الإنسان الجبارة ومنبع استعداداته وقدراته المختلفة، سواء الفطرية الراسخة منها في الأعماق أو المكتسبة المتعلمة بفعل التجربة والمراس وعملية التربية والتعليم، ومما ينبثق عادة من عملية التنشئة الاجتماعية من تبني أعراف، وعادات وتقاليد وقيم وأحكام وموازن ومعايير.

إن القرآن الكريم هو كتاب متخصص في التعامل مع النفس، ذلك أن الإسلام دين هداية للناس، فهو يتعامل بالدرجة الأولى مع النفوس البشرية، ويكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه، وخصائصها، وصفاتها المحمودة والمذمومة.

وستتناول الباحثة في هذا المبحث أبرز الصفات للنفس الإنسانية.

أولاً: صفات النفس الإنسانية الفطرية:

ومن أبرز هذه الصفات:

١ - الضعف :

بالرغم من كمون الخير ووجوده في أعماق النفس البشرية، وقدرة الإنسان صاحب النفس على تمييز الخير من الشر، بل توجيهها لذلك الخير، إلا أنه مخلوق ضعيف بفعل الخلق والجبلة، والضعف من مكونات الإنسان، إذ تتصف النفس الإنسانية بالضعف، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء آية ٢٨) في كل شيء، لأنه خلق من ضعف، ويؤول إلى ضعف، أسير جوعه، صريع شبعه " يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحزنه، وقيل : عاجز عن مخالفة الهوى وتحمل مشاق الطاعة، وقيل : ضعيف الرأي لا يدرك الأسرار والحكم إلا بنور إلهي، وقيل: إن المراد ضعيف الخلقة يؤلمه أدنى حادث نزل به" (١).

فأضعفه قد خفف الله - تعالى - تكليفه ولم يتقل عليه " وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته" (٢).

(1) روح المعاني، ج٥، ص٢٢.

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص١٦٤.

وكان الضعف هو مادة خلق الإنسان ولكن بالمجاهدة يقوى الإنسان، لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم آية ٥٤) فأساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف " أي خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ إذا أخذ منكم السن، وقرئ بضم الضاد في الكل وهو أقوى لقول ابن عمر - رضي الله عنهما - قرأتها على رسول الله ﷺ فأقراني (من ضُفِع) (١) .

"وحسب الإنسان ضعفاً أنه عُرِضَ لَأَنْ يَنْسِيَ بَعْدَ الْعِلْمِ، وَيُجْنَ بَعْدَ الْعَقْلِ، وَيَمْرُضَ بَعْدَ كَمَالِ الصَّحَّةِ، وَيَشِيخُ وَيَهْرَمُ بَعْدَ الشَّبَابِ، وَأَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَمُوتَ بَعْدَ الْحَيَاةِ، فَلْيَعْرِفْ قَدْرَهُ، وَلْيَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ" (٢) .

فالإنسان معرض لاتباع الهوى وما تميل إليه النفس من شهوات وملذات، ويفعل ما قد تبعث عليه وتتبه إليه مثيرات المحيط التي تلفه، وما إلى ذلك من مؤثرات قد تبعث على الشر والطغيان.

٢ - الشح :

وقد دل على أن الشح من الصفات المرافقة للنفس الإنسانية بوجه عام، قوله تعالى: ﴿وَأَحْضَرْتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء آية ١٢٨) أي أن النفوس جبلت على الشح، وأن الشح قد أحضر في داخل الأنفس بالتكوين الفطري لها، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك، فينبغي عليكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، فدل هذا النص القرآني على أن الشح من الصفات الملازمة للإنسان، فهو في بذله قتور، وإقتاره مع سعة ما يملك، سببه تخوفه من الفقر (٣) .

٣ - الهلع :

ووصف الله تعالى الإنسان بأنه خلق هلوعا، وفسر القرآن الهلع الموجود في فطرة الإنسان بأنه: سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير، من قولهم ناقه هلوع سريعة السير، وهذا الأمر من الأمور الجبلية والطبائع الكلية المندرجة فيها تلك

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ج٥، ص٣٦١.

(2) الأخلاق الإسلامية، ج١، ص٣٧٣.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص١٩٩.

الصفات بالقوة ، ^(١) واستثنى من هذا الوصف من كان مؤمناً به، عابداً لربه ذا صلة مستمرة بمراقبته، مبتعداً عما حرم، قائماً بما فرض عليه، فيخبر الله تعالى عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (المعارج آية ١٩) ثم فسره بقوله: ﴿ ذَا مَسَّةٍ شَرُّ جَزُوعًا ﴾، أي إذا أصابه الضر فزرع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، و﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ أي: إذا حصلت له نعمة من الله تعالى بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.

فهذه الآيات تصف الإنسان بالجزوع عندما يمسه الشر، والمنوع عندما يمسه الخير في ظروف معينة، فهي تكمل خصوصية الهلع الشخصي والنفسي؛ إذ تتميز النفس البشرية في مواقف الشر والشدة عنها في مواقف الانفراج والرخاء ^(٢).

"والهلع : صفة غير محمودة، فوصف الإنسان هنا بها لوم عليه في تقصيره عن التخلق بدفع آثارها " ^(٣).

ولا بد هنا من الإشارة إلى الفارق بين الهلع الموروث كسمة نفسية، وبين الجزع أو الامتناع كصفتين ناتجتين عن تلك السمة.

ويتبين من ذلك أن جذور الهلع موجودة داخل النفس الإنسانية، وهذا الهلع ليس صفة عرضية على شخصية الإنسان، بل هي خصلة أو خصوصية من خصوصيات خلقه، وتندرج في بنيته منذ نشأته الأولى، فهذه الصفة لا يعصمه منها إلا عنصر الإيمان بالله تعالى، الذي يصله بمصدر يجد عنده الطمأنينة التي تمسك به من الجزع عند ملاقاته الشر، ومن الشح عند امتلاك الخير.

٤ - القدرة على إخفاء المطالب والمشاعر:

من صفات النفس القدرة على إخفاء مطالبها ومشاعرها، وقد وردت هذه الصفة في آيات عديدة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ (المائدة آية ٥٢) "ولما كان الإسرار لا يكون إلا لما يخشى من إظهاره فساد، وكان يطلق على ما دار بين جماعة خاصة على وجه الكتمان عن غيرهم، بين أنه أدق من ذلك وأنه على الحقيقة منعهم خوفهم من غائلته، وغرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج فقال: (في أَنفُسِهِمْ) أي

(1) انظر: روح المعاني، ج ٢٩، ص ١٠٥.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٦١٤.

(3) التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ١٧٠.

من تجويز محو هذا الدين وإظهار غيره عليه. " (١) قال تعالى ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (يوسف آية ٧٧) "يعني الكلمة التي بعدها، وهي قوله: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاتًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف آية ٧٧) قال هذا في نفسه، ولم بيده لهم، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر" (٢).

وقد بين الله سبحانه أنه مطلع على خفايا النفوس وأن النفس إذا أخفت الشر والمعصية عن الناس، فإن هذا لا يخفى على علام الغيوب، قال تعالى: ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ (البقرة آية ٢٣٥) يعني أضمرتم في أنفسكم، فكل شيء سترته فقد أكننته (٣).

وهكذا فإن القرآن الكريم قد بين طبيعة النفس البشرية بكل وضوح ودقة كما لم يبينها علم النفس الحديث رغم هذا التقدم والتطور العلمي، ولا يعرف حقيقة النفس البشرية وكنهها إلا خالقها.

٥ - الإرادة والاختيار :

فالنفس الإنسانية ذات إرادة حرة غير مجبرة، وهذه أهم صفات النفس وخصائصها، ولو شاء الله سبحانه لجعل لجميع النفوس طريقاً واحداً هو طريق الهدى، لكن إرادة الله تعالى اقتضت ألا يكون الإنسان مجبوراً على فعل شيء، بل جعل فيه طبيعة خاصة يملك معها الهدى والضلال، ويؤدي دوره في هذا الكون بهذه الطبيعة الخاصة التي فطره الله تعالى عليها، ويكون جزاؤه إذا سلك طريق الضلال العقاب في نار جهنم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ (السجدة آية ١٣) " على طريق الإلجاء والقسر، ولكننا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار، فاستحبوا العمى على الهدى " (٤) وقد بينت الباحثة في المبحث السابق من هذا الفصل، (٥) أن النفس لديها القوة والفطرة الطبيعية لإدراك الخير من الشر والتمييز بينهما.

٦ - الإدراك على اختلاف مستوياته:

دللت النصوص القرآنية على أن الإدراك العلمي على اختلاف مستوياته من الصفات التي تتصف بها النفس الإنسانية، ففي مستوى اليقين وصف القرآن الحالة النفسية لفرعون

(1) نظم الدرر، البقاعي ج٢، ص٤٨١.

(2) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٧١٦.

(3) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج١، ص٢١١.

(4) الكشف، ج٣، ص٢٤٢.

(5) انظر: ص٦٢ من هذه الرسالة.

وقومه أمام الآيات التي جاءهم بها موسى **ل** قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ (النمل آية ١٤) " (وَجَحَدُوا بِهَا) أي: كفروا بآيات الله جاحدين لها، (وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ) أي: ليس جردهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جردهم مع علمهم ويقينهم (ظُلْمًا) منهم لحق ربهم ولأنفسهم " (١).

"فائدة ذكر الأنفس، أنهم جحدوها بألسنتهم، واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان" (٢).

وفي مستوى الظن الباطل، نجد أن القرآن قد تحدث عما كان في نفوس طائفة من المنافقين في غزوة أحد، من ظنون باطلة جاهلية دفعتهم إلى الهم، وإطلاق مقالات الكفر والردة، قال تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (آل عمران آية ١٥٤) فحدثتهم أنفسهم بما يدخل عليهم الهم، وذلك بعدم رضاهم بقدر الله، وبشدة تلهفهم على ما أصابهم وتحسرهم على ما فاتهم مما يظنونهم منجياً لهم لو عملوه، (٣) وبين هذين المستويين الأعلى والأدنى سائر المستويات الإدراكية التي من خصائصها معرفة طريق الفجور وطريق التقوى.

٧ - الوسوسة:

ومن صفات النفس الإنسانية أنها توسوس، وتحدث نفسها بما فيها من الشر والخير، وهذه الوسوس لا يحاسب الإنسان عليها ما لم يقلها أو يفعلها، فالإنسان عندما يخلو لنفسه يلاحظ أنها توسوس له بالخير أو بالشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنُّنٌ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق آية ١٦) فعلم الله تعالى متجدد، يعلم ما تحدث به نفس الإنسان من وسوس وخواطر، ولا يخفى عليه شيء، دلالة على التحذير من إضرار ما لا يرضي الله - تعالى - (٤).

فمن خلال الآية نعلم أن الله تعالى يعلم ما في صدورنا، وما تحدث به أنفسنا، ولذلك ينبغي أن نكون متيقظين من أن نفع الشر الذي حدثت به أنفسنا، فوسوسة النفس هي

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٥٨.

(2) التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٨٤.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٣٤.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٩٩.

وسوسة الشيطان، ومهمة الشيطان دوماً هي غواية الإنسان وتضليله، حتى يصبح كل حرام حلالاً لديه، فيخسر الدنيا والآخرة.

ولما كانت النفس محطة يستقر بها الشيطان شيئاً فشيئاً، فإنها ذاتها تعيش حالة الشيطان في الوسوسة، وإذا هيمن الشيطان على نفس الإنسان أعانه على الاستمرار في نسيان ذكر الله، قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (المجادلة آية ١٩) (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) فغلب على عقولهم بوسوسته وتزيينه حتى اتبعوه فكان مستولياً عليهم، فهو عدو للإنسان في أمر دينه ودنياه كلها، الذي يزين للنفس أعمالها، ويحاول إلهاء المؤمن عن عبادة ربه، ويفعل ذلك بأسلوب الغواية وليس التنفير، أي أنه يخدع بني آدم، وتكفي الاستعاذة بالله منه للخلاص (١).

فالوسواس الشيطانية هدفها الوحيد هو إبعادنا عن الصراط المستقيم، وطريق الهداية الذي سيأخذنا ويسير بنا إلى الجنة، فعلى الإنسان أن يداوم على ذكر الله تعالى فذكر الله تعالى، والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تكفي لدفع وسوسته، واتقاء شره للخلاص منه، لقوله تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (الأعراف آية ٢٠٠) نسأل الله تعالى أن يعصمنا من وسواس الشيطان، والوقوع في شبابه.

٨ - الظلم:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس آية ٥٤) إن من صفات النفس الإنسانية أنها تظلم نفسها، وتظلم غيرها، والظلم هنا معناه الشرك كما فسره النبي ﷺ في الحديث (٢)، والظالم لنفسه هو الذي غلبت حيوانيته على روحانيته فبالغ في غذاء جسمانيته، وقصر في غذاء روحانيته حتى ماتت روحه، واستولت عليه حيوانيته. فالنفس الإنسانية عندما تظلم نفسها بشركها وكفرها بالله تعالى، لو استطاعت أن تغتدي بالمال والكنوز من النار لما بخلت على نفسها، ولكنها عندما ترى النار تتدم على ما فعلت من الظلم، وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم في تأثيره على النفس الإنسانية بظلمها، وعبادتها لغير الله، وظلمها في هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادة، وتركها طاعة من يجب عليها طاعته من قليل أو كثير.

(1) انظر: روح المعاني، ج ٢٨، ص ٤٨.

(2) انظر: ص ٥٨ من هذه الرسالة.

ويتبين من ذلك أن القرآن الكريم قد أثر في النفس الإنسانية بأن أبرز ندم النفس على ما صنعت من ظلم وكفر بالله، حتى يحتاط المؤمن لآخرته، وينيب إلى ربه.

٩ - الضيق والحرَج:

وأثبت القرآن أن الضيق والحرَج من الصفات التي قد تتصف بها النفوس، وهذا يدل على أن ضد ذلك وهو الاتساع والانتشاح من الصفات التي قد تتصف بها أيضاً، ففي ربط صدق الإيمان بتحكيم رسول الله ﷺ في الأمور القضائية التي اختلط أمرها، والتسليم التام لحكمه، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء آية ٦٥) أي: "إذا حكموك يطيعونك في مواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلموا تسليماً". (١)

وفي شأن الثلاثة الذين خلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ لغزوة تبوك، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ (التوبة آية ١١٨).

(حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ) أخر أمرهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض (بِمَا رَحُبَتْ) أي: برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم، وعدم مجالستهم ومحادثتهم لأمر النبي ﷺ لهم بذلك، وهو مثل لشدة الحيرة، والمراد أنهم لم يقرؤا في الدنيا مع سعتها، فهم منها في حرج وضيق، فكأنما هي وعاء لهم تضيق بهم، ولا تسعهم، وتضغطهم فيتركب أنفاسهم (٢).

١٠ - التحسر والندم:

وأثبت القرآن أن مشاعر التحسر والندم من الصفات التي قد تتصف بها النفوس، قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ (فاطر آية ٨) يعزي الله تعالى رسوله ﷺ ويسليه بتقرير هذه الحقيقة له، حتى يستقر قلبه الكبير الرحيم المشفق على قومه مما يراهم في ضلالهم، ومصيرهم المحتوم بعد هذا الضلال، وحتى يدع ما يجيش في قلبه البشري من حرص على هدايتهم، يرفق الله تعالى برسوله ﷺ من وقعه في حسه، فبين له أن هذا ليس من أمره، إنما هو من أمر الله تعالى، وهذه حالة يعانيتها الدعاة كلما أخلصوا في

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٧٥.

(2) انظر: في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٧٣٢.

دعوتهم، وأدركوا قيمتها وجمالها وما فيها من الخير، ورأوا الناس في الوقت ذاته يصدون عنها ويعرضون، ولا يرون ما فيها من الخير والجمال، والأولى أن يدرك الدعاة هذه الحقيقة التي واسبى بها الله تعالى نبيه ٣ فيبلغوا دعوتهم باذلين فيها أقصى الجهد، ثم لا يأسون بعد ذلك على من لم يقدر له الله الفلاح والصلاح (١).

والنفس الظالمة هي التي تتحسر يوم القيامة على ما فرطت في جنب الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر آية ٥٦).

١١ - الصبر والجزع:

وأثبت القرآن أن الصبر من الصفات التي تتصف بها النفس، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (الكهف آية ٢٨) لا تمل ولا تستعجل، اصبر نفسك، " احبسها وثبتها، يُقال صبرت زيدا أي حبسته" (٢) وإثبات هذا لها على سبيل الاحتمال يقتضي أنها لا تصبر، أي: فهي قد تضجر، ولذلك خاطب الله تعالى رسوله ٣ بقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ يأمر تعالى نبيه محمدا ٣ أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين (الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) "أول النهار وآخره يريدون بذلك وجه الله، فوصفهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى" (٣).

١٢ - الغفلة والجهل:

يتبين من النظر في آيات الله البينات أن النقص في النفس البشرية إنما ينشأ عن الغفلة، كما تنشأ الغفلة من جبلة في النفس فطرت عليها، وخُلقت فيها، لذلك فإن الغفلة آفة ونقص تظهر في حركة النفس، والحركة هنا في مقابل السكينة كما أن الغفلة في مقابل الفطنة واليقظة.

"فيرى علم النفس الإسلامي أن الغفلة باب لنسيان الحق، ومنبع للأنانية والشره، وقسوة القلب، وإنه من طول استحواذ الغفلة على الإنسان يأتي النفاق والكذب وأباطيل الشيطان، وثمره الغفلة الخيانة، وغلبة الأهواء" (٤).

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٩٢٧، ٢٩٢٨.

(2) روح المعاني، ج١٥، ص٣٧٧.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٠٩.

(4) نحو علم نفس إسلامي، محمد عثمان نجاتي، ص١٢٣.

ولذلك فإن أصحاب القلوب السليمة الذين لا يغفلون عن ذكر الله وشكر الله (سبحانه وتعالى) يخلدون إلى الراحة، وينعمون بالطمأنينة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء آية ٨٩).

وكونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية الداعية للظلم، والشهوية الداعية للجهل بعواقب الأمور، وتكلفتها والتزامها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة، فهو ظالم لنفسه حيث استعد لأن يحمل أمراً عظيماً، وجاهل بها حيث لم يعرف حقيقتها، ولم يدرك منها سوى الصورة الحيوانية المتصفة بالصفات البهيمية من الأكل والشرب والنكاح فكان مفراطاً في الظلم مبالغاً في الجهل، ^(١) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب آية ٧٢) أي أن الإنسان يظلم نفسه بالعصيان، ويجهل ما عليه من العقاب.

فالظلم: "الاعتداء على حق الغير، والجهل: انتفاء العلم بما يتعين علمه،... ويجوز أن يُراد ظلوماً جهولاً في فطرته، أي في طبعه الظلم، والجهل، فهو معرض لهما ما لم يعصمه وازع الدين" ^(٢).

ويتضح مما سبق أن النفس الإنسانية إذا ابتعدت عن طريق الله تعالى أصابتها الغفلة وحجب القلب عن المعرفة، ورجع الإنسان إلى جبلته من الجهل، وما دام الإنسان بعيداً عن الغفلة، متجنباً الأهواء، فإنه ينعم بلذات عظيمة، فكما تنعم البطون بلذات الأطمعة، تنعم القلوب بلذات الفكر، والذي يتذوق هذه اللذات حقاً من رضي بالله ربا، فيحيا حياة هنيئة بالرضا مع الله تعالى، ويجد حلاوة ذلك في قلبه ونفسه وعقله جميعاً.

ثانياً: صفات النفس الإنسانية الشيطانية:

وللنفس أوصاف تُعرف بها، وأشكالا ظاهرة تتشكل بها، وأمانى شيطانية تمضي إليها، ومظاهر لا تستطيع الخلاص منها إلا بمشيئة الله تعالى، وهذه الأوصاف التي تتميز بها النفس الإنسانية تختلف عن سائر المخلوقات، وقد ابتليت بها نفس الإنسان لحكمة إلهية، ولا تزول عنها إلا عن طريق الرياضة والمراقبة لله، والمحاسبة، والمجاهدة، والإخلاص في النية، والصدق في القول والعمل.

وهذه الأوصاف المذمومة: هي ادعاء الربوبية، وحب المدح، وأخلاق الشياطين، والبهيمية.

(1) انظر: روح المعاني، ج ٢١، ص ١٣٩.

(2) التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٣٠.

يقول أبو طالب المكي ١: "النفس مبتلاة بأوصاف أربعة متفاوتة:

أولها : معاني صفات الربوبية نحو الكبر وحب المدح.

ومبتلاة بأخلاق شيطانية مثل الخداع والحيلة والحسد.

ومبتلاة بطباع البهائم، وهي حب الأكل والشرب والنكاح.

وهي مع ذلك مطالبة بأوصاف العبودية مثل الخوف، والتواضع." (٢) ومن هذه

الأوصاف ستكتفي الباحثة بالتحدث عن أخلاق الشياطين والبهيمية وستعرض للحديث عن

الكبر وحب المدح- الغرور- في الفصل الثالث، إن شاء الله تعالى.

١ - أخلاق الشياطين:

كما أن من أوصاف النفس الأخلاق الشيطانية التي تتمثل في الخداع، والغش،

والحقد، والحسد، والحيلة، والغيرة، والنميمة، وسوء الظن، وحب الأذى، وهذه الأخلاق قد

ابتليت بها النفس الأمارة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ (النساء آية ١١٧)

فالشيطان مخلوق خبيث، ويغري بالفساد والمكيدة والشر والغواية، ويتمرد على معاصي الله،

وهو الذي أمرهم بذلك، وحسنها لهم وزينها، لأنهم إذا أطاعوه فيما سول لهم فقد عبدوه، وهو

شيطان الوهم حيث قبلوا إغواءه وأطاعوه (لعنه الله وأبعده عن رياض قربه) ووصف الشيطان

بالتمرد لتجرده للشر.

فما يعبد المشركون من دون الله تعالى إلا أوثاناً لا تنفع ولا تضر، وما يعبدون

إلا شيطاناً متمرداً على الله، بلغ في الفساد والإفساد حداً كبيراً (٣).

٢ - البهيمية:

الوصف الثاني للنفس طبع البهائم من حب الشهوة، واللذات من منكح، ومأكل

ومشرب، ووصف الإنسان بالبهيمية يهبط به للجهل وعدم التمييز، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف آية ١٧٩)

فهم لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، فهم كالأنعام، وهي

(١) الإمام الزاهد العارف شيخ الصوفية محمد بن علي بن عطية المكي المنشأ العجمي الأصل له كتاب

(قوت القلوب) توفي في جمادي الآخرة سنة ٣٨٦. انظر: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٥٣٦.

(2) الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان المعاصر، ص١٨٩-١٩٠.

(3) انظر: تيسير الرحمن الكريم، ص١٩٥.

البهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح وما لا يصلح، ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر، ثم وصفهم فقال: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا) أي لا يعلمون بها الخير والهدى. (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا) طريق الحق وسبيل الرشاد، (وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا) مواضع القرآن فيتفكرون فيها، ويعتبرون بها، ثم ضرب لهم مثلاً في الجهل والاقتصار على الأكل والشرب، فقال: (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) أي: كالأنعام في أن همتهم في الأكل والشرب والتمتع بالشهوات، بل هم أضل لأن الأنعام تميز بين المضار والمنافع، فلا تقدم على المضار، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة، مع العلم بالهلاك، (أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).^(١) إذا مروا بالحياة لا تلتقط قلوبهم معانيها وغاياتها؛ ولا تلتقط أعينهم مشاهدتها ودلالاتها؛ ولا تلتقط آذانهم إيقاعاتها وإيحاءاتها، فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية، الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره^(٢).

ويتبين من ذلك أن النفس إذا عرفت هذه الأوصاف وابتعدت عنها، تبدلت حياتها أمناً، وغفلتها سكيناً، وعجلتها يقيناً، وشرها عفة ورضاً، فتكون بذلك قد خالفت طبيعتها وانتصرت على أوصافها المذمومة، وتحلت بأوصافها المحمودة. وتربية النفس وتهذيبها تؤدي إلى ترقى النفس من درجة إلى درجة ومن منزلة إلى منزلة إلى أن تصل الدرجة التي يحبها الله تعالى ويرضى عنها.

(1) انظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل، البغوي، ج ٢، ص ٣٣٦.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٣١٩.

الفصل الثالث

آفات النفس وآثارها في القرآن الكريم

وفيه تسعة مباحث :

المبحث الأول : آفة الاستكبار .

المبحث الثاني : آفة الهوى .

المبحث الثالث : آفة العجب .

المبحث الرابع : آفة الخوف .

المبحث الخامس : آفة الحسد .

المبحث السادس : آفة الغرور .

المبحث السابع : آفة الرياء .

المبحث الثامن : آفة العجلة .

المبحث التاسع : آفة الغضب .

المبحث الأول

آفة الاستكبار

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الاستكبار .

المطلب الثاني : أسباب الاستكبار.

المطلب الثالث : صفات المستكبر والأعمال التي تعد

من الكبر .

المطلب الرابع : أثر الاستكبار على النفس البشرية .

المطلب الأول تعريف الاستكبار

الاستكبار لغة:

الإستكبار في اللغة: هو إظهار العظمة، والتجبر والاستكبار: التعاضم، ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف آية ١٤٦) والمتكبرون "يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة لا تكون إلا خاصة لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر، لأن الناس في الحقوق سواء، فليس لأحد ما ليس لغيره". (١)

الاستكبار اصطلاحاً:

هو حالة تدعو إلى الإعجاب بالنفس، والتعاضم على الغير، بالقول أو الفعل وهو: من أخطر الأمراض الخلقية، وأشدّها فتكاً بالإنسان، وأدعاها إلى مقت الناس له وازدراءهم به، ونفرتهم منه، والتكبر مرض يعشش في أرجاء النفس، وينمو ويتعرعرع في حناياها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (الفرقان آية ٢١) وفي قوله تعالى (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) وجهان:

أحدهما : تكبروا في أنفسهم لما قل في أعينهم من إرسال محمد ٣ نبياً إليهم .

الثاني : استكبروا في أنفسهم بما اقترحوه من رؤية الله ونزول الملائكة عليهم. (٢)

وقال أيضاً: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ (غافر آية ٥٦) أي: يريدون الاستعلاء بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم، وهذا لا يتم وليسوا ببالغيه، فكل من جادل الحق مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل، فالكبر خلق يزينه الشيطان لضعفاء ومرضى النفوس، فينفخ فيهم حتى ينتفخ أحدهم ويرتفع كالبالون؛ فنتلاعب بهم الأهواء ويكونون عرضة للسقوط والتلاشي في أي لحظة (٣)، وعرفه لنا خير البرية ٣ فيما رواه عنه عبدالله بن مسعود t قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: إن الله جميل يحب الجمال،

(1) لسان العرب، ج ٥، ص ١٥٣.

(2) انظر: النكت والعيون، ج ٤، ص ١٤٠.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٨١٨.

الكبر بطر الحق و غمط الناس) (١) .

وفي هذا الحديث تخويف للنفس من الاستجابة لدواعي الكبر، وبيان دقيق لحقيقة الكبر المذموم، وأنه ليس في الشكل واللباس، وإنما هو فيما يستقر في القلب من احتقار للآخرين، وإعراض عن قبول الحق، فقوله ٣ (الكبر بطر الحق) أي دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً، وردة على قائله، وأما قوله: (غمط الناس) فهو احتقارهم (٢) .

ومن الواضح أن الإستكبار من الأمراض الأخلاقية الخطيرة، الشائعة في الأوساط الاجتماعية، التي سرت عدواها، وطغت مضاعفاتها على المجتمع، فغدا يعاني مساوئها الجمة.

المطلب الثاني

أسباب الاستكبار

الأخلاق البشرية كريمة كانت أو ذميمة، هي انعكاسات النفس على صاحبها، وفيض نبعها، فهي تشرق وتظلم، ويحلو فيضها، ويمر تبعاً لطيب النفس أو لؤمها، استقامتها أو انحرافها، وما من خلق ذميم إلا وله سبب من أسباب لؤم النفس أو انحرافها. ومن هذه الأسباب:

- ١ - مغالاة الإنسان في تقييم نفسه، وتتمين مزاياها، وفضائلها، والإفراط في الإعجاب والزهو بها، مثال ذلك النمروذ يوم أن قال: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ﴾ (البقرة آية ٢٥٨).
- ٢ - التكبر بالعلم، فلا يتكبر إلا إذا أنس من نفسه علماً وافراً، فيرى نفسه أنه أكثر علماً، وأن الآخرين جهلة لا قيمة لهم، فالعلم من أعظم ما يتكبر به، لذلك خاطب الله تعالى نبيه ٣ بقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء آية ٢١٥).
- ٣ - التكبر بالعمل والعبادة، فيظن أن مقامه أعظم عند ربه، وأن الناس هالكون وهو الناجي،
- ٤ - التكبر بالحسب والنسب، فالذي له نسب شريف يحتقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً.
- ٥ - التفاخر بالجمال، وأكثر ما يجري ذلك بين النساء، ويدعوهن إلى التتقيص والغيبة وذكر العيوب.
- ٦ - التكبر بالمال، فلا يتكبر إلا إذا أنس من نفسه ثراءً ضخماً، أو جاهاً عريضاً، أو منصباً رفيعاً، فيتعالى على الفقراء والمساكين ويحتقرهم، ومن ذلك تكبر قارون، إذ قال تعالى إخباراً عن تكبره: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح رقم ١٦٧، ص ٦٦.

(2) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د مصطفى الخن وآخرون، ج ١، ص ٤٤٥.

لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ (القصص آية ٧٩).

٧- التكبر بالقوة وشدة البطش، وهذا يتكبر به على الضعفاء. ومن الآيات التي تتحدث عن فرعون، وتصور لنا حبّ الجاه وأعماله الجنونية حيث خاطب موسى **U** قائلاً: ﴿قَالَ لئن اتَّخَذتَ إِيَّاهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ بلا شك، أنّ فرعون بادعائه للربوبية لم يكن من السذاجة بدرجة لا يدرك فيها دعوة موسى **U** المنطلقة من التعريف بالله ربّ العالمين، فهو الحاكم على أرض مصر الوسيعة.

٨- التكبر بالأتباع والأنصار والأقارب، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين.

٩- وقد ينشأ الكبر من بواعث العداوة أو الحسد أو المباهاة، مما يدفع المتصفين بهذه الخلال إلى تحدي الأمائل والنبلاء، وبخس كراماتهم، والتطاول عليهم بصنوف الإزدراءات الفعلية أو القولية، كما يتجلى ذلك في تصرفات المتنافسين في المحافل والندوات.

وبالجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالاً، وإن لم يكن في نفسه كمال، أمكن أن يتكبر به، حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور، لظنه أن ذلك كمال. (١)

وهكذا إذا نظرت إلى طائفة المتكبرين تجد أن كلاً منهم قد تكبر بنعمة من نعم الله، آتاه الله إياها، فمنهم من تكبر لسعة في المال، وآخر لمنصب وجاه، وثالث لكثرة علم أو كثرة عبادته ونحو ذلك، لكن هناك طائفة أشدّ عذاباً وأشدّ مقتاً، وهي طائفة لم تؤت من أسباب الكبر شيء ومع ذلك تأبى نفوسهم المريضة إلا الكبر، وهذه الطائفة يقول عنها ٣ : (ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شيخ زان، وملك كذاب، وعائلٌ مستكبر) (٢) لأنه ليس لديه ما يدعو به إلى الكبر والترفع فلا يكون استكباره إلا استخفافاً بأمر الدين.

المطلب الثالث

صفات المستكبر والأعمال التي تعد من الاستكبار

الكبر إحساس بالعظمة في النفس، ينعكس في صورة تصرفات المتكبر، فإما أن يكون اختيالياً في المشية، أو إعجاباً بالرأي، حيث يرد كل رأي مخالف ولو كان حقاً، أو استبداداً في المنصب وازدراء للآخرين، ومن الصور التي تدل على المتكبر أنه يُكثر الطعن في

(1) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، ح رقم ١٩٧، ص ٧٣.

الناس إما في هيئاتهم، أو في فقرهم، أو في علمهم، أو عقيدتهم؛ لأنه يريد أن يقول للناس إنني أنا الوحيد الكامل، وإن كل من حولي من الناس ناقصون، وهناك مظاهر للتكبر، يُعرف بها نذكر منها:

١ - الاختيال في المشية، مع لى صفحة العنق، وتصعير الخد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء آية ٣٦) معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه فتطغيه، والله لا يحبه، ولا يرضى عنه، ولا يكون قريباً منه، وهذا تعريض بأخلاق أهل الشرك لما عرفوا من الغلظة والجفاء^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَصَعَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان آية ١٨) ومعنى (لا تصعر خدك) لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم، أو كلموك احتقاراً منك لهم، واستكباراً عليهم، متكبراً على الحق، ومتعاضماً على الخلق، ولكن أُنْ جانِبك وابتسط وجهك إليهم^(٢).

٢ - الإفساد في الأرض مع رفض النصيحة، والاستكاف عن الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة آية ٢٠٥-٢٠٦).

٣ - التقعر في الحديث، يقول النبي ٣ : وذلك يكون بالتشدد، وتكلف السجع، (ألا أنبئكم بشراركم؟ فقال: هم الثرثارون المتشدقون...) ^(٣).

٤ - إسبال الإزار بنية الاختيال والتكبر، قال النبي ٣ (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً) ^(٤).

٥ - محبة أن يسعى الناس إليه، وأن يمثلوا له قياماً إذا قدم إليهم، أو مر بهم، (من سره أن يُتمثل له الرجال قياماً، فليتبؤ مقعده من النار) ^(٥).

٦ - محبة التقدم على الغير في المشي أو المجلس، أو في الحديث، أو نحو ذلك ^(٦).

(١) انظر : التحرير والتنوير ج٥، ص٥١.

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٧٠٦، وأصل الصعر: داء يأتي للبعير فيلوي منه عنقه ويميله . فشبه من يلوي عنقه تكبرا على الناس بذلك المرض الذي يصيب الإبل، انظر: لسان العرب ج٤، ص٤٥٦.

(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند المكثرين، باب، ح رقم ٨٨٠٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب تحريم من جر ثوبه من الخيلاء، ح رقم ٥٧٩٠، ص١٢٥٤.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، ح رقم ٢٧٥٤، ص٦١٩.

(٦) انظر: آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ج١، ص١٧٣، ١٧٤.

درجات الاستكبار

- الدرجة الأولى:

وهي التي كمن التكبر في صاحبها، ولم تظهر عليه أعراضه ومساوؤه، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قطع أغصانها.

- الدرجة الثانية:

وهي التي نما التكبر فيها، وتجلت أعراضه بالاستعلاء على الناس، والتقدم عليهم في المحافل، والتبختر في المشي، فترى العالم يصعر خده للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله تعالى به نبيه ٣ حين قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء آية ٢١٥).

- الدرجة الثالثة:

وهي التي طغى فيها، وتفاقت مضاعفاته، فجُن صاحبها بجنون العظمة، والإفراط في حب الجاه والظهور، فطفق يلهج في محاسنه وفضائله، واستنقاص غيره واستصغاره، وهذه أسوأ درجات التكبر، وأشدّها صلفاً وعتواً.

وهكذا تتفاوت درجات الاستكبار وأبعاده بتفاوت أعراضه شدةً وضعفاً^(١).

*أنواع الاستكبار:

وينقسم التكبر باعتبار المنكبر عليه إلى ثلاثة أنواع :

- الاستكبار على الله عز وجل :

وذلك بالامتناع عن الإيمان به، والاستكبار عن طاعته وعبادته، وهو أفحش أنواع الكفر، وأبشع أنواع التكبر، كما كان عليه فرعون ونمرود وأضرابهما من طغاة الكفر وجبابرة الإلحاد.

فالمتكبر يرد الحق مهما كان مصدره، ويرى نفسه الأعلى ولا شيء يعلوه، فينظر لكل الناس نظرة احتقار وازدراء؛ وإمام المتكبرين وقدوتهم في ذلك عدو البشرية جمعاء إيليس أعاذنا الله من شره ومكره، حيث رد الحق حين جاءه من رب العالمين، ورأى نفسه أنه الأفضل، وقال قولته التي ملؤها التكبر العفن: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (ص آية ٧٦)، وتبع إيليس في نهجه طائفة من البشر قص الله علينا حكايتهم فمنهم من تكبر على الله كفرعون يوم أن قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (النازعات آية ٢٤) وكفار قريش يوم أمروا بالسجود فقالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان آية ٦٠) دعوتهم إلى

(1) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٣٤٥-٣٤٧.

الحق زادتهم هرباً من الحق إلى الباطل وزادتهم كفرًا وشقاء.

– الاستكبار على الأنبياء:

وتكبر قوم على رسل الله، وذلك بالترفع عن تصديقهم، والإذعان لهم، وهو دون الأول وقريب منه، ولكنه تكبر على قبول أمر الله تعالى والتواضع لرسوله ۳ ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة آية ۸۷) والاستكبار هنا الترفع عن اتباع الرسل، وإعجاب المتكبرين بأنفسهم، واعتقاد أنهم أعلى من أن يطيعوا الرسل، ويكونوا أتباعاً لهم، فساموهم سوء العذاب وكذبوهم، فكان مصير الجميع الهلاك والبوار (١).

– الاستكبار على العباد:

وذلك بازدرائهم والتعالي عليهم بالأقوال والأفعال، ومن هذا النوع التكبر على العلماء المخلصين، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلى الترفع عن مساءلتهم، والانقاع بعلومهم وإرشاداتهم، مما يفضي بالمستكبرين إلى الخسران والجهل بحقائق الدين، وأحكام الشريعة الغراء، وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيماً، فالكبر والعظمة والعز لا يليق إلا بالله تعالى، أما العبد الضعيف المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر، وإلى هذا المعنى يشير الله تعالى في الحديث القدسي: (العز إزاره، والكبرياء رداءه، فمن يمتاز عذبتة (٢) (٣).

المطلب الرابع

أثر الاستكبار على النفس البشرية

وللكبر في الأرض بغير الحق آثار ضاره، وعواقب مهلكة ومن هذه الآثار:

- المتكبر يختم القدير على قلبه، فلا يميز بين الحق والباطل يقول الله جل جلاله: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر آية ٣٥) متكبر في نفسه على الحق برده، وعلى الخلق باحتقارهم جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

- الكبر مهلكة وأي مهلكة فالمتكبر يصرفه العزيز الجبار عن تدبر آياته، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف آية ١٤٦) سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة، المعادين للأنبياء والمؤمنين، وإنما

(1) انظر: التحرير والتتوير، ج ١، ص ٥٩٨.

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ح رقم ٦٥٧٥، ص ١٢٩٢.

(3) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، ص ١٩٨-١٩٩.

يصرفهم عن ذلك بواسطة إنزال الذل والإذلال بهم، وذلك يجري مجرى العقوبة على كفرهم، وتكبرهم على الله تعالى.

- إنه متى استبد بالإنسان، أحاط نفسه بهالة من الزهو والخيلاء، وجُن بحب الأنانية والظهور، فلا يسعده إلا الملق المزيف، والثناء الكاذب، فيتعامى آنذاك عن نقائصه وعيوبه، ولا يهتم بتهديب نفسه، وتلافي نقائصه، مما يجعله هدفاً لسهام النقد، وعرضة للمقت والازدراء.

- إنه يشيع في المجتمع روح الحقد والبغضاء، ويعكر صفو العلاقات الاجتماعية، فيسيء إلى الناس ويستثير سخطهم ومقتهم، كما يستثيره المتكبر الذي يتعالى عليهم بصلفه وأنانيته.

- إن الغطرسة داء يشقي الإنسان، ويجعله منبوذاً يعاني مرارة العزلة والوحشة، ويشقي كذلك المرتبطين به بصنوف الروابط والعلاقات.

- وينشأ من هذا التكبر والاحتقار للناس تتبع عوراتهم، والبحث عن أخطائهم وهفواتهم، مع ستر محاسنهم مهما كانت كثيرة .

وقد أشار الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- إلى هذه الآفة فقال: "وهذا كثير بين الناس، يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوي فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تتاسبه، فإذا رأى سقطة كلمة عوراء وجد بغيته فجعلها فاكهته" (١).

وقد ورد التحذير من الكبر في مواضع كثيرة في الآيات القرآنية، من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل آية ٢٣) بل يبغضهم أشد البغض وسيجزئهم من جنس عملهم، وأنه يحب المتواضعين الخاشعين، ويكفيهم فضلاً بشاره الحق لهم بمحبته لهم، فقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (غافر آية ٧٦) "لأنهم جادلوا في آيات الله تعالى عن كبر في صدورهم، وفي ذلك إشارة أن من أسباب وقوعهم في النار تكبرهم على الرسل، وليكون لكل موصوف بالكبر حظ من استحقاق العقاب إذا لم يتب، ولم تغلب حسناته على سيئاته إن كان من أهل الإيمان" (٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾؟ (الزمر آية ٦٠) بلى والله، إن فيها لعقوبة وخزياً وسخطاً، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم كل مأخذ، فالنار مقرهم، لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله تعالى من جنس عملهم بالإهانة والذل والخزي،

(1) مدارج السالكين، ج ١، ص ٣٦٠.

(2) التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٢٠٧.

فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشديد في جهنم^(١) .

وحيث كان التكبر هوساً أخلاقياً خطيراً ماحقاً، فجدير بكل عاقل أن يأخذ حذره منه، وأن يجتهد - إذا ما داخلته أعراضه - في علاج نفسه، وتطهيرها من مثالبها.

وأن يعرف المتكبر واقعه، وما يتصف به من ألوان الضعف والعجز: فأولاه نطفة قدرة، وآخره جيفة نتنة، وهو بينهما عاجز واهن، يرهقه الجوع والظمأ، ويعتريه السقم والمرض، وينتابه الفقر والضر، ويدركه الموت والبلى، لا يقوى على جلب المنافع ورد المكاره، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (النحل آية ٤).

فحقيق بمن اتصف بهذا الوهن، أن ينبذ الأنانية والتكبر، مستهدياً بالآية الكريمة ﴿ تَكَ الدَّارُ الآخِرَةَ نَجْعُلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص آية ٨٣) "فإذا كانوا لا يريدون علوًّا في الأرض ولا الفساد، لزم من ذلك أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله تعالى وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح " ^(٢) فأفضل الناس أحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم نفعاً، وأشدهم تقوى وصلاحاً، فمن هذا بدايته! فأبي وجه لكبره وفخره؟ وبأي شيء يتكبر حتى يتبختر؟!

وأن يتذكر مآثر التواضع ومحاسنه، ومساوئ التكبر وآثامه، وما ترادف في مدح الأول، وذم الثاني، ويربي نفسه على التواضع، والتخلق بأخلاق المتواضعين، لتخفيف حدة التكبر في نفسه ^(٣) .

ويتبين من خلال ما سبق أن المتكبر ينشر في المجتمع معادلة الازدراء المتبادل، ويزدري الناس لأنه يراهم أقل منه، والناس يزدرونه لكبره وسوء خلقه، وأن المتكبر لا يعرف ربه حق المعرفة لأنه لو عرف ربه حق المعرفة، فيكفيه أن ينظر إلى آثار قدرته، وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر، ومن علم أن مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا يتناول بل يتخاضع ويتضاءل.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٨٠٧.

(2) المرجع السابق، ص ٦٨٥.

(3) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٣٥٨-٣٥٩.

المبحث الثاني آفة الهوى

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الهوى.

المطلب الثاني :أسباب الهوى.

المطلب الثالث : أثر الهوى على النفس.

المطلب الأول

تعريف الهوى

الهوى لغة:

هوى النفس: إرادتها والجمع أهواء، وقال اللغويون: محبة الإنسان الشيء وغلَبته على قلبه، قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (النازعات آية ٤٠).
معناه نهاها عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله عز وجل.
والهوى إذا أطلق انصرف إلى ما كان شراً أو إلى ما كان مذموماً، فإذا أُريد به ما كان خيراً أو ما كان محموداً فلا بد من تقييد ذلك بوصف أو نحوه كأن يُقال: هوى حسن، وهوى موافق للصواب (١).

الهوى اصطلاحاً:

الهوى: شعور في النفس يميل بها إلى ما تحب من مطالب وحاجات، أو متع ولذات وشهوات، أو عواطف وانفعالات، وقد يكون ما تهواه شراً لها أو أذى أو ضراً، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ (النازعات آية ٤٠) أي ما تهواه وترغب فيه قوى النفس الشهوية والغضبية مما يخالف الحق والنفع الكامل، وشاع الهوى في المرغوب الذميم، (٢) وقال تعالى في معرض الكلام عن المشركين: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ (النجم آية ٢٣) وخاطب اليهود بقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ (البقرة آية ٨٧) أي: بما تميل إليه أنفسهم من الانخلاع عن القيود الشرعية، والانغماس في أنواع اللذات، والتصميم على العقائد الضالة (٣).

فالمراد باتباع الهوى هو السير وراء ما تهوى النفس وتشتتهي، أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل، أو رجوع إلى شرع، أو تقدير لعاقبه (٤).
والهوى عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوفاً.

قال عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- : الهوى إله يعبد من دون الله، ثم تلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجانة آية ٢٣).

(1) انظر: لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٣٤.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٩٢.

(3) انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٥٩٨.

(4) انظر: آفات على الطريق، ج ٢، ص ٣٣.

وقال علي بن أبي طالب t : أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى وطول الأمل، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة.

وقال الشعبي (١) : إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه (٢).

و"مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سبباً للألم والأذى، ومنع لذات في الأجل، فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذة تعقب ألماً، وشهوة تورث ندماً، وكفى بهذا القدر مدحاً للعقل وذماً للهوى." (٣)

المطلب الثاني

أسباب الهوى

ولما كان الهوى غالباً، وإلى سبيل المهالك مورداً، جعل العقل عليه رقيباً، يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته، لأن سلطان الهوى قوي، ومدخل مكره خفي، ومن هذين الوجهين يؤتى العاقل.

- أما الوجه الأول: فهو أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه، حتى تستولي عليه مغالبة الشهوات، فيكّل العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قبورها في العقل المقهور بها وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم.

- أما الوجه الثاني: فهو أن يُخفي الهوى مكرهه، حتى تموّه أفعاله على العقل، فيتصور القبيح حسناً، والضرر نفعاً، وهذا يدعو إليه أحد شيئين :

١- إما أن يكون للنفس ميل إلى ذلك الشيء، فيخفى عليها القبيح بحسن ظنها، وتتصوره حسناً بشدة ميلها إليه.

٢- أما السبب الثاني فهو استئصال الفكر في تمييز ما اشتهته، وطلب الراحة في اتباع ما يسهل (٤).

وإذا تأمل الإنسان أمراض الحياة البشرية كلها: الكبر والعجب والحسد وحب الجاه والدنيا والزنا والفواحش... الخ، فإنه يجد وراءه شيئاً واحداً هو اتباع الهوى، فالهوى في

(1) الشعبي، شيخ المالكية، أبو المطرف عبد الرحيم بن قاسم الشعبي المالقي، مفتي بلده مات في رجب سنة سبع وتسعين وأربع مئة، وله خمس وتسعون سنة، مات هو وابن الطلاع في جمعة انظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٢٢٧.

(2) أدب الدنيا والدين، ص ٣٤.

(3) ذم الهوى، ابن قيم الجوزية، ص ١٨.

(4) انظر: أدب الدنيا والدين، ص ٣٨-٣٩.

الأصل: هو ميل النفس الخاطيء، وخطورة اتباع الهوى قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون آية ٧١) فيترتب على اتباع الهوى فساد الكون بما فيه.

ولأن الدافع لاتباع الهوى هو النفس، درج على السنة السالكين (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)، بل أعدى عدو للحياة البشرية كلها هو متابعة كل إنسان هواه، ولذلك جاء العلاج في الكتاب الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات آية ٤٠-٤١) إشارة لتذكير المسلم ضرورة ضبط النفس (١).

* ذم الهوى:

الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهي، فالهوى مستجلب له ما يفيد كما أن الغضب يدفع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار. ولما كان الغالب من موافقة الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع، أطلق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضرر، لأنه يبعد أن يفهم المقصود من وضع الهوى في النفس (٢).
"والقرآن الكريم يدعو الإنسان إلى ضبط دوافعه والتحكم فيها وتوجيه إشباعها في إطار الحدود المشروعة دون إسراف، فلا يكون عبداً لأهوائه وشهواته، وإنما يكون هو المسيطر عليها والمتحكم فيها والموجه لها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النازعات آية ٤٠) ونهي النفس عن الهوى هو ضبط الإنسان لدوافعه، وكفه لشهواته، وسيطرته عليها" (٣).

(1) انظر: المستخلص في تركية الأنفس، ص ٢٥٩.

(2) ذم الهوى، ابن قيم الجوزي، ص ٥٩٧.

(3) القرآن وعلم النفس، ص ٥٩.

المطلب الثالث

أثر الهوى على النفس

ولاتباع الهوى آثار ضارة وعواقب مهلكة، ومنها :

١ - تمكن الهوى من النفس :

فإن الهوى يسري في صاحبه في فنون، ويخرجه من دار العقل إلى دار الجنون. قال أبو الدرداء ^(١) : إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تابع لهواه فيومه يوم سوء وإن كان هواه تبعاً لعمله، فيومه يوم صالح. وقال ابن عطاء: من غلب هواه عقله، وجزعه صبره افتضح ^(٢).

٢ - قسوة القلوب والاستهانة بالذنوب :

وذلك أن المتبع لهواه يقسو قلبه ويموت، ويوم تقسو القلوب وتموت تكون استهانة بالذنوب، كما قال الرسول ٣ (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا) ^(٣).

٣ - اتباع الهوى يلقي بصاحبه إلى الضلال :

وذلك أن المتبع لهواه صار عبداً لشهواته، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص آية ٥٠) فاتباع الهوى مع إلغاء أعمال النظر ومراجعتة في النجاة، يلقي بصاحبه إلى كثير من أحوال الضر بدون تحديد، فلا جرم أن يكون هذا الاتباع المفارق لجنس الهدى أشد الضلال، فصاحبه أشد الضالين ^(٤).

٤ - الابتداع في دين الله تعالى :

فصاحب الهوى يميل إلى إثبات ذاته ووجوده، وهو لا يرضى بمنهج الله تعالى، فيبتدع منهاجاً يوافق هواه وشهواته، والابتداع ضلال وكل ضلال في النار، كما يقول النبي

(1) أبو الدرداء، الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ٣ عويمر بن زيد بن قيس، ويقال : عويمر بن عامر، حكيم هذه الأمة، روى عن النبي ٣ عدة أحاديث، وقيل أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أحداً وأمره رسول الله ٣ يومئذ أن يرد من على الجبل، فردهم وحده، وكان قد تأخر إسلامه قليلاً، قيل أنه مات سنة إحدى وثلاثين. انظر: سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ٣٣٨ .

(2) انظر: ذم الهوى، ص ٢٥.

(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح رقم ٦٣٠٨، ص ١٣٤٦.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ١٤١.

٣ (أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ٣ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة) (١) .

٥ - الإعراض عن مصدر الهداية:

وذلك أن صاحب الهوى بعبوديته لشهوته وميوله، قد أعرض عن مصدر الهداية، فمن أين يأتيه التوفيق قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية آية ٢٣) "اتخذ هوأه إلهاً له، لا يخالف له أمراً" (٢) .

٦ - الهوى يؤدي بصاحبه إلى الهاوية:

عواقب الهوى وخيمة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات آية ٣٧-٣٩) أي: أن من تجرأ على الله تعالى وعصاه، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة فصار سعيه لها مستغرقاً في حظوظها وشهواتها ونسي الآخرة والعمل لها، فمأواه ومسكنه جهنم (٣) .

وتلك بعض أسباب وأثار الهوى، اكتفت بها الباحثة للإيجاز.

ويتبين من ذلك أن السعادة والراحة والطمأنينة والفوز إنما يكون في اتباع القرآن، وتحكيم شرع الله تعالى والسنة الشريفة، لا في اتباع هوى النفس وما تمليه عليه، وهذا هو الهوى المحمود الموافق لشرع الله تعالى ورسوله ٣ وصدق الله تعالى في قوله: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه آية ١٢٣) أي: فمن اتبع ما أمر الله به واجتنب ما نهى عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة، وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة آية ٣٨) واتباع الهدى بتصديق الخبر وعدم معارضته بالشبه والشهوات (٤) .

(1) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ح رقم ١٨٩١، ص ٣٩٤.

(2) التحرير والتنوير، ج ٢٥، ص ٣٥٨.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٠٧.

(4) انظر: المرجع السابق، ص ٥٥٦.

المبحث الثالث آفة العجب

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تعريف العجب.

المطلب الثاني: أسباب العجب.

المطلب الثالث: مظاهر العجب

المطلب الرابع: أثر العجب على النفس.

المطلب الأول

تعريف العجب

العجب لغة:

السرور والاستحسان، تقول أعجبه الأمر: سره، وأن ترى الشيء يعجبك، تظن أنك لم تر مثله.

والعجب: الزهو: ورجل معجب: مزهو بما يكون منه حسناً أو قبيحاً، وقد أعجب فلان بنفسه، فهو معجب برأيه وبنفسه (١).

العجب اصطلاحاً:

إحساس بالرضا عن النفس، وهو شعور غامر بالفرحة الكاذبة، والأمن المصطنع، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (غافر آية ٧٥) "والفرح هنا يعني المسرة ورضا الإنسان على أحواله، فهو انفعال نفساني، والمرح ما يظهر على الفرح من الحركات في مشيه، ونظره، ومعاملته مع الناس، وكلامه وتكبره فهو هيئة ظاهرية" (٢).

المطلب الثاني

أسباب العجب

١ - من أقوى أسبابه:

"كثرة مدح المتقربين، وإطراء المتملقين، الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً، والتملق خديعة وملعباً" (٣).

٢ - استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان المنعم:

ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما ينتهي به الإعجاب إلى أن يقف عند ذاته، ويعتمد عليها في كل شيء ناسياً أو متناسياً خالقه، وصانعه ومدبر أمره، والمنعم عليه بسائر النعم الظاهرة والباطنة، كقوله تعالى على لسان قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص آية ٧٨) لم يعترف بفضل الله تعالى فادعى أنه أوتي هذا المال بجهد وعلمه الذي طوع له جمعه وتحصيله.

(١) انظر: لسان العرب، ج ١، ص ٦٧٧.

(٢) التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٢٠٦.

(٣) أدب الدنيا والدين، ص ٣٧٨.

إنها قولة المغرور المطموس الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتنه المال ويعميه الثراء (١) .

وما أكثر الناس الذين هذه حالهم إذا أكرمهم الله عز وجل ونعمهم، قالوا: هذا إكرام من الله لنا؛ لأننا أهل لذلك، هكذا قالها قارون ولم يستمع لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه، وأعرض عن هذا كله في استكبار لئيم، وفي بطر ذميم .

٣ - عدم معرفة الإنسان حقيقة نفسه :

وحقيق على من عرف نفسه أن يعرف كثرة العيوب والنقائص التي تعترئها، فقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس، إنما هي الغفلة أو الجهل بحقيقة النفس، وأن أولها نطفة من ماء مهين، وآخرها جيفة تنتن مردها إلى التراب، يُعجب بعمله ومعرفته لمسائل الخلاف وأقوال العلماء، ولو علم أن إعجابه بعلمه يدل على جهله لما كان من المعجبين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (المرسلات آية ٢٢) .

ويمكن القول: إن العجب يكون بالأسباب التي يقع بها الإستكبار، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، وقد تحدثت الباحثة عنها في بحث الكبر (٢) .

المطلب الثالث

مظاهر الإعجاب

ومن مظاهر الإعجاب بالنفس:

١ - الإعجاب بالبدن والجمال والهيئة والقوة، أي تمام الخلقة، فيلتفت إلى جمال نفسه، وينسى أنها نعمة من الله تعالى، معرضة للزوال في أي لحظة.

٢ - العجب بالعقل والكياسة والفتنة لدقائق الأمور، فيترك المشورة ويستبد برأيه، ويجهل الناس، ولا يصغي إليهم ولا يأخذ بالنصيحة، ولا يستمع إلى أحد، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بأرائهم .

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر آية ٨) "إنه نموذج الضلال

الهالك البائر الصائر إلى شر مصير، ومفتاح هذا كله هو هذا التزيين، هو هذا الغرور، هو هذا الستار الذي يعمي قلبه وعينه، فلا يرى مخاطر الطريق، ولا يحسن عملاً، لأنه مطمئن إلى حسن عمله، وهو سوء، ولا يصلح خطأ لأنه واثق أنه لا يخطئ! ولا يصلح فاسداً لأنه مستيقن أنه لا يفسد! ولا يقف عند حد لأنه يحسب أن كل خطوة من خطواته إصلاحاً! إنه

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٤٤٤ .

(2) انظر: ص ٩٧، من هذه الرسالة.

باب الشر، ونافذة السوء، ومفتاح الضلال" (١) .

٣ - المعجب يزكي نفسه بما لا تستحقه، وإذا زكاها فمعنى ذلك أنه لا يتفهمها، فلا يشعر بمخالفته لحقوق الله تعالى، ويظن النجاة وهو غريق في الضلالات، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء آية ٤٩) تعجب من حال اليهود إذ يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة آية ١٨) ، ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ (البقرة آية ١١١) ونحو ذلك من ادعاءاتهم الكاذبة، وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ إبطال لمعتقدهم بإثبات ضده، وهو أن التزكية شهادة من الله، ولا ينفع أحداً أن يزكي نفسه، وفي تصدير الجملة بقوله (بَلِ) تصريح بإبطال تزكيتهم، وأن الذين زكوا أنفسهم لا حظ لهم في تزكية الله (٢) .

وهناك مظاهر تنطبق على المعجب بنفسه، تحدثت عنها الباحثة في آفة الكبر، لم توردها هنا للإيجاز (٣) .

"ويرتبط العجب بالكبر والاستعلاء؛ فيتخيل المعجب أنه فوق سائر العباد، ويغتر بالله تعالى، فيدعي أنه قريب من الله تعالى، وذلك باستعراض ما يقوم به من أعمال الخير، وترديد مزيد من علمه وتحصيله، حتى وكأنه صاحب المنة على الخلق أجمعين" (٤) .

المطلب الرابع

آثار العجب

- ومن الآثار المترتبة على العجب أنه "يخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام، ويصبر عن الفضائل." (٥)

- والمعجب بنفسه يركن إلى الغرور، فيستصغر ما أتاه من الكبائر، ويستكثر ما قدمه من الخير، وينسى ويتناسى فواحشه، ويعمى عن الحقائق حتى يجعل من الخير شراً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (الشورى آية ٤٨) "ذكر تعالى حالة الإنسان وأنه إذا أذاقه رحمة من صحة بدن، ورزق ورغد وجاه ونحوه، (فرِحَ بِهَا) فرحا مقصورا عليها، لا يتعدها، ويلزم من ذلك

(1) في ظلال القرآن، ج٦، ص١٣٦.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج٥، ص٨٤.

(3) انظر: ص٩٣ من هذه الرسالة.

(4) نحو علم إسلامي، ص١٢٢.

(5) أدب الدنيا والدين، ص٣٧٥.

طمأنينته بها والإعراض عن المنعم .

(وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مَرَضٌ أَوْ فَقْرٌ أَوْ نُحُوهٌمَا (بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ))

فطبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة" (١) .

- وغرور المعجب يقوده إلى الكذب على نفسه، فيحيا في عالم الأوهام، الذي أقامه على الافتراء، فيقل خوفه من الله، ويزداد غروره به تعالى، بل قد يتناول بالكذب على الله تعالى، وهو يظن أنه صادق، ويرى نفسه مهتدياً، يقول النبي ٣ : (ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه) (٢) .

- والإنسان إذا أعجب بأفعاله وأعماله، لم يظن إلى ضلاله وانحرافه، ولم ير ما يجب أن يتوب عنه، لأنه مستصغر لما أتاه من الذنوب، محتقر لما ارتكبه من الآثام، بالنسبة إلى ما فعله من الطاعات والمجاهدات.

- والمعجب يرى أنه في أحسن حال، فليس هناك ما يفزعه ليقنع عن سلوكه الشاذ وعمله الضال، وبذلك يتمادي في غيه بجرأة، حتى يقع في بحر لحي، فيهلك إلى الأبد (٣) .

"وينبغي للعاقل أن يسترشد إخوان الصدق الذين هم أصفياء القلوب، ومزايا المحاسن والعيوب، على ما ينبهونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن عنها، فإنهم أمكن نظراً وأسلم فكراً، ويجعلون ما ينبهون عليه من مساويه عوضاً عن تصديق المدح فيه، وكان عمر t يقول : (رحم الله امرئاً أهدى إلينا مساوينا)" (٤) .

وتأمل ما أصاب الصحابة رضوان الله عليهم مع إيمانهم وصلاتهم، حين أعجب نفر منهم بكثرة العدد، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة آية ٢٥) .

ومما ورد في جزاء المعجبين قوله ٣ : (بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبتة نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة) (٥)، فكيف بمن أعجب بعلمه أو عمله!؟

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٤٣.

(2) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، ح رقم ٣٠٥٨، ص ٦٨٤.

(3) انظر: نحو علم إسلامي، ص ١٢١.

(4) أدب الدنيا والدين، ص ٣٨١.

(5) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بثيابه، ح

رقم ٥٣٦٠، ص ١٠٥٥.

*من أقوال السلف في ذم العجب: (١)

- ١- قال ابن مسعود t : الهلاك في اثنين : القنوط والعجب .
وإنما جمع بينهما ؛ لأن السعادة لا تتال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمير ، والقانط لا يسعى ولا يطلب ، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى .
- ٢- وقال مطرف (٢) -رحمه الله تعالى - : لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً، أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً.
- ٣- وكان بشر بن منصور (٣) من الذين إذا رُؤوا ذكّر الله تعالى والدار الآخرة، لمواظبته على العبادة، فأطال الصلاة يوماً، ورجل خلفه ينتظر، ففطن له بشر، فلما انصرف عن الصلاة قال له: لا يعجبك ما رأيت مني، فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة، ثم صار إلى ما صار إليه.
- ٤- وقيل لعائشة- رضي الله عنها- (متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت: إذا ظن أنه محسن) ويتبين من خلال ذلك أن العجب من الآفات الخطيرة التي تصيب كثيراً من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم، وعن الثناء على الله بما يستحق إلى الثناء على أنفسهم بما لا يستحقون، وعن التواضع للخالق والانكسار بين يديه إلى التكبر والغرور بالأعمال، وعن احترام الناس ومعرفة منازلهم إلى احتقارهم وجدد حقوقهم وأنها تعمي القلوب، وتخفي الذنوب، وتزين الأخطاء، وتستظهر الزلل، حتى أن المعجب بنفسه يرى الإساءة إحساناً، ويظن البخل سخاءً وجوداً، وهو واهم في ظنه كاذب في حدسه، هالك حيث يعتقد النجاة، وهو غارق في بحر الظلمات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٌ﴾ (فصلت آية ٥١).

(١) انظر: إحياء علم الدين، ج٣، ص٣٦٩-٣٧٠.

(٢) مطرف بن عبد الله ، الإمام القدوة ، الحجة ، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري ، كان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب ، قيل أنه كان ثقة وقيل : توفي مطرف في أول ولاية الحجاج . انظر: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ١٨٤ .

(٣) بشر بن منصور، الإمام المحدث الرباني القدوة، أبو محمد الأزدي السلمي، البصري، الزاهد، روى عن كثير، وحدث عنه كثير. انظر: سير أعلام النبلاء، ج ٨ ، ص ٣٦٢.

المبحث الرابع آفة الخوف

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الخوف.

المطلب الثاني :أقسام الخوف.

المطلب الثالث :أسباب الخوف.

المطلب الرابع: أثر الخوف على النفس.

المبحث الرابع

آفة الخوف

أثبت القرآن الكريم أن الخوف من الصفات التي تتصف بها النفوس، وظاهر أن النفس إذا برئت من صفة الخوف اتصفت بالأمن، ففي وصف حالة موسى النفسية حينما قام سحرة فرعون بأعمالهم، فألقوا حبالهم وعصيهم، وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه آية ٦٧) أي: خاف على الناس أن يُفنتوا بسحرهم ويغثروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه، فتقوى نفوسهم إذا ظهر لهم، فيؤدي إلى عدم اتباعه (١).

المطلب الأول

تعريف الخوف

الخوف لغة:

الخوف مأخوذ من مادة: خَوَفَ، التي تدل على الذعر والفرع في اللغة، وخَفَت الشيء خوفاً وخيفة، وخَفَت الرجل جعل الناس يخافونه، وأخافني الأمر فهو مخيف، قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران آية ١٧٥)، أي يجعلكم تخافون أوليائه، أي يخوفكم بأوليائه (٢).

الخوف اصطلاحاً:

هو "توقع مكروه لعلامة مظنونة أو معلومة، وهو ضد الأمن، ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية، فهو توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب، أو اضطراب القلب وحركته، أو فرعه من مكروه يناله، أو محبوب يفوته" (٣). قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش آية ٤) بين الله تعالى نعمته عليهم، النعمة الظاهرة والباطنة، فأطعمهم من الجوع وقاية من الهلاك في أمر باطن، وهو الطعام الذي يأكلونه، (وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ) وقاية من الخوف في الأمر الظاهر، من أجل هذه النعم التي أسداها الله إليهم فأطعمهم وآمنهم عليهم أن يعبدوه ويخلصوا له الدين، والواقع أن من أكبر النعم على الإنسان رغد

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٨١.

(2) انظر: المصباح المنير، ج ١، ص ١٩٧.

(3) سلسلة أعمال القلوب، ص ٣٦.

العيش، والأمن من الخوف الموجبة لشكر الله تعالى، فإن الآية الكريمة تجمع أهم ما يطلبه الإنسان وهو الأمن والشبع والاستقرار (١).

والإطعام من الجوع والتأمين من الخوف عليهما مدار كامل أجهزة الدولة، فأرقى الدول اليوم لا تستطيع أن تحقق لشعوبها هاتين نعمتين: نعمة العيش الرغد، والأمن التام. وفي الحديث الشريف قال ٣ : (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، وعنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) (٢).

قال ابن قدامة - رحمه الله - : "اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال" (٣).

والخوف هو إشارة الخطر أو صفارة الإنذار التي تتنبه الإنسان وتطلب منه أن يقف وينظر، وهو نوع من أنواع الانفعال، ولا يمكن أن تخلو منه نفس بشرية، فمن الطبيعي أن يخاف الإنسان الخطر، ويخشاه، وهو شيء فطري ينبع من أعماق ذاته، ولا يمكن اعتبار الخوف عيباً أو نقصاً في حياة الإنسان، ولكن شريطة أن لا يحدث فيه إفراط، وأن يوجه تجاه الأخطار الحقيقية الواقعية التي تهدد حياته بالفعل، لا باتجاه الأمور التافهة الصغيرة، بحيث لا يقف الخوف حائلاً دون السير والتقدم في الحياة" (٤).

ويمكن إيجاد فارق ثانوي بين الخوف الطبيعي، والخوف المرضي. فالمخاوف الطبيعية تنشأ عن اعتقاد منطقي وفكري بالطبيعة الخطرة لمواقف وموضوعات معينة، أما المخاوف المرضية، فهي خوف غير منطقي بالمرّة.

* الفرق بين الخوف والخشية:

الخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر آية ٢٨)، خوفاً مقروناً بمعرفة، وقال النبي ٣ : (إني أتقاكم الله وأشدكم له خشية) (٥).

فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، وعلى قدر العارفين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، فصاحب الخوف يلتجئ إلى الهرب، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الاعتصام بالعلم، ومثلها مثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب الحاذق، فالأول

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٣٧.

(2) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب التوكل على الله تعالى، ح رقم ٢٣٤٦، ص ٥٢٥.

(3) سلسلة أعمال القلوب، ص ٣٦.

(4) أمراض النفس، ص ١٠٥.

(5) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح رقم ٥٠٦٣.

يلتجئ إلى الحمية والهرب لقلّة معرفته، والثاني يلتجئ إلى الأدوية، فالخشية خوف مبنى على علم (١) .

المطلب الثاني

أقسام الخوف

إن الأشياء التي يخافها الإنسان كثيرة، وقد صور القرآن بعض مخاوف الإنسان الهامة مثل الخوف من الله تعالى، والخوف من الموت، والخوف من الفقر (٢) .

١ - الخوف من الله تعالى:

وهو خوف مهم في حياة المؤمن، فهو يدفعه دائماً إلى تقوى الله واسترضائه، واتباع منهجه، وترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، ويعد الخوف من الله ركناً في الإيمان به، وأساساً هاماً في تكوين شخصية المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال آية ٢) " ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ٣ ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفاً منه ومن عقابه، وإذا قرئت عليه آياته زادته تصديقاً به، وأيقن أنها من عند الله، وذلك زيادة الإيمان" (٣) .

١ - الخوف من الموت:

ومن المخاوف الشائعة بين الناس، الخوف من الموت، ويبدو هذا واضحاً في حالات الحروب، وخاصة بين الجنود الذين يُرسلون إلى ميدان القتال، وقد صور القرآن هذه الحالة في وصف خوف المنافقين بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ (محمد آية ٢٠) .

وصف حال المنافقين ثم أعقب ذلك بوصف أجلى مظاهر نفاقهم، وذلك حين يُدعى المسلمون إلى الجهاد فقد يضيق الأمر بالمنافقين، إذا كان تظاهرهم بالإسلام سيلاجئهم إلى الخروج للقتال مع المسلمين، وذلك أمر ليس بالهين لأنه تعرض لإتلافهم النفوس دون أن

(1) انظر مدارج السالكين، ج ١، ص ٥١٣ .

(2) انظر: القرآن وعلم النفس، ص ٦٨ .

(3) انظر: جامع البيان، ج ٩، ص ١٧٨ .

يرجو منه نفعاً في الحياة الأبدية، إذ هم لا يصدقون بها فيصبحوا في حيرة، وكان حالهم هذا مخالفاً لحال الذين آمنوا، الذين تمنوا أن ينزل القرآن بالدعوة إلى القتال ليلاقوا المشركين، فيشفوا منهم غليلهم، فبهذه المناسبة وتمني المؤمنين نزول حكم القتال لتمييز حال المنافقين، يبدو منه الفرق بين حال الفريقين، وقد بين كره القتال لديهم (١) .

" فما الداعي لهذا الخوف؟ إن الخائف من الموت إنسان مريض نفسياً، ومن شأن هذا الخوف أن يؤدي به إلى الانحراف عن الطريق القويم، وإلى المزيد من الانغماس في متاع الحياة الدنيا وشهواتها، ورغم ما يتمتع به من ملذات وشهوات في الحياة الدنيا، إلا أنه إنسان شقي خائف، لا يشعر بالأمان، يخاف أن يتخطفه الموت في أي لحظة" (٢) .

والإيمان الصادق بالله تعالى يؤدي إلى التخلص من الخوف من الموت؛ لأن المؤمن يعلم يقيناً أن الموت سينقله إلى الحياة الآخرة الخالدة التي ينعم فيها برحمة الله ورضوانه، وإن كان المؤمن يشعر بخوف من الموت، فإنما هو بالحقيقة يخشى ألا يحظى بمغفرة الله، وألا ينال رضوانه، فالخوف من الموت إذن إنما يرجع في الحقيقة إلى أن يكون مانعاً من التوبة.

وعلى ذلك فإن الخوف من الموت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخوف من الله.

٣ - الخوف من الفقر:

والخوف من الفقر أيضاً من المخاوف الشائعة بين الناس، فالإنسان دائم السعي في حياته لكسب قوته، وقوت زوجه وأولاده، ولكي يهيئ لنفسه ولأسرته أسباب الحياة الهانئة الآمنة، فيتحمل الإنسان، عادة في سبيل كسب رزقه، كثيراً من الجهد والتعب والمشقة، وإن أي خطر يمكن أي يهدده في رزقه يثير فيه الخوف والفرع.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾ (الإسراء آية ٣١) أي: لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الأجل (٣) ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ (الأنعام آية ١٥١) ولا تتدوا أولادكم، فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإن الله هو رازقكم وإياهم، ليس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم، فالمؤمن الصادق الإيمان يعلم يقيناً أن الرزق بيد الله، فلا داعي إذن للخوف من الفقر (٤) .

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ١٠٦ .

(2) أمراض النفس ص ١٣٧ .

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ١٠٥ .

(4) انظر: جامع البيان ، ج ٨، ص ٨٢ .

وعلى ذلك يصبح الخوف الحقيقي الذي يشعر به المؤمن هو الخوف من الله، لأن إيمانه بالله لا يجعله يخاف الموت أو الفقر أو الناس أو أي شيء آخر في العالم، وإنما هو يخاف فقط من غضب الله، وسخطه وعذابه.

المطلب الثالث

أسباب الخوف

ولما كان الخوف الشديد في غير موضعه من أمراض النفس، وكان متصلاً بهذه القوة وجب أن نذكره، فنقول الخوف يعرض من توقع مكروه، وانتظار محذور، والتوقع والانتظار إنما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل، وهذه الحوادث ربما كانت ممكنة، والأمور الممكنة ربما كنا نحن أسبابها، وربما كان غيرنا سببها وجميع هذه الأقسام لا ينبغي للعاقل أن يخاف منها ^(١).

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يرى أن الآيات القرآنية تشير أحياناً إلى عاملين رئيسين: العامل الاقتصادي، والعامل المادي العسكري في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَأَمَّنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش آية ٤) وكانوا في رحلتهم آمنين؛ لأنهم أهل الحرم، فلا يتعرض لهم الناس، وكان غيرهم يتخطفون، ويُغار عليهم ^(٢)، وهنالك آية أخرى تبدو الإشارة فيها إلى هذين العاملين الرئيسيين من عوامل الأمن الجماعي واضحة؛ إذ يقول الحق سبحانه: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبَعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص آية ٥٧).

قال القرطبي -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: (وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) "لا يعقلون: أي هم غافلون عن الاستدلال بأن من رزقهم وأمنهم، فيما مضى حال كفرهم، يرزقهم لو أسلموا، ويمنع الكفار عنهم في حال إسلامهم" ^(٣).

وبين لهم أين يكون الأمن، وأين يكون الخوف من واقعهم التاريخي، ومن حاضرهم الذي يشهدونه، وهم ينسون الله تعالى وأنه وحده الحافظ، وأنه هو وحده الحامي؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله تعالى؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك

(1) انظر: أدب الدنيا والدين، ص ١٥٩.

(2) انظر: الكشف، ج ٤، ص ٢٨٧.

(3) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٩٨.

أن تنصرهم إذا خذلهم الله تعالى، ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطهما لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تفسيرهم للأمر، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه (١).

ويتبين من خلال ذلك إعجاز القرآن الكريم في تحقيق الأمن، فاليهود اليوم يملكون أقوى الأسلحة المادية، ومعظمهم مجندون ومدربون على القتل والفتك والنهب، ويملكون أموالاً طائلة، ومع ذلك فهاجسهم الوحيد ظل إلى الآن الأمن؛ لأنهم بعيدون عن هدى الله - عز وجل - ولكن هيهات أن يناموا ملء جفونهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران آية ١١٢).

المطلب الرابع

أثر الخوف على النفس

ومن التغيرات والآثار البدنية والنفسية التي تصاحب حالة الخوف:

١ - زيادة سرعة ضربات القلب، حتى يشعر الخائف أن قلبه قد انتزع منه، وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة التي يعاني منها بعض الناس يوم القيامة من شدة الخوف في قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (إبراهيم آية ٤٣) أي "وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجع، والخوف، ولهذا قال قتادة وجماعة: إن أمكنة أفئدتهم خالية؛ لأن القلوب لدى الحناجر قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف" (٢).

٢ - اتساع حدقة العين وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب آية ١٩) أي من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء، إذا حضروا القتال والعدو رأيتهم ينظرون إليك، أجبين قوم وأخذلهم للحق، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ فإذا كان الأمن، وانجلت الحرب، تكلّموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك (٣).

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٧٠٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٨٠٠.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٧٤٩.

٣- القلق الدائم: إن مخافة الله هي من الضروريات في الحياة، وأما من اتبع هواه فیتسلط الشيطان عليه، ویوسوس في صدره، وينفت فيه الخوف، وتراه من شدة هذا الشعور قلقاً، وتغيب عنه نعمة النوم والراحة، وتراه غير منسجم في جميع أمور حياته، حتى يصل لدرجة فقدان حلاوة الحياة، فهذا مصير من يتخذ الشيطان ولياً له، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران آية ١٧٥).

ويتبين من خلال ذلك أن القلب الممتلئ بالخوف من الله تعالى لا يجد صاحبه فيه مكاناً لأي خوف سواه، والخوف الحقيقي لا يكون إلا من الله تعالى، فهو الخوف الإيجابي الذي يدفع الإنسان إلى مراقبة أعماله، وهو الخوف الذي لا يسلب الطمأنينة من القلب، بل على العكس يمنحه إياها، وأما الخوف من مخلوقات الله، فهو خوف سلبي، يسلب القلب الطمأنينة فيحل محلها الخوف والفرع.

المبحث الخامس آفة الحسد

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الحسد.

المطلب الثاني :أسباب الحسد.

المطلب الثالث : أثر الحسد على النفس.

المطلب الأول

تعريف الحسد

الحسد لغة:

هو تمنى زوال نعمة المحسود، يُقال: حَسَدَهُ يَحْسُدُهُ حُسُودًا. وقيل (المؤمن يغبط والمنافق يحسد)^(١).

الحسد اصطلاحاً:

الحسد من الأمراض النفسية الخطيرة التي قد تؤثر على المحسود في إزالتها، ولذلك فقد جاء ضمن آيات سورة الفلق التعوذ من الحسد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق) .

قال الشوكاني - رحمه الله - : "الحسد تمنى زوال النعمة التي أنعم الله بها على المحسود، ومعنى (إِذَا حَسَدَ): إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بمقتضاه، وحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، ... وذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة إرشاد رسوله ﷺ إلى الاستعاذة من شر كل مخلوقاته على العموم، ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره، ومزيد ضرره، وهو الغاسق، والنفاثات، والحاسد، ... وقوله : (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) قال: نفس ابن آدم وعينه" ^(٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه ب) قل هو الله أحد وبالمعوذتين) ثم يمسح بها وجهه وما بلغت يده من جسده ، قالت عائشة : فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به) ^(٣) .

والحسد حقيقة واقعة وأثره لا شك فيه، وأصله انفعال نفس الحاسد عند رؤية المحسود انفعالا شريراً يدفعه إلى مباشرة أسباب المضرة، سواء كان ذلك في حضور المحسود أم في غيبته.

وذكر العلامة الألويسي - رحمه الله تعالى - : أن الحاسد إذا وجه نفسه الخبيثة نحو المحسود، على وجه الغضب، تتكيف نفسه بكيفية خبيثة ربما تؤثر في المحسود بحسب ضعفه، وقوة نفس الحاسد، وقد تصل إلى حد الإهلاك.

(1) لسان العرب، ج ٣، ص ١٨٣.

(2) فتح القدير، ج ٥، ص ٧٥٩ - ٧٦١.

(3) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، ح رقم ص ٣٤٠٢، ص ٧٧٢.

الفرق بين الحسد والغبطة:

"الحالة الأولى: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، فهذا هو الحسد كما سبق تعريفه، والحالة الثانية: أن لا تكره وجودها ولا تحب زوالها، ولكن تشتهي لنفسك مثلها فهذا يسمى غبطة" (١).

ولذا فالغبطة من المباحات، والحسد من المحرمات ولشدة خطورة الحسد نهى عنه الرسول ﷺ فقال: (ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً) (٢) كما أخبر (عليه الصلاة والسلام) أن الإيمان والحسد لا يجتمعان في جوف شخص واحد، فعن أبي هريرة t أن رسول الله ﷺ قال: (... ولا يجتمعان في جوف قلب عبد الإيمان والحسد) (٣).

المطلب الثاني

أسباب الحسد

١ - بغض المحسود، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم آية ٥١).

قال ابن كثير - رحمه الله -: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ أي "يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله" (٤).

وقال الشوكاني - رحمه الله -: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ قرأ الجمهور ﴿لِيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياء من أزلقه: أي أزل رجله، يقال: أزلقه عن موضعه إذا نحاه، وقرأ نافع وأهل المدينة بفتحها من زلق عن موضعه، إذا تتحى، وفي مذهب أهل اللغة والتأويل، أنهم من شدة إيغاضهم وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام، يقول القائل نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني (٥).

٢ - أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد فيكره تقدمه فيه واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً لولاه لكف عنه.

(1) مختصر منهاج القاصدين، ص ١٨٦.

(2) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابير، ح رقم ٦٠٦٥، ص ١٣٠٠.

(3) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ح رقم ٣١٠٩، ص ٤٧٩.

(4) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٩٥.

(5) انظر: فتح القدير، ج ٥، ص ٣٩٣-٣٩٤.

٣- أن يكون في الحاسد شح بالفضائل، وبخل في النعم وليست إليه فيمنع منها، ولا بيده فيدفع عنها؛ لأنها مواهب قد منحها الله من شاء، فيسخط على الله تعالى في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله عليه أكثر ومنحه عليه أفضل، وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها؛ إذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية.

٤- العداوة والبغضاء: وهذا أشد أنواع الحسد، فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه، أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام فمهما أصاب عدوه من البلاء، فرح بذلك وظنه مكافأة من الله تعالى له، ومهما أصابته نعمة ساء ذلك، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقى أن لا يبغى، وأن يكره ذلك من نفسه، فأما أن يبغض إنساناً فيستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن، وهذا النوع من الحسد هو الذي وصف الله تعالى الكفار به فقال: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ (آل عمران آية ١١٨) "إخبار وإعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم، فمن شدة البغض والحسد أظهرت ألسنتهم ما في صدورهم" (١) والحسد بسبب العداوة والبغضاء ربما يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وما يجري مجراه.

٥- الخوف من فوت المقصود: وذلك يختص بمتراحمين على مقصود واحد، فيكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم أسباب الحسد التي سبقت، ويقع ذلك غالباً بين الأقران، والأمثال، والأخوة، وبنى العم، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل التناقض فيها، فيثور التناظر والتباغض، لذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، ولا يحسد غيره إلا أن يكون سبب آخر، لأن مقصد كل واحد من هؤلاء غير مقصد الآخر، (٢) ومن أسباب الحسد الكبر والعجب وقد تحدثت الباحثة عنه في هذه الرسالة (٣).

"واعلم أنه بحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه، يكون حسد الناس له، فإن كثر فضله كثر حساده، وإن قل قلوا؛ لأن ظهور الفضل يثير الحسد، وحدوث النعمة يضاعف الكمد. (٤)

(1) الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١١٦.

(2) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص١٨٨.

(3) انظر: ص٩٧ من هذه الرسالة.

(4) أدب الدنيا والدين، ص٤٢٧.

المطلب الثالث

أثر الحسد على النفس

إن الحسد خلق ذميم، وهو من نتائج الحقد الذميم، ولقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق آية ٥).

- الحسد يؤدي إلى المعاصي وكثرة الذنوب والقتل، قال بعض السلف: الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم عليه السلام، وأول ذنب عصي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة آية ٢٧)

- وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزءاً وغماً، ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً .

- الحسد لا يعود على صاحبه إلا بالحسرات، والسقام ثم لا يجد لحسراته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء، ويؤدي إلى انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة، وغضب الله تعالى، وإلى النار، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر آية ٤٣) فالحسد ضرر على صاحبه قبل أن يكون ضرراً على المحسود، بل المحسود ينتفع به في الدنيا، فالنعمة لا تزول عن المحسود بالحسد، بل تدوم إلى أجله الذي قدره الله تعالى له، ولا ضرر عليه في الآخرة، لأنه لا يَأْثُمُ بذلك، بل ينتفع به، لأنه مظلوم من جهة الحاسد لا سيما إذا أخرج الحسد إلى القول والفعل (١).

ويتبين من خلال ما سبق أن الحسد من الأمراض الخطيرة على النفس البشرية، ومدمر للحياة، وكما أن الحياة البشرية معرضة للزوال بسبب الحسد، فإن أي جماعة معرضة للتفكك بسبب هذا المرض الخبيث، فهو الذي أهلك الأمم من قبل، وهو الذي يمكن أن يهلك هذه الأمة، فعلى المسلم التخلص من هذه الآفة الخطيرة التي تجلب الحسرة في الدنيا، والعذاب في الآخرة، ولا بد من معرفة هذه الصفة الذميمة وحقيقتها حتى نتخلص منها، فتستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض.

(1) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩٨-١٩٩.

المبحث السادس

آفة الغرور

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الغرور.

المطلب الثاني :أصناف المغترين.

المطلب الثالث : مظاهر الغرور.

المطلب الرابع: أثر الغرور على النفس.

المطلب الأول

تعريف الغرور

الغرور لغة:

الغُرُورُ بالفتح الشيطان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان آية ٣٣) والغرور أيضا ما يُنَغَرُّ بِهِ من الأذوية، والغرور بالضم ما اغترَّ به من متاع الدنيا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام آية ٧٠) وغرَّه يغرّه بالضم غرورا خدعه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء آية ١٢٠) أي خديعة والتغريير حمل النفس على الغرور، وقد غرَّ بنفسه تغرييرا، وتغرَّ بكسر الغين، والغرغرة تردد الروح في الحلق (١).

الغرور اصطلاحاً:

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران آية ١٨٥) أي: "الشيطان يغر الناس بالأمانى الباطلة، والمواعيد الكاذبة، وشبهه سبحانه بالدنيا بالمتاع الذي يدلس به على من يريده، وله ظاهر محبوب وباطن مكروه." (٢) وأصل الغرور: تزيين الخطأ بما يوهم الصواب، وقيل: الغرور بالله أن الإنسان يعمل بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة (٣).

والغرور أحد المفاصد الأخلاقية التي يبئلى بها المؤمن، والغرور على ما عرفه الغزالي رحمه الله هو: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه بالطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور، وهو من أسوأ الصفات النفسية، لأنه الباعث الحقيقي للمساوئ الأخلاقية؛ كحب الدنيا وطول الأمل والظلم والفسق والعصيان (٤).

ويتبين من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي مدى التلاقي بين المعنى الاصطلاحي واللغوي.

(1) انظر: مختار الصحاح، ص ٤٧١.

(2) فتح القدير، ج ١، ص ٦٠٧.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٥٥.

(4) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٣٧٩.

المطلب الثاني

أصناف المغترين

ومن أصناف المغترين: (١)

الصنف الأول: غرور الكافر: وينحصر في قسمين: من غرته الحياة الدنيا، ومنهم من غره بالله الغرور، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان آية ٣٣).

*الاغترار بالدنيا: وهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة، والدنيا نقد والآخرة نسيئة، فالدنيا إذن خير من الآخرة، فلا بد من إثارها، وقالوا أيضاً: اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين، ولذات الآخرة شك، فلا نترك اليقين للشك، وهذه الأقيسة فاسدة؛ لذلك يلجأ إليها الشيطان ليغري بها الجهلة من الناس، ومصدر هذا الجهل هو الغرور، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (لقمان آية ٣٣) أي: لا ينبغي أن تغريهم بنفسها، ولا ينبغي أن يغتروا بها، وإن حملهم على محبتها نفس أمارة، أو شيطان مكر، فهاهم الله تعالى عن ذلك، وأمرهم أن يكونوا من الذين لا يلتفتون إلى الدنيا، ولا إلى من يحسن الدنيا في الأعين. ولا إلى خداعه بزینتها ولذاتها (٢).

*الاغترار بالله تعالى: أي: أنه يقيس الدنيا على الآخرة، فيعتقد كذباً وغروراً بحتمية الثواب، والرحمة، والنعمة، كما أنه يناصر شيطانه ويوافق هوى نفسه، فيزعم أنه مادام الله قد أخرج عنه عذاب الدنيا، فقياساً على ذلك سيؤخر عنه عذاب الآخرة بالضرورة، فهذا غرور بالله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان آية ٣٣) أي: ولا يخدعنكم بالله خادع، ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنينكم الأمانى، ويعدكم من الله الوعود الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله تعالى، وهو الذي يغري الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الآخرة (٣).

وهكذا تكون الغرة بالله، فيرى النعمة حتماً واجباً على الله تعالى، والمغتر بالشيطان مغتر بوعوده وأمانيه، وقد ساعده اغتراره بدنياه ونفسه، فلا يزال كذلك حتى يتردى في آبار الهلاك.

(1) انظر: نحو علم نفس إسلامي، ص ١٤٩.

(2) انظر: جامع البيان، ج ٢١، ص ٨٦.

(3) انظر: المرجع السابق، ج ٢١، ص ٨٧.

الصف الثاني غرور المؤمن:

* غرور عصاة المؤمنين، إلا أن طاعتهم أكثر، وغرورهم بقولهم: إن الله كريم وإنا نرجو عفوه، واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال، وتحسين ذلك بتسمية تمنّيهم واغترارهم رجاء، وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين، وأن نعمة الله تعالى واسعة ورحمته شاملة ويرجونه بوسيلة الإيمان، ولكن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بمثل هذا، ولولا حسن الظاهر لما انخدع به القلب، وهذا التمني على الله غير الشيطان اسمه، فسماه رجاء حتى خدع به الجهال، وقد شرح الله الرجاء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة آية ٢١٨)، ومن أعظم الغرة أن ترى المولى عز وجل يتابع عليك نعمه وأنت مقيم على ما يكرهه، فالشيطان وكل بالغرور، وطبع النفس الأمانة الاغترار، فإذا اجتمع الرأي، والبغي، والشيطان الغرور، والنفس المغتره لم يقع هناك خلاف في حدوث الغرة، فالشياطين غروا المغترين بالله وأطمعوهم - مع إقامتهم على ما يسخط الله ويبغضه - في عفوه وتجاوزة، وحدثهم بالتوبة لتسكن قلوبهم، ثم دافعوهم بالتسويق حتى هجم الأجل فأخذوا على أسوأ أحوالهم، قال تعالى في هؤلاء: ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَانِيَّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد آية ١٤) وقال تعالى: ﴿وَلَنِّ أَدْفَنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنِّي رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَكَلْبَتَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (فصلت آية ٥٠) فأعظم الناس غروراً بربه من إذا مسه الله تعالى برحمة منه وفضل قال: (هذا لي) أي أنا أهله وجدير به ومستحق له، ثم قال (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) فظن أنه أهل لما أولاه من النعم مع كفره بالله، ثم زاد في غروره فقال " (وَلَنِّي رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ) يعني الجنة والكرامة (١) .

* غرور عصاة من المؤمنين إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة، ويظنون أنهم بذلك تترجح كفة حسناتهم، مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل، فترى الواحد يتصدق بدراهم من الحلال والحرام، فيتداخل في هذه الصدقة ما يتناوله من أموال الناس، ويظن أن ذلك لله، وذلك غاية في الجهل والاعترار، وهولاً يعلم أن الله تعالى حذر من الوصول إلى هذا الحال، وأعلم بقرب وقوف العبد بين يديه للحساب والجزاء في يوم تشييب لهولاه الولدان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٥٠.

وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالدِّهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ (لقمان آية ٣٣) أي: اعلموا أن مجيء هذا اليوم حق، وذلك أن الله قد وعد عباده، ولا خلف لوعده (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) فقولهُ (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) أي: لا يخدعنكم بالله خادع بأن يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجىكم التوبة والمغفرة منه تعالى، أي تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة (١).

ويتبين من خلال ذلك أن المؤمنين بألسنتهم وعقائدهم ضيعوا أوامر الله تعالى، وهجروا الأعمال الصالحة، ولا بسوا الشهوات والمعاصي، فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور؛ لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة إلا أن أمرهم أخف، لأن أصل الإيمان يعصمهم من عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين، ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه آية ٨٢).

الصف الثالث : غرور العلماء :

• هناك نوع من الغرور يتجاوز العامة من الناس إلى المتعلمين والمتقنين من أصحاب العلوم العقلية، والشرعية، والتجريبية الذين تعمقوا فيها، واشتغلوا بها واغترتوا بعلمهم، وظنوا أن لهم مقاما عالياً في العلم، وظنوا - كبراً - أن الله تعالى لن يعذبهم، وبناءً على هذا الاعتقاد الباطل أهملوا حفظ جوارحهم عن المعاصي والتزام الطاعات، وهم مغرورون .

وهم لا يدرون أن من ازداد علماً، ولم يزد هدى لم يزد من الله تعالى إلا بعدا.

- ومن العلماء المغرورين، الذين اهدتوا إلى الأخلاق الباطنة وتيقنوا أنها مذمومة شرعاً إلا أنهم تعجبوا بأنفسهم، فظنوا أنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم؛ لأن الذي يبتلى بالأزمات الباطنة هم عوام الناس، فظهر عليهم الكبر والرياسة، واعتقدوا أن ذلك شرف للعلم ونسوا أن ذلك من أخلاق إبليس، بل نسوا تواضع الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم أجمعين ومن علامات غرورهم الحسد، وإطلاق اللسان على زملائهم وأقرانهم، ويظنون أن هذا ليس حسداً وإنما غضب للحق، ورد على الباطل كذباً وافتراء على الله تعالى، إذ إن ذلك من صفات المغرورين.

• ومن العلماء من طهروا جوارحهم، وابتعدوا عن المعاصي، وتفقدوا أخلاق النفس، ومسحوا عن قلوبهم الرياء والحسد والكبر، لكنهم مع ذلك لم يتخلصوا من الغرور؛ إذ

(1) انظر: جامع البيان، ج ٢١، ص ٨٧.

ما تزال في زوايا قلوبهم شوائب، وما يزال يلعب برؤوسهم شيطان مكر، يخدع النفس وهم لم يفتنوا إلى ذلك.

- ومنهم من يهتم بعلوم المعاملات الدنيوية، وتركوا الأعمال الظاهرة والباطنة، ولم يؤدبوا جوارحهم، ويمسكوا ألسنتهم عن الغيبة والحرام أو عن الكبر والرياء والحسد، وهم مغررون يهتمون بالمجادلة، وإقحام الخصوم بحججهم، وكل قصدهم المباهاة والغلبة، ولو اهتموا بتصفية قلوبهم، لكان خيراً من علم لا ينفع في الدنيا والآخرة .
 - وكثير من العلماء يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب، ومنهم علماء يظنون أنهم تبحروا في علوم المحبة الإلهية وأنهم من الناجين، ويذمون الصفات المذمومة وهم بها متصفون.
 - ومن المغرورين أيضاً من يقلد كلام الزهاد فيرددونه، ويعظون الناس به في الأسواق وهم أشد الناس غروراً.
 - كما أن من هؤلاء المغرورين من يجمع الحديث والأقوال، ويقول أنا معي أسانيد ليست عند غيري ويقتصرون على النقل دون فهم المعاني الواردة .
 - وبعضهم يدرس علوم اللغة، ويعتقدون أنهم من العلماء الكمل، وهذا غرور عظيم، فالتعمق في دراسة اللغة بدرجة لا تنتهي للمباهاة من الغرور.
 - وبعض العلماء يكون غروره في الصلاة والصيام والحج والزهد والجهاد أو الاشتغال بالناوغل ثم إنه يهمل الفرائض.
- وبعض المغرورين يقرأ القرآن بالليل والنهار لكن قلبه في وادي الأمانى متفكراً في الدنيا، وربما يقرأ القرآن ويتلذذ به ولكنه لا يعمل بما جاء فيه، ومنهم من يهتم وينشغل بمخارج الألفاظ ولا يتفكر في أسرار فاتحة الكتاب ومعانيها (1) .

المطلب الثالث

مظاهر الغرور

ومن مظاهر الغرور:

- 1- انشغال الإنسان بنعيم الدنيا ومتاعها عن الآخرة: فالغرور بالمال، والغرور بالعلم، يعتبران المحك الذي يعرف به معدن الإنسان، فالعلم نعمتان من نعم الله على عبده، ولكن إذا كان المنعم عليه جاهلاً بحقيقة الدنيا اغتر بها، يقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران آية ١٨٥) أي: تغر المؤمن وتخدعه، ويظن طول البقاء،

(1) انظر : نحو علم نفس إسلامي، ص ١٥٣-١٥٧.

فيشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن الآخرة " (١) ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْرُنْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (لقمان آية ٣٣) "من متاع يُلهي، أو شغل يُنسي، أو شيطان يوسوس في الصدور، والشياطين كثير؛ الغرور بالمال شيطان، والغرور بالعلم شيطان، والغرور بالعمر شيطان، والغرور بالقوة شيطان، والغرور بالسلطان شيطان، ودفعة الهوى شيطان، ونزوة الشهوة شيطان، وتقوى الله وتصور الآخرة هما العاصم من كل غرور!" (٢) .

٢- التتالي على الآخرين وازدراؤهم: فالعبد ينخدع بما آتاه الله تعالى من أسباب القوة، والجمال وحطام الدنيا الفاني؛ فيتعالى على الناس ويتكبر، ثم يتكبر على ربه وخالقه ومولاه، فلا يخضع له ولا يقوم بواجب العبودية، بل يسير وراء شهواته ونزواته غير عابئ بنظر الله إليه، غير مكترث بالناس من حوله، فقد زينت له نفسه، وبررت له الأخطاء، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ (الانفطار آية ٦-٧) يعني: ما خدعك وسول لك؟ وكيف اجتأرت على ربك فأضعت ما وجب عليك، وارتكبت ما حرم عليك، وهذا توبيخ وتبكييت للعبد المغرور الذي سكنت نفسه إلى ما يوافق هواها، ولو كان فيه ما يغضب الرب تبارك وتعالى (٣) .

كما وجه الله تعالى عباده إلى معرفة قدر النفس والتزام حدودها وعدم الاغترار بها، فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم آية ٣٢)، فالنفس إذا تغلغل فيها حب الدنيا والتعلق بشهواتها أدى ذلك إلى تشوقها للمدح والثناء وازداد إعجاب صاحبها بها ورضاه عنها وهذا غرور قاتل وآفة مهلكة.

٣- الاستبداد بالرأي، فلا يستمع لنصح ناصح ولا لوعظ واعظ، لأنه يدعي لنفسه العظمة والكمال، فيبقى حيث هو في سلم الغلط أو في سلم الحياة لا ارتقاء ولا نهوض مع التلبس بالغلط (٤) .

٤- نسيان المغترين عند امتلاكهم للنعم أنفسهم، وجهلهم بأن هذه النعم زائلة لا تبقى، وإنها ليست خالدة كما يظنون، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ (الكهف آية ٣٦) فالمغرور في الدنيا مسكين، وفي الآخرة مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى .

(1) الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١٩٢.

(2) في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٧٩٨.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص١٦١.

(4) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، ص٢١٩.

وهكذا حال المغرورين يغفلون، ولا ينتبهون إلا بعد زوال النعمة، يتمنون رجوعها قائلين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ (المؤمنون آية ٩٩) والغرور يدل على نفس غير سوية، وإيمان ضعيف، وقلب غير سليم.

المطلب الرابع

آثار الغرور

للغرور آثار سيئة، وعواقب خطيرة ومن هذه الآثار :

١ - "الوقوع في غوائل المراء والجدل، فالمغرور - في حبه لذاته ورؤيته لعمله، واحتقاره لأعمال الآخرين - يحاول الانتصار لنفسه، والغلبة لها بالحق أو بالباطل" (١) قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام آية ١١٢) أي يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف؛ الذي زينه وحسنه بالباطل إلى صاحبه، والذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره ، فيضل عن سبيل الله تعالى (٢) .

٢ - الغرور بالنفس يصد عن الحق وإن كان أوضح من فلق الصبح، ولهذا قال ٣ : (الكبر بطر الحق وغمط الناس) (٣) فيستكف المغتر من قبول الحق، ومن الرجوع إليه بعد أن يتبين له، قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (الأنعام آية ١١٢) أي "يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء الذين لا يفهمون الحقائق ولا يفهمون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلاً والباطل حقاً" (٤) .

٣ - الغرور يُعمى البصر، ويطمس على البصيرة، فالمتكبر المغرور إنسان مطموس البصيرة أعياء الغرور عن رؤية الحق؛ لأنه لا يبصر إلا من زاوية واحدة، وهي الزاوية التي يرى فيها ذاته ولا يرى غيرها، وترفع على الخلق، وتكبر على الله تعالى، فصار من المغرورين، فمن كانت هذه صفته يطبع الله تعالى على قلبه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ

(1) آفات على الطريق، ج ١ ص ١٥٦.

(2) انظر : تفسير القرآن لعظيم ج ٢، ص ٢٤٨.

(3) سبق تخريجه ص ٩٦ من هذه الرسالة،

(4) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧١.

عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ (غافر آية ٣٥) متكبر في نفسه عن اتباع الحق برده، وعلى الخلق باحتقارهم (١).

٤- أما عن أثر غرور التدين لدى بعض الدعاة على المجتمع، فإنه أثر جد خطير؛ لأنه يؤدي إلى الفصل بين القول والفعل، بين الواقع والسلوك، فينتج مجتمعا مفكك العرى، مهلهل النسيج، ضعيف البنيان، لديه خور في العقيدة، ووهن في الدين، لأنهم لم يطبقوا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف آية ٣، ٢) وقوله تعالى: ﴿اتَّمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَسْؤُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة آية ٤٤)

وفي ذلك تأكيد على أن يكون هذا العلم مقرونا بالعمل، وإلا كان الهلاك واليوار (٢).

ومن خلال ما سبق يتبين أن آفة الغرور آفة خطيرة، ولها تأثير كبير في تدسية النفس وانحرافها، وأن التخلص من هذا المرض النفسي الفتاك يكمن في إزالة الجهل؛ بالتفكير الصحيح والعميق لفناء الدنيا وجميع ما فيها، يقول الله عز وجل: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل آية ٩٦) ويقول تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى آية ١٧).

ولا يفهم من ذلك الإفراط في ترك الدنيا، بل المقصود التوازن، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص آية ٧٧)، فمن حقاك أن تأخذ نصيبك من الدنيا، لكن إلى جانبه يجب أن تعرف حقيقة الدنيا لكي لا يجرفك الغرور بموجه العارم.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١١٥.

(٢) انظر: آفات على الطريق ج ١، ص ١٤٥.

المبحث السابع

آفة الرياء

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الرياء.

المطلب الثاني :أسباب الرياء.

المطلب الثالث : أنواع الرياء.

المطلب الرابع: أثر الرياء على النفس.

المطلب الأول

تعريف الرياء

من الأدواء المهلكة، والأمراض الفاتكة، والخسائر الفادحة الرياء، حيث فيه خسارة الدين والآخرة، ولهذا حذر منه المتقون، وخافه الصالحون، ونبه على خطورته الأنبياء والمرسلون، ولم يأمن من مغبته إلا العجزة، والجهلة، والغافلون، فهو الشرك الخفي، والسعي الرديء، ولا يصدر إلا من عبد السوء.

الرياء لغة:

هو نوع من أنواع الشهوة الخفية للمعاصي، فكأنه يُرائي الناس بتركه المعاصي، والشهوة في قلبه مُخفاة، وإذا استخفى بها عملها، وقيل: الرياء ما كان ظاهراً من العمل، والشهوة الخفية حُبُّ اطلاع الناس على العمل، ورائيت الرجل مُراءاةً ورياءً أريته أنني على خلاف ما أنا عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ (الأنفال آية ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ (الماعون آية ٦) يعني المنافقين أي: إذا صلى المؤمنون صلوا معهم يراؤونهم أنهم على ما هم عليه، وفلان مُراءٍ وقومُ مراعون، والاسم الرِيَاءُ يقال: فَعَلَ ذَلِكَ رِيَاءً وَسُمْعَةً وتقول: من الرِيَاءِ يُسْتَرَأَى فلانٌ، فالرياء إذن: هو إظهار العمل للناس ليروه، ويظنوا به خيراً، فالعمل يكون لغير الله (١).

الرياء اصطلاحاً:

هو أن يعمل الإنسان العمل، ويكون غير مخلص لله تعالى فيه، يقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ (الماعون آية ٦) أي: "يرى الناس أنه يصلي طاعة، وهو يصلي تقية كالفاسق، يرى أنه يصلي عبادة، وهو يصلي ليُقَالَ: إنه يصلي، وحقيقة الرياء: طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس." (٢) عن ابن عباس t قال: قال رجل: يا رسول الله: إني أقف الموقف وأريد وجه الله، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ٣ حتى نزلت: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف آية ١١٠) (٣) ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (البينة آية ٥).

(1) انظر: لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٦٦.

(2) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ١٤٤.

(3) انظر: مستدرک الحاكم، كتاب الجهاد، ح رقم ٢٥٢٧، ج ٢، ص ١٢٢.

المطلب الثاني

أسباب الرياء

- ضعف الإيمان: فلما كان الرياء من أواخر غوائل النفس، وبواطن مكايدها، فقد يبئلى به كثير من العلماء والعباد والمشمريين، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -: "إنهم لما قهروا أنفسهم عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليها بعين الوقار والتعظيم، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى إطلاع الخلق، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله وحده، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات، وتوقيه الشبهات، وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء، وبالغوا في التقريظ والإطراء... فهو يرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزييناً للعباد وتصنعاً للخلق فرحاً بما نالت من المنزلة والوقار، وأحببت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال، وقد أثبتت اسمه في جريدة المنافقين، وهو يظن أنه من المقربين." (١)

- الخوف من قالة الناس، لا سيما الأقران، حتى يظهر بالصورة التي ترضيهم، وتسكت ألسنتهم عنه، وإذا ما خلا بنفسه انتهك محارم الله تعالى، ويصور الله ذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ (النساء آية ١٠٨) (٢) وهذا من ضعف الإيمان ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله تعالى، فهم لا يحبون الفضيحة بين الناس، وهم مع ذلك - قد بارزوا الله تعالى بالمعاصي، ولم يهتموا بمراقبته لهم، واطلاعه على أمورهم وأحوالهم (٣).

أنواع الرياء

المطلب الثالث

العمل لغير الله أنواع وأقسام، كلها مذمومة مردودة، ومن الله متروكة، فالله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء، وأفضل الخطاء، فمن أشرك معه غيره تركه وشركه، فعن أبي هريرة **t** عن النبي **ﷺ** قال: يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل

(1) إحياء علوم الدين ج ٣، ص ٢٧٥.

(2) انظر: آفات على الطريق، ج ٢، ص ١٣.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ١٩٢.

عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) (١) .

١ - الرياء المحض: وهو العمل الذي لا يُراد به وجه الله بحال من الأحوال، وإنما يُراد به أغراض دنيوية وأحوال شخصية، = وهي حال المنافقين الخُص، كما صور الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء آية ١٤٢) ومن صفاتهم أنهم (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى) والصلاة أكبر الطاعات العملية، إن قاموا لها (قَامُوا كُسَالَى) متثاقلين، متبرمين من فعلها، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله تعالى وإلى ما عنده، فارغة من الإيمان، لم يصدر عنهم الكسل (يُرَآؤُونَ النَّاسَ) أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم، وهذا مصدر أعمالهم، مراعاة الناس (٢) . ولما خرجت قريش من مكة إلى بدر، خرجوا بالقيان والدخوف، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال آية ٤٧) وحذرهم بقوله: ولا تقوموا أيها المؤمنون بالله ورسوله، في العمل بالرياء والسمعة، وترك إخلاص العمل لله، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بَطْرًا ومراعاة للناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم، (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) يمنعون الناس من دين الله، والدخول في الإسلام بقتالهم إياهم، وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله، (وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ) من الرياء والصدِّ عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم (مُحِيطٌ) عالم بجميع ذلك، لا يخفى عليه منه شيء، وذلك أن الأشياء كلها له متجلية، لا يعزب عنه منها شيء، فهو لهم بها معاقب، وعليها معذب (٣) . قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون آية ٤-٧) وقد استحقوا هذا الوعيد الشديد لظلمة قلوبهم بالكفر والشرك الذي يخفونه، ولما كانت هذه الصفات الذميمة، لا تؤدي إلى إخلاص أو خشوع لله تعالى، وإنما تؤدي إلى الرياء وعدم المبالاة بأداء التكاليف التي أوجبها الله تعالى على خلقه، ولما كان الأمر كذلك، وصف الله تعالى هؤلاء المكذبين بالبعث والجزاء بأوصاف أخرى، فقال: (ويل للمصلين) (٤) .

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفاق، باب تحريم الرياء، ح رقم ٧٣٦٩، ص ١٤٦٢ .

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٠٤ .

(3) انظر: جامع البيان، ج ١٠، ص ١٨ .

(4) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، فضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوي، ج ٢٩، ص ٧٣٠ .

فالمرائي يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم، وقال الفضيل بن عياض: كانوا يراؤون الناس مما يعملون، وصاروا اليوم يراؤون بما لا يعملون (١).

٢- الرياء بالقول: "بإظهار التسخط على أهل الدنيا، وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة" (٢) وحفظ الأخبار، والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة، وإظهارا لغزارة العلم، ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي، وتضعيف الصوت في الكلام، وترقيق الصوت بقراءة القرآن، ليدل ذلك على الخوف والحزن، والمجادلة على قصد إفحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين.

٣- الرياء بالعمل: بإظهار الصلاة والصدقة، أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية الناس، والرياء بالثياب القصار والخشنة، ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا، وذلك تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ (الماعون آية ٦) (٣).

- المرائي يسرع في المشي إلى حاجته، فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين، رجع إلى الوقار خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، فإذا رآه عاد إلى خشوعه (٤).

ويتبين من خلال ذلك أنه كلما خلص العمل من الرياء كان أوزن وأزلف عند الله سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع

أثر الرياء على النفس

- الرياء من الأمراض الخطيرة التي يترتب عليها احباط العمل، فلا ينتفع به صاحبه يوم القيامة وإنما يكون وبالاً عليه، ويصور ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا

(1) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٩٦.

(2) الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ١٤٥.

(3) انظر: المرجع السابق، ج ٢٠، ص ١٤٥.

(4) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٩٧.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة آية ٢٦٤﴾ وهذا مثل مطابق لقلب المرائي الذي ليس فيه إيمان، بل هو قاسٍ لا يلين ولا يخشع، فهذا أعماله لا أصل لها تؤسس عليه، ولا غاية تنتهي إليها، بل ما عمله فهو باطل (١).

وهكذا ينتهي الرياء بصاحبه إلى بطلان العمل وعدم قبوله.

- والرياء هو نوع من أنواع الشرك الخفي الذي إذا استفحل وتأصل في النفس، فقد يؤدي إلى حقيقة الشرك؛ لأن فيه تمزيقاً للقلب البشري، فلا يتوجه العبد إلى خالقه في العبادة، وإنما يتوجه للمخلوقين طلباً لرضاهم. يقول الرسول ٣: (اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء، الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غيراء مظلمة) (٢).

- عدم إتقان العمل، ذلك أن المرائي إنما يراقب الخلق لا الخالق، والخلق مهما كانت طاقتهم وإمكاناتهم عاجزون عن المتابعة في كل زمان أو مكان، فهذا يؤدي إلى عدم إتقان العمل، ولقد أشار الله تعالى إلى هذا الأثر وهو يتحدث عن المنافقين فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء آية ١٤٢) فقصدهم الناس وعدم إخلاصهم لله تعالى، فلهذا (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) لامتلاء قلوبهم من الرياء، فذكر الله تعالى لا يكون إلا من مؤمن خالص بالإيمان، ولا يكون من مرئياً خداعاً (٣).

- الفضيحة في الدنيا وعلى رؤوس الأشهاد: المرائي يقصد بعمله خداع غيره، ليعطيه هذا زمامه، وليسلم له هذا الغير القيادة، ويأبى الله تعالى ذلك لما يمكن أن يصنعه هذا المرائي من إفساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل، وهذا ما صوره الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة آية ٢٠٤-٢٠٦). وفي الآخرة لهم عذاب شديد (٤).

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧.

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب من ترجى له السلامة من الفتن، ح رقم ٣٩٨٩، ص ٤٧٩.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٠٤.

(4) انظر: آفات على الطريق، ج ٢ ص ٢٠.

- "وقال علماؤنا - رضي الله تعالى - عنهم : وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به، كما يُحكى أن طاهر بن الحسين ^(١) قال لأبي عبد الله المروزي ^(٢) : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم، فقال يا أبا عبد الله سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين.
وحكى الأصمعي ^(٣) أن أعرابيا صلى فأطال وإلى جانبه قوم، فقالوا: ما أحسن صلاتك؟! فقال: وأنا مع ذلك صائم" ^(٤) .

- ولشدة خطورة الرياء فقد جاء الترهيب منه، ويصور ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون آية ٤-٧).
وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أُحَدِّثُ﴾ (الكهف آية ١١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة آية ٥) أي: "قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله تعالى وطلب الزلفى لديه" ^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (النساء آية ٣٩) فهو عليم بهم وبأعمالهم، وما يقصدون ويريدون بإنفاقهم ما ينفقون من أموالهم، وأنهم يريدون بذلك الرياء والسُّمعة والمحمدة في الناس، وهو حافظ عليهم أعمالهم، لا يخفى عليه شيء منها، حتى يجازيهم بها جزاءهم عند معادهم إليه ^(٦).
ومن الأحاديث قصة الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة لأنهم يراؤون بأعمالهم : رجل استشهد، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، ورجل وسع الله عليه

(1) طاهر بن الحسين بن أحمد البغدادي، الإمام القدوة الكبير، أبو الوفاء، سمع من كثير، وكان من العلماء العاملين صادقاً، مخلصاً، قانعاً باليسير، توفي في شعبان سنة ست وسبعين وأربع مئة، انظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٤٥٢.

(2) أبو عبد الله المروزي، الإمام العلامة الشافعي، منسوب إلى بعض أجداده، كان من أساطين المذهب، يضرب بذكائه المثل وقوة حفظه، وهو صاحب وجه في المذهب، له خبرة في الحديث، عاش نيفاً وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٧٢.

(3) الأصمعي، الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، الأصمعي البصري، اللغوي الاخباري، أحد الأعلام، يقال : اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب، ولد سنة بضع وعشرين ومئة، مات الأصمعي سنة خمس عشرة ومئتين، ويقال : عاش ثماني وثمانين سنة -رحمه الله- انظر: سير أعلام النبلاء ج ١٠، ص ١٨١.

(4) الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ٤٨.

(5) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٣٣.

(6) انظر: جامع البيان، ج ٥، ص ٨٨.

وأعطاه من أصناف المال فتصدق لا يريد بعمله وجه الله سبحانه" (١) .
ولهذا كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يحرصون على محاسبة نفوسهم، ومراقبة
أحوالها، ويكرهون الشهرة غاية الكراهة، ويسترون أعمالهم.
ويتبين مما سبق أن الرياء آفة خطيرة على النفس البشرية، فهو عبادة للذات، ونسيان
الله تعالى وهو ثمرة فجة لاستحواذ الشيطان على نفس المرائي الذي يغويها بالأباطيل،
ويوقعها بالتلبيسات والأكاذيب، حتى إذا لبست قناعه الخادع، ظنت أنها مركز الكون
كبرياء وغروراً.

(1) صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ح رقم ٤٨١٦، ص ٩٦٤.

المبحث الثامن

آفة العجلة

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف العجلة.

المطلب الثاني :حقيقة العجلة.

المطلب الثالث : أسباب العجلة.

المطلب الرابع: أثر العجلة على النفس.

المطلب الأول

تعريف العجلة

العجلة لغة:

العَجَلُ والعَجَلَةُ السرعةُ خلاف البُطء، والاستعجال والإعجال والتعجلُ واحد بمعنى الاستحاثات وطلب العَجَلَة، يقال استعجل الرجل الرجل حثه وأمره أن يعجل في الأمر، واستعجلته أي تقدمته، فحَمَلْتُهُ على العَجَلَة، واستعجلته طلبت عَجَلْتَهُ (١)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ (يونس آية ١١).

العجلة اصطلاحاً:

تعني: "إرادة تغيير الواقع في لحظة أو في أقل من طرفة عين، دون النظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات والأساليب" (٢)، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الأنبياء آية ٣٧) والعجل: "السرعة، وخلق الإنسان منه استعارة لتمكن هذا الوصف من جبلة الإنسانية، شبهت شدة ملازمة الوصف بكونه مادة لتكوين موصوفه" (٣)، وكما يقول الشهيد سيد قطب - رحمه الله تعالى - عن الإنسان والعجلة في تفسيره: "... فالعجلة في طبعه وتكوينه، وهو يمد ببصره دائماً إلى ما وراء اللحظة الحاضرة يريد ليتناول به بيده، ويريد ليحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله، ويريد أن يستحضر كل ما يوعد به ولو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه؛ ذلك إلا أن يتصل بالله فيثبت ويطمئن، ويكل الأمر لله فلا يتعجل قضاءه، والإيمان ثقة وصبر واطمئنان" (٤) والإنسان مطبوع على العجلة، ومن عجلته أن يسأل الشر كما يسأل الخير، ولو استجاب له ربه لهلك بدعائه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ (يونس آية ١١) ولكن من حلمه ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم، إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم، في حال ضجرهم وغضبهم، أي: لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك، لأهلكهم، فلا ينبغي الإكثار من ذلك (٥).

(1) انظر: لسان العرب - مادة عجل - ج ١١، ص ٥٠٨.

(2) آفات على الطريق، ج ١، ص ٥٧.

(3) التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٦٨.

(4) في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٣٣٧٩.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٦٠١.

فالعجلة إذن: هي التقدم بالشيء قبل وقته، وضدها الأناة: وهي التثبت وعدم العجلة. وليس معنى ذلك أن كل سرعة عجلة، إذ من الأمور ما يتطلب السرعة، وإلا فإت أوانها وليس كل بطء أناة مضمودة، فلربما كانت الحكمة المضمودة في السرعة، ولربما كان البطء تخلفاً مضموماً، فإن الحكمة التي يأمر بها العقل الراجح، تكون بالقيام بالأعمال في أوقاتها وأزمانها التي تضمن بها المصلحة الفضلى، لكن الإنسان مفطور على حب استعجال الأشياء قبل أوانها، فهو مخلوق عجول، يبادر الأشياء قبل مواقبتها، ويسارع إليها قبل أوانها، ويحب العاجلة، وإن كانت قليلة حقيرة، ويفضلها على الآجلة وإن كانت كثيرة جلية، فكأن هذا الإنسان مخلوق من مادة العجل، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء آية ٣٧) (١).

المطلب الثاني

حقيقة العجلة

إن العجلة هي صفة ذميمة في سلوك الإنسان، تظهر بأشكال مختلفة، بمعنى أن الإنسان - وقبل أن يوفر مقدمات العمل - يُقدم على تحصيل النتيجة، وهذا العمل لا يترتب عليه سوى الفشل، أو يثمر ثمرة ناقصة.

وهذا كما لو أن الإنسان قطف الثمرة قبل نضجها، فإنه يحرم نفسه من طيب هذه الثمرة أو تكون ذات فائدة قليلة، أو أنه يقوم بنثر البذور على الأرض قبل أن يحترثها، فتكون النتيجة تلف البذور أو قلة المحصول الزراعي.

والعجلة في الغالب مذمومة، إذ إنها تقوم على فورة النفس، وعدم التدبر والتفكر في المآلات وتفنيد الخيارات، والبحث في العواقب كقوله تعالى لموسى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه آية ٨٣) "حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة سابقاً أي: وقلنا له أي شيء عجل بك عن قومك، فتقدمت عليهم، فالعجلة نقيصة في نفسها، فكيف من أولي العزم اللائق بهم مزيد الحزم" (٢). وقد تأتي على سبيل المدح في قوله تعالى: على لسان موسى عليه السلام ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه آية ٨٤) طلباً لقربك ومسارة في رضاك، وشوقاً إليك، فقد مدحه الله في هذا المقام (٣).

(1) انظر: الأخلاق الإسلامية، ج ١، ص ٣٨٩.

(2) روح المعاني، ج ١٦، ص ٣٥٣.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٣١٧.

وإذا كانت صفة الاستعجال، أو العجلة صفة جُبلَ الإنسان وفُطرَ عليها، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد حذره منها، كما قال ربنا تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء آية ٣٧)

والمقصود بالعجلة هنا في غير أمور الآخرة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (القيامة آية ١٦-١٧) فأمره سبحانه بعدم العجلة، وذلك بمسابقة الملك جبريل ﷺ في قراءته، فقد تكفل سبحانه وتعالى أن يجمع له القرآن في صدره، وأن يبسر له بيانه^(١)، وبيّن أنّ العجلة مذمومة، ولو وقعت في أهم الأمور وأصل الدين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه آية ١١٤) وفي ذلك حث على زيادة طلب العلم الديني والدنيوي بدل الاستعجال، فهو الأنفع للمؤمن^(٢).

وبين تعالى أن العجلة من طبع الإنسان؛ لتبنيه على ضرورة التعامل بصددها، فقال عز وجل: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء آية ١١) وأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتأني في جميع الأمور، والتثبت منها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات آية ٦).

ويتبين من ذلك أن العجلة ليست من النقائص في تكوين فطرة الإنسان، لأنها تمثل في الإنسان عنصرا مهما من حوافز الجد والعمل، ولكنها تغدو من النقائص حين يسيء الإنسان إدارتها، أو يهملها، إذ المفروض أن تكون خاضعة لعقل الإنسان وإرادته، فإذا انعكس الأمر أصبحت من الآفات النفسية التي يعاني منها الإنسان، وأصبح الطلاق من ثمارها، وقتل الأبرياء من آثارها، واليأس من أضرارها وترك الدعاء من مظاهرها، وحينئذ تحتاج إلى علاج.

المطلب الثالث

أسباب العجلة

للعجلة أسباب منها:

أولاً: النشأة الأولى قد ينشأ الاستعجال عند الإنسان بدافع الخلق قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء آية ٣٧) وقد ينشأ من فورة الإيمان عند مبتدئ في الطريق في لحظة رأى فيها انتفاش الباطل أو غلبة المعصية والظلم، ثم لم يتدبر في عواقب فعله، واستعجل أمره، فوقع

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص٥٧٧.

(2) انظر: روح المعاني، ج١٦، ص٣٩٢.

في الخطأ، وخالف الصواب، واعتمد على رأيه في تقدير المواقف، فزلت قدمه.
ثانياً: الدافع النفسي : وتظهر العجلة عند الإنسان في كل أمر من أموره التي تندفع إليها نفسه برغبة ملحة، حتى في دعائه ربه، فإن قصر نظره، وعدم تبصره بعواقب الأمور يجعلانه يتصور بعض الأشياء خيراً له، فيدعو الله تعالى بها، ظاناً أنها خير، مع أنها في حقيقة الأمر شر له، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾ (الإسراء آية ١١) وهذا من جهل الإنسان وعجلته، حيث يدعو على نفسه، وأولاده وماله بالشر عند الغضب، ويبادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء في الخير، ولكن الله - بلطفه - يستجيب له في الخير ولا يستجيب له بالشر، ^(١) فإذا لم يعمل الإنسان على ضبط نفسه، وإجماعها بالعقل، والتخفيف من غلوئها، فإنها تدفعه لا محالة إلى الاستعجال.
ثالثاً: الحماس، أو الحرارة الإيمانية : ذلك أن الإيمان إذا قوي، وتمكن من النفس، ولد طاقة تندفع - إذا لم يتم السيطرة عليها - إلى أعمال تؤذي أكثر مما تفيد، وتضر أكثر مما تنفع، لذلك وجه الله تعالى النبي ٣ ومن معه من المؤمنين في المرحلة المكية إلى الصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وعلى قوة التحمل، فقال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل آية ١٠)، ^(٢) وهناك كثير من الآيات تدل على ذلك، ولكن الباحثة اختصرت للإيجاز.

رابعاً: الغفلة عن سنة الله تعالى مع العصاة والمكذبين: ذلك أن من سنة الله تعالى مع العصاة والمكذبين، الإمهال وعدم الاستعجال: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾ (الكهف آية ٥٨) "أخبر تعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنه يغفر الذنوب، ويتوب الله على من يتوب، فيتغمده برحمته، ويشمله بإحسانه، وأنه لو أخذ العباد على ما قدمت أيديهم من الذنوب، لعجل لهم العذاب، ولكنه تعالى حلیم لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل، والذنوب لا بد من وقوع آثارها، وإن تأخرت عنها مدة طويلة"، ^(٣) ومن سنته كذلك معهم أنه إذا أخذهم لم يفلتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْزُبُونَ﴾ (الأنفال آية ٥٨)، ومن سنته أيضاً : أن أيامه ليست كأيامنا هذه : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (الأنفال آية ٥٩) وإذا غفل الإنسان عن هذه السنن استعجل ^(٤).

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٨٣.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٦٣٨.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٠٠.

(4) انظر: آفات على الطريق، ج ١، ص ٦٣-٧٥.

خامساً: اتباع الهوى : إن هذا الخلق الذميمة حال سائر الأخلاق الرذيلة الأخرى، ينبع من اتباع الهوى في الأساس، فالإنسان إذا تحرك بوحى أهوائه، فإنه عادةً ولأجل تحصيل مطامعه ورغباته النفسية يستعجل في ذلك، والغالب أن الهوى لا يسمح له بأن يتدبر عواقب الأمور، ويتأمل في الطريق السليم في الوصول إلى مقصده، ولهذا السبب فإنه يلقي بنفسه بصورة عشوائية في هذا الاتجاه ويركض خلف إرضاء النوازع الذاتية والأهواء النفسية وبالتالي يتورط فيما لا تحمد عقباه، فتكون العجلة ثمرة غير حسنة من ثمرات اتباع الهوى، وحب الإنسان للعاجلة - وهي الدنيا - وتركه الآخرة، هو أيضاً ثمرة غير حسنة من ثمرات اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (القيامة آية ٢٠-٢١) (١).

سادساً: ضعف صفة الصبر في الإنسان، فإذا فكر العقل في شيء محبوب استعجل حصوله بداعي المحبة، وإذا فكر في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية، ولا تخلو أحوال الإنسان عن هذين، فلا جرم إن كان الإنسان عجولاً بالطبع، فكأنه مخلوق من العجلة، ثم إن أفراد الناس متفاوتون في هذا الاستعجال على حسب تفاوتهم في غور النظر والفكر ولكنهم مع ذلك لا يخلون عنه (٢).

ثم إن تسويلات الشيطان، وخذاع رفاق السوء والمتملقين والكاذبين والحساد والناممين هي بدورها من العوامل المهمة للوقوع في دائرة الاستعجال والتسرع.

يتبين مما سبق أن العجلة والتسرع لدى الأقوام والشعوب البشرية المختلفة في ضوء القرآن صفة سلبية، وتقع في مقابل القيم الأخلاقية الإيجابية من الصبر والمثابرة والتأني، إلى أن تتوفر مقدمات العمل، وأن الصبر والتأني يعد من أهم الفضائل الأخلاقية والإنسانية، وهي الفضيلة التي كانت متوفرة لدى جميع الأنبياء العظام وقادة البشرية في خط الحق والإيمان.

(1) انظر: الأخلاق الإسلامية، ج ١، ص ٣٩١.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٦٨.

المطلب الرابع آثار العجلة على النفس

للعجلة والتسرع آثار سلبية منها :

- ١ - العجلة صفة تؤدي دائماً في ذاتها وآثارها إلى قلق الإنسان، وانزعاجه وتورث الأسى والأسف في مشاعره وأحاسيسه والندامة من أعراضها.
- ٢ - إن المتطبع بالعجلة والسرعة في سلوكه الاجتماعي يكون حاداً متعصباً متكلفاً للأمور، بخلاف الحكيم المتأنّي، فإنه يكون ساكناً متندداً وسهلاً ليناً يضع الأمور في مواضعها، ويتلمس من الطرق أيسرها.
- ٣ - العجلة طريق للفوضى والهزيمة، لأن النتائج لم تقم على تأصيل أصيل ولا على دراسة متأنّية، ومن ارتجى رفع الفوضى عن نفسه، فإنه مطالب أولاً بالتأنّي والنظر والتفكير في عواقب الخطوات القادمة قبل أن يخطوها، قال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران آية ١٦٥) .
- تبعه الهزيمة عليهم بما ارتكبوا من عصيان أمر الرسول، ومن العجلة إلى الغنيمة، وبعد أن أمرهم بالرضا بما وقع، وَذَكَرَهُمُ النِّصْرَ الْوَارِقَ يَوْمَ بَدْرٍ، عطف على ذلك هنا إنكارٌ تعجّبهم من إصابة الهزيمة إيّاهم (١) .
- ٤ - سوء الظنّ بكلّ شيء حتّى بالتقدير الإلهي: فمن المعطيات السلبية الأخرى للعجلة، حالة اليأس التي تصيب الإنسان عندما لا ينال مقصوده ولا يتسنّى له تحصيل النتيجة من عمله، وقد يفضي به هذا الحال إلى أن يسيء الظنّ بكلّ شيء حتّى بالتقدير الإلهي، فقله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء آية ٣٧) الخطاب هنا موجه إلى المسلمين الذين كانوا يستبطنون حلول الوعيد الذي توعد الله تعالى به المكذّبين، ومُناسبة موقع الجملتين، أن ذكر استهزاء المشركين بالنبي ٣ يُهيج حنق المسلمين عليهم فيودوا أن ينزل بالمكذّبين الوعيد عاجلاً، فخطبوا بالتريث وأن لا يستعجلوا ربهم؛ لأنه أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت حلول الوعيد وما في تأخير نزوله من المصالح للدين، وأهمها مصلحة إمهال القوم حتى يدخل منهم كثير في الإسلام.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج٤، ص١٦٠.

والمعنى : وعد بأنهم سيرون آيات الله في نصر الدين، وذلك بما حصل يوم بدر من النصر وهلاك أئمة الشرك وما حصل بعده من أيام الإسلام التي كان النصر فيها عاقبة المسلمين .

وتفرع على هذا الوعد نهي عن طلب التعجيل، أي عليكم أن تكلوا ذلك إلى ما يوقته الله ويؤجله ولكل أجل كتاب، فهو نهي عن التوغل في هذه الصفة وعن لوازم ذلك التي تفضي إلى الشك في الوعيد (1) .

ولغرض التصدي لهذه الرذيلة الأخلاقية وعلاجها أو الوقاية منها فقبل كل شيء يجب التفكير في هذه العواقب الوخيمة والآثار السيئة لحال الاستعجال والتسرع.

فلو أنّ الشخص تفكر في هذه الأمور والآثار السيئة، فإنه سيدرك حتماً أنّ الاستعجال في العمل، مضافاً إلى أنه لا يوصله إلى مقصده ولا يحصل على غايته بسرعة، فإنه قد لا يحصل عليها أبداً فيما بعد.

وهكذا فإنّ الأضرار الناشئة من العجلة والتسرع أكثر من أن يتصورها الإنسان، والضرر والخسارة التي يدفعها الإنسان العجول في واقع الحياة من الإمكانيات المادية والأضرار النفسية والمعنوية أكثر من أن تحصى.

يتبين من خلال ما سبق أنّ التائي هو عطية إلهية، وموهبة ربانية للإنسان، بينما العجلة هي صفة شيطانية تدفع بالإنسان إلى طريق الخسران، والزيف في حركة الحياة، وتضيع عليه الفرص الثمينة، وتكثر اشتباهاته، وتكون عاقبته إلى الندم والهلكة، في حين أنّ النقطة المقابلة لها، أي التائي والصبر والتدبر يقود الإنسان إلى الفلاح والسعادة والاستفادة الكبيرة من الفرص الثمينة في حياته الدنيوية، وكفى بهدي القرآن دليلاً ومرشداً في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (الحجرات آية ٦).

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج ١٧، ص ٦٨.

المبحث التاسع آفة الغضب

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :تعريف الغضب.

المطلب الثاني :حقيقة الغضب.

المطلب الثالث : أسباب الغضب.

المطلب الرابع: أثر الغضب على النفس.

المطلب الأول

تعريف الغضب

الغضب لغة:

نَقِيضُ الرِّضَا، وَقَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ غَضَبًا وَمَغْضَبَةً، وَأَغْضَبْتُهُ أَنَا فَتَغَضَّبَ، وَغَضِبَ لَهُ أَي غَضِبَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَجْلِهِ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ حَيًّا، فَإِنْ كَانَ مَيِّتًا قُلْتَ غَضِبَ بِهِ. وَقِيلَ الْغَضَبُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ شَيْءٌ يُدَاخِلُ قُلُوبَهُمْ، وَمِنْهُ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ، فَالْمَذْمُومُ مَا كَانَ فِي غَيْرِ الْحَقِّ، وَالْمَحْمُودُ مَا كَانَ فِي جَانِبِ الدِّينِ وَالْحَقِّ، وَقَدْ تَكَرَّرَ الْغَضَبُ فِي الْحَدِيثِ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّاسِ، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ سَخَطُهُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُ وَمَعَاقِبَتُهُ لَهُ، وَرَجُلٌ غَضِبُ وَغَضُوبٌ وَغَضْبٌ بِغَيْرِ هَاءٍ، وَغَضْبَةٌ وَغَضْبَةٌ بِفَتْحِ الْغَيْنِ وَضَمِّهَا وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ، وَغَضْبَانٌ يَغْضَبُ سَرِيعًا، وَقِيلَ شَدِيدَ الْغَضَبِ، وَالْأُنْثَى غَضْبَى وَغَضُوبٌ، وَغَاضَبَتُ الرَّجُلَ أَغْضَبْتُهُ وَأَغْضَبْتَنِي، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ (الأنبياء آية ٨٧) قِيلَ مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ، وَقِيلَ مُغَاضِبًا لِقَوْمِهِ وَقِيلَ الْأَوَّلُ أَصَحُّ لِأَنَّ الْعُقُوبَةَ لَمْ تَحِلَّ بِهِ إِلَّا لِمُغَاضِبَتِهِ رَبَّهُ (١).

الغضب اصطلاحاً:

انفعال للنفس وهيجان ينشأ عن إدراك ما يسوؤها ويسخطها دون خوف، والوصف منه غضبان، نجد ذلك فيما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم وصفاً لغضب موسى حينما عاد إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ (الأعراف آية ١٥٠)، الأسف: انفعال للنفس ينشأ من إدراك ما يحزنه وما تكرهه مع انكسار خاطر، والوصف منه أسف، وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى؛ لأنه يسوؤه وقوع ذلك في أمته وهو لا يخافهم، فانفعاله المتعلق بحالهم غضب، وهو أيضاً يحزنه وقوع ذلك وهو في مناجاة الله تعالى (٢).

والغضب نوع من أنواع النشاط النفسي ولون من ألوان الانفعال وغريزة من الغرائز التي أودعها الله في طبيعة البشر، والغضب شعلة من النار، والإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف آية ١٢) فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلطي والاشتعال، والحركة والاضطراب.

(1) انظر: لسان العرب، ج ١، ص ٧٦٠.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٨١.

والغضب: حالة نفسية وحين تدخل عملية الإثارة تختلف الاستجابة من شخص لآخر، ويتفاوت سلوكه عن آخر ونفسية عن أخرى، ولكن يبقى الغضب حالة إثارة النفس، ربما يؤدي إلى ردود فعل لا تحمد عقباها، وذلك لأن النفس تتحول عن طورها الطبيعي إلى الهيجان، والانفعال، ومن ركودها إلى الغليان والثورة والتوتر الشديد وحب التخريب وشهوة الانتقام والهدم والإعراض عن الوقار والرزانة، لكن هذه الثورة النفسية سرعان ما يخمد لهيبها، وتتطفئ نارها، ويلحق الإنسان بعد ذلك ندم على ما بدر منه في تلك الحالة، وهو فضل من الله على الناس أن جعلهم بهذه الصورة بحيث لا تدوم الآثار النفسية للغضب معهم طويلا، ولو لم يكن المرء كذلك أي لم يكن يندم على السلوك الانفعالي الحالي للغضب لاحتاج إلى ممارسة العلاج النفسي (١).

المطلب الثاني

حقيقة الغضب

حقيقة الغضب: هو حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام، فمتى غضب الإنسان صارت ثوراناً يغلي به دم القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعلى البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، ولذلك احمرّ الوجه والعين والبشرة، فكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجاة لون ما فيها، وعرف الإمام الغزالي رحمه الله تعالى - قوة الغضب فقال: قوة الغضب محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام، وبين أن هذه القوة تتوجه عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها، وإلى التنشيف والانتقام بعد وقوعها، وهذا الانتقام هو قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به، إلا أن المؤمن يستنزف بالإساءة إليه ويصفح عن المعتدي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٢) (الشورى آية ٣٧) أي إنهم "تخلقوا بكمارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار اللحم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح" (٣).

والغضب قد يتصف بالإفراط أو التفریط أو الاعتدال.

أما الإفراط فهو: أن يخرج الغضب عن إطار العقل، والدين، وطاعة الله، فيعمي النظر والفكر والبصيرة، فلا يبقى مجال للاختيار، بل يصير صاحبه في صورة المضطر،

(1) انظر: أمراض النفس وعلاجها بالذکر، ص ١١٢.

(2) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٦٧.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٤١.

فيجره إلى المهالك وهو غضب مذموم.

وأما التفريط في الغضب فهو: أن تتصف ردة الفعل بالبرود واللامبالاة تجاه أمور يتحتم عليه شرعاً و عقلاً أن يغضب لها، والتفريط أيضاً مذموم، يقول الشافعي - رحمه الله تعالى - "من استغضب فلم يغضب فهو حمار" ^(١) ومن فقد قوة الغضب والحمية فهو ناقص جداً، وقد وصف الله تعالى أصحاب النبي ٣ بالشدة والحمية فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح آية ٢٩) والمعنى أن فيهم غلظة وشدة على أعداء الدين، ورحمة ورقة على إخوانهم المؤمنين، ويكون أحدهم غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن ^(٢)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التحريم آية ٩) وإنما الشدة والغلظة من آثار الحمية وهي الغضب.

والاعتدال في الغضب هو الوسط المعقول، أي أن يغضب في موطن الغضب كما لو كان غضبه لله أو بسبب ظلم ظالم، أو معتد أثيم، وهو الغضب المحمود الذي يجب على الإنسان أن يتحراه، ويصل إليه لأنه الصراط المستقيم، قال تعالى في وصف عيسى **U**: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران آية ٣٩) عن عكرمة **t** قال السيد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يغلبه غضبه ^(٣).

فمن مال غضبه إلى الفتور، وشعر بضعف الغيرة، وخسة النفس بقبوله للضيم والذل، فعليه أن يعالج نفسه ليقوى غضبه، ومن مال غضبه من الإفراط حتى جره إلى التهور وارتكاب المعاصي، فعليه أن يعالج نفسه لينقص من حدة غضبه ^(٤).

المطلب الثالث

أسباب الغضب

الغضب مرض يتسم به بعض الناس ممن لا يستطيعون التحكم بأنفسهم، فتصبح الحياة معهم جحيماً لا يطاق، بسبب عدم تحملهم وسرعة ثورانهم لأتفه الأسباب، ما قد يسبب فرقة بين الرجل وأهله، أو القطيعة بين الناس، وذلك بسبب ما بيثه الشيطان - أعاذنا الله منه - في قلب ذلك الشخص فيشحنه ويدفعه لارتكاب بعض الأمور التي سيندم عليها صاحبها فيما بعد، وهذا مما لا شك فيه جهل ينبغي لمن اتصف به أن يروض نفسه ويعودها

(1) إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٦٧.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٩٦.

(3) انظر: المرجع السابق، ج١، ص٥٤٠.

(4) انظر: إحياء علوم الدين، ج٣، ص١٦٧.

على التحمل والصبر والجلد، بل يجب عليه أن يكظم غيظه ويحبسه حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه، ولهذا مدح الله تعالى المؤمنين في قوله: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران آية ١٣٤) "المتجرعين للغيظ، الممسكين عليه عند امتلاء نفوسهم منه، فلا ينقمون ممن يدخل الضرر عليهم، ولا يبدون له ما يكره، بل يصبرون على ذلك مع قدرتهم على الإنفاذ والانتقام وهذا هو الممدوح" (١).

ومن أكثر الأسباب التي تؤدي إلى الغضب:

١- وسوسة الشيطان، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف آية ٢٠٠) وأصل النزغ: الفساد، إما بالغضب أو غيره، والمعنى وإما يُغضبُكَ من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهلين ويغضبك فاستعذ بالله تعالى (٢).

٢- العجب، والمزاح، والمماراة، والمضادة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهذه أخلاق رديئة مذمومة شرعاً، فينبغي أن يقابل كل واحد من هذه بما يضاده، فيجتهد على حسم مواد الغضب وقطع أسبابه (٣).

٣- التكبر والتجبر فهو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين (٤).

٤- شهوة الانتقام قد تدفع إلى الغضب، وشهوة العزة بالإثم قد تؤدي إلى رد الحق، ولكن إذا ما أحس الإنسان بشيء من هذا فعليه أن يدفع بالتّي هي أحسن قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت آية ٣٤) أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم، ولا شك أن هذا سيحتاج إلى الصبر وترويض النفس، ولكن العاقبة ستكون حميدة، والثوبة من الله كبيرة: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُونُ حَظِّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت آية ٣٥) (٥).

(1) روح المعاني، ج ٤، ص ٩٢.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٤١٣.

(3) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص ١٨٠.

(4) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٧٦.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٤٦.

الفرق بين الغضب والحزن:

سبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها، والغضب يتحرك من داخل الجسد إلى خارجه، والحزن يتحرك من خارج الجسد إلى داخله، فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن، وصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه، والحادث عن الحزن المرض والأسقام لكمونه، ولذلك أفضى الحزن إلى الموت، ولم يفض الغضب إليه، وهذا فرق بين الحزن والغضب (١).

المطلب الرابع

أثر الغضب على النفس البشرية

الغضب هو عدو العقل وغوله (٢)، وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان، وإذا غضب الإنسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة، فترى المرء يقتل إذا غضب وتنتفخ أوداجه ويفقد صوابه؟! فآثاره على الظاهر من حيث تغيير اللون وشدة الارتعاد في الأطراف واضطراب الحركة والكلام، وضيق الصدر واضحة، ويصور القرآن الكريم هذا المشهد حكاية عن يونس U عندما أرسل إلى قرية فدعا أهلها إلى الله فاستعصوا عليه، فضاق بهم صدرًا، وغادرهم مغاضبًا، ولم يصبر على معاناة الدعوة معهم، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ (الأنبياء آية ٨٧) إن يونس U لم يصبر على تكاليف الرسالة، فضاق صدرًا بالقوم، وألقى عبء الدعوة، وذهب مغاضبًا، فأوقعه الله في الضيق الذي تهون إلى جانبه مضايقات المكذبين، لولا أن تاب إلى ربه! واعترف بظلمه لنفسه، لما فرج الله عنه هذا الضيق، ولكنها العناية الإلهية حفظته ونجته من الغم الذي لحق به .

وأصحاب الدعوات لا بد أن يحتملوا بتكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها، والإيذاء من أجلها، وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقًا، ولكنه بعض تكاليف الرسالة، فلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويحتملوا، ولا بد أن يثابروا ويثبتوا، ولا بد أن يكرروا الدعوة ويبدؤوا فيها ويعيدوا .

إنهم لا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتو وجحود، فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب، فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة (٣) .

(1) انظر: من أدب الدنيا والدين، ص ٤٠٨-٤٠٩ .

(2) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٦٦ .

(3) انظر: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٣٩٣ .

- أما آثاره على اللسان فيكون بالسباب، وإطلاقه فحش الكلام.

- آثاره على الأعضاء: ويكون ذلك بالضرب، والتمزيق، والجرح، وقد يصل إلى القتل، وإن لم يتمكن من المغضوب عليه، انهال على نفسه ضرباً وإيذاءً، ويقوم ببعض السلوك العدواني الموجه إلى ذاته، ويصور القرآن مثلاً واقعياً وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَتَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران آية ١١٩) (١).

- آثاره في القلب: ويكون ذلك بالحدق والحسد وإضرار السوء والشماتة والعزم على إفشاء الأسرار والانتقام من المغضوب عليه، (٢) ولذلك وجب معرفة مكانته ليتمكن علاج المذموم منه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح آية ٢٦) ذم الكفار بما نظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل الله تعالى عليهم من السكينة، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا التعبير الذي يرسم السكينة نازلة في هدوء ووقار، تضي على تلك القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفصلة برداً وسلاماً وطمأنينة وارتياحاً (٣).

- حينما يمتلك انفعال الغضب من الإنسان تتعطل قدرته على التفكير السليم، وقد تصدر عنه بعض الأفعال التي يندم عليها بعد هدوء الغضب، وقد صور القرآن الكريم ذلك بعد هدوء موسى **U** في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف آية ١٥١) (٤).

فعلى الإنسان أن يملك نفسه عند الغضب ويعلم أن ذلك مدخل من مداخل الشيطان، ويتذكر قول الرسول **ﷺ** : (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (٥).

ولقد أنزل الله في كتابه العزيز شفاءً لذلك الداء، فقال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت آية ٣٦)، فمن نابته شيء من

(1) انظر: القرآن وعلم النفس، ص ٧٤.

(2) انظر: إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ٢٠٨.

(3) انظر: في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٣٢٩.

(4) انظر: القرآن وعلم النفس، ص ٧٤.

(5) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب التحذير من الغضب، ح رقم ٤٣١، ص ١٣٠٩.

الغضب فعليه أن يسرع بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، لأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

وقد حذر النبي ﷺ من الغضب ومن ذلك قوله ٣ : للرجل الذي قال له أوصني: قال: (لا تغضب) فردد عليه مراراً قال: (لا تغضب)،^(١) وسئل بعض ملوك الفرس بم دام ملككم؟ فقال: لأننا نعاقب على قدر الذنب لا على قدر الغضب، فالغضب المنهي عنه هو الغضب للنفس؛ لأنه يصدر عنه الظلم والعدوان، وقد ورد أن النبي ﷺ كان لا يغضب لنفسه، فإذا انتهكت حرمة من حرمت الله غضب الله^(٢) .

وما أجمل الحلم والأناة، وقد أمر الإسلام الإنسان بأن يسلك مسلك الحلم والتعقل والرزانة بحيث لا يكون ليناً فيعصر ولا يابساً فيكسر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى آية ٣٧).

لذا لا بد من الوسطية هنا واستعمال الحكمة، فالغضب عواقبه وخيمة، كما أنه دليل على الضعف، وتحكم النفس والشيطان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف آية ٥٥).

(أسفونا) معناه أغضبونا وأسخطونا، والمراد بالأسف الغضب ويدل على ذلك إطلاق الأسف على أشد الغضب في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ (الأعراف آية ١٥٠)^(٣) .

يتبين من خلال ما سبق أن الغضب المذموم له آثار سيئة على شخصية الإنسان، وعقله واتزانته، فالغضب يطفئ التفكير والعقل، وله عواقب وخيمة على وحدة المجتمع وترابطه، وتماسكه، إذا كان لغير الله تعالى، والغضب المحمود هو غضب الله تعالى عند انتهاك حرماته، فالمسلم يغضب الله تعالى ولدينه، ويتحرك قلبه لانتهاك حرماته.

"وإذا كانت زيادة الغضب دالة على المرض النفسي، فكذلك فإن نقص الحمية يولد قلة الأنفة، وضعف النخوة في الدفاع عن العرض والوطن، واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والدناءة"^(٤) فللغضب المحمود فوائد كثيرة منها: الغضب لحماية المصالح العامة وخصوصاً الدينية كالمحافظة على الدين، والمحافظة على العرض، والمحافظة على الوطن الإسلامي من كيد المعتدين، ومؤامرات المستعمرين، ولولا هذه الظاهرة التي أودعها الله

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ح رقم ٤٣١، ص ١٣٠٩.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٩٨.

(3) انظر: روح المعاني، ج ٢٥، ص ١٤٠-١٤١.

(4) نحو علم نفسي، ص ١١٥.

تعالى في الإنسان لما ثار المسلم وغضب إذا انتهكت محارم الله تعالى، أو امتن دينه،
أو أراد عدو أن يغتصب أرضه، ويستولي على بلاده.
وفي نهاية الحديث عن آفات النفس تجد الباحثة أن هناك العديد من الآفات النفسية
مثل العزلة والغفلة والنسيان واليأس وتوهم المرض والأرق... الخ، ولكنها اقتصرنا بالحديث
عن هذه الآفات النفسية التي ذكرتها حسب الخطة.

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في تزكية النفس البشرية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التربية الإيمانية .

المبحث الثاني : ضبط الشهوات والاندفاعات النفسية .

المبحث الثالث : التغيير من وحي القرآن الكريم .

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في تزكية النفس البشرية

الإنسان من جسد وروح وبها كانت كرامته، ولو خُلِّيَ وفطرته لاستقام على الحق، وسلم من آفات الهوى، والنفس سر من أسرار الله أكبرها القرآن، وأولها اهتماماً عظيماً، محيطاً بخصائصها، ناصحاً لها، وتختلف النفوس باختلاف عطاء الله لها، وتوفيقه تعالى إياها، وقد فطرها الله على معرفته معرفة قائمة على الحق، ثابتة في القلب، ودعا إلى تزكيتها، والتوحيد أركى ما تسمو به، والعمل الصالح عون على صلاحها، والخلوّة أمكن في محاسبتها والعودة الدائمة إلى نورها وهداها، والكون مصدر إمداد لعقيدة المؤمن، يزيده بالله صلة، وللنفس إصلاحاً، وأينما اتجه المؤمن رأى من آيات الله ما يدعم إيمانه، ويدفعه إلى الله دفعا، حتى تميز القرآن الكريم بمنهج تربوي كوني يصله بالكون كآيات محسوسة، ويتأمله كمخلوق شاهد على عظمة الله، محدثاً بكماله، داعياً إلى حسن عبادته، وتوثيق الصلة به،

واستيفاءً لبيان هذا المنهج كانت المباحث الثلاثة التالية: ولكن قبل البدء بهذه المباحث رأيت الباحثة أن تبين معنى التزكية المقصودة هنا بأنها تعني: تطهيرها وغلبة صفات الخير عليها، وتخليها عن الأوصاف المذمومة، وتحليها بالأوصاف المحمودة، حتى يبلغ المسلم درجة الإحسان، والمقصود بالإحسان ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه عمر بن الخطاب **t** عن رسول الله **ﷺ** عندما جاءه جبريل وسأله عن الإسلام والإيمان ثم قال له: (ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ⁽¹⁾.

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي **ﷺ** عن الإيمان والإسلام والإحسان، ح رقم ٥٠، ص ٢٦.

المبحث الأول

التربية الإيمانية

التربية الإيمانية: عملية منظمة تهدف إلى إحداث تغييرات مرغوب بها في سلوك الفرد من أجل إحداث تطور متكامل في شخصيته من جميع جوانبها: الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية الروحية لتمكينه من القيام بحق الخلافة في الأرض والإسهام الفاعل في عمارتها وفق منهج الله تعالى وتحقيق الغاية من وجوده وهي عبوديته لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات آية ٥٦) وهذه التربية تعلق القلب بالله، وتخلصه من عوالم الدنيا وزخرفها وقوتها وحولها إلا بالله، وتُطهر النفس وتزكيها، فلا يكون لها تعلق بمال أو جاه أو سلطان أو رفعة أو مكانة أو شهرة، إنها التربية التي تُعنى أكثر ما تُعنى بإصلاح القلب واستقامته، وتحقيق عبوديته لله جل وتعالى، ^(١) فإن صلاح القلب يلازمه صلاح السلوك قال الرسول ٣ (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) ^(٢) ومع هذا فهي تربية شاملة تُطهر القلب، وتُزكي السلوك، وستبين الباحثة ذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول

اعتماد المنهج القرآني على الوقاية

الوقاية خير من العلاج، حكمة عظيمة ذات مدلول كبير، وهي لا تعني الوقاية في باب الصحة الجسمانية فحسب، بل تشمل الوقاية في جميع الأمور الدينية والدينيوية، إلا أن الوقاية في الأمور الدينية أهم بكثير؛ إذ يترتب عليها فوز العبد في الدار الآخرة أو هلاكه، فيجب على المسلم أن يقي دينه مما يخدشه أو يضر به، وعليه أن يقي نفسه من غضب الله وأليم عقابه، إن الوقاية تشمل معنى الصيانة والحماية، إنها حفظ ورعاية، وستر وحماية، مأخوذة من وقاه من الشيء أي صانه، ووقيت الشيء إذا حفظته وسلمته من الأذى، كما قال الله جل وعلا: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (الإنسان آية ١١) أي: "صانهم من شدائده" ^(٣) ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (الرعد آية ٣٤) أي من

(1) انظر: علم النفس التربوي في الإسلام، ص ٨٦.

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح رقم ٥٢، ص ٢٦.

(3) الأساس في التفسير، ج ١١، ص ٦٢٩١.

دافع، ووقاه الله وقياه بالكسر أي حَفِظَه (١) .

أهمية الوقاية:

ولابد للوقاية أن تكون شاملة للأبدان والقلوب والعقول؛ لأنه ما الفائدة إذا صحت الأبدان وضلت العقول! وما الفائدة إذا سلمت الأجساد وزاغت القلوب، فلا بد للوقاية أن تشمل الإنسان كله، وتشمل الفرد وحده كما تشمل المجتمع.

إنها وقاية تغير وجه الحياة لتجعلها مبنية على الأمن والسلامة باطناً وظاهراً، وتعالج الأمراض من أسبابها، وتوقف الخطر من منابعه، وهذه هي المهمة الأعظم التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تتوفر إلا في وحي الله عز وجل الذي أكرمنا به وأنعم علينا به.

الأسس التي تبنى عليها الوقاية:

"الإسلام عالج بالغذاء قبل أن يعالج بالدواء، وعالج بالحماية قبل أن يستعمل مشروط الجراح" (٢) فالوقاية تقوم على أمرين اثنين مهمين: أولهما التقوية: وهي التي تماثل في الطب التغذية، وقبل تحقيق أول أسباب الوقاية لا بد أن يكون هناك قوة في البدن، ثم بعد ذلك يأتي الجانب الآخر وهو الحماية، وهي عند أهل الطب الحمية، فإنه لا بد أولاً من أسباب قوة توفر لهذه الذات قوة في الجوانب المختلفة، ثم المحافظة على هذه القوة التي أنشئت بذلك الغذاء بحمايتها من العوارض والأسباب التي تنقص تلك القوة أو التي تضعفها، ومنهج الإسلام يقوي الإنسان بإيمانه وإسلامه ويقينه بالله (عز وجل) وفيه زكاة نفسه، وطهارة قلبه، ورشد عقله، وحسن قوله، وصلاح عمله، فتجيء الشرائع كأنما هي سياج أمني حافظ لتلك القوة، قبل أن يصيبها ضرر، وكأنما هي خطوط أولية للدفاع عن التي تليها؛ حتى يبقى المؤمن في حصن من إيمانه، وفي سياج من إسلامه، وفي قوة من يقينه بإذن الله سبحانه وتعالى.

أولاً الوقاية من الشح:

شمل القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل جانب الحماية والتحذير والوقاية النفسية من أمراض كثيرة وعلل عديدة من أهمها: شح النفس وأمراض القلب؛ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر آية ٩) "وقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح في

(١) انظر: لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٧٢.

(٢) مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية، عبد الرحمن واصل، ص ١٦٥.

جميع ما أمر به، فإنه إذا وُقِيَ العبدُ شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ ففعلها طائعاً منقاداً منشراح بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله تعالى عنه، وإن كان محبوباً للنفس تدعو إليه وتتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفوز والفلاح" (١) .

ثانياً الوقاية من الهلع:

ولقد وصف سبحانه وتعالى النفس بالهلع فقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ (المعارج آية ١٩) ثم فصل سبحانه وتعالى العناصر التي تقي الإنسان من الهلع تفصيلاً كاملاً من خلال آيات سورة المعارج، وبعض هذه العناصر مصرح به لفظاً وبعضها يفهم عن طريق اللزوم الفكري والاستنتاج الذهني، وفيما يلي بيان لهذه العناصر:

العناصر التي تقي الإنسان من الهلع:

العنصر الأول: حسن الصلة بالله تعالى، والتزام مراقبته، وذلك بالمدائمة على الصلاة المستوفية لكل الشروط وهو ما دل عليه الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج آية ٢٢-٢٣) وهذا العنصر المصرح يستلزم عنصراً غير مصرح به، ولكنه لا يتم إلا به، ألا وهو عنصر الإيمان بالله تعالى، وبصفاته واسمائه الحسنی، والإيمان بقضائه وقدره، والإيمان بعدله وفضله وحسن ثوابه.

العنصر الثاني: حسن تأدية الحقوق لأربابها، وقيام الإنسان بما يجب عليه تجاه الفقراء والمساكين وذوي الحاجات الخاصة، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج آية ٢٤-٢٥)، وهذا العنصر المصرح به يستلزم عنصراً غير مصرح به، ألا وهو كفهم عن أكل أموال الناس بالباطل، وعن كل كسب حرام .

العنصر الثالث: التصديق بيوم القيامة، وما أعد الله تعالى فيه من جزاء، والخوف من عذاب الله تعالى، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ (المعارج آية ٢٦-٢٨).

العنصر الرابع: حفظ الفروج من المعاصي والمحرمات التي نهى الله تعالى عنها، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (المعارج آية ٢٩-٣٠)

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٤٧.

العنصر الخامس: رعاية الأمانات والعهود، والوفاء بها، والبعد عن الخيانة في الأمانة أو النكث في العهود، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (المعارج آية ٣٢-٣٣).

والعنصر الأخير: تكرير للعنصر الأول، وهو المحافظة على الصلاة؛ للدلالة على أهمية الصلاة في البداية والنهاية، وتوكيد للصلة بالله تعالى، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج آية ٣٤).

ثم أبان الله تعالى عاقبة هؤلاء الذين استنثاهم من عموم الإنسان الهلوع، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج آية ٣٥).

فمن استجمع هذه العناصر استطاع أن يتخلص من الهلع الذي يبعده عن كماله الإنساني، ويبعده عما خلق من أجله (١).

ثالثاً الوقاية الأخلاقية:

وهناك وقاية أخلاقية تسلم الإنسان من الفواحش والفتن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام آية ١٥١) النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها فالإسلام يعمل على تجفيف منابع الفتن والفساد (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء آية ٣٢)، والتعبير القرآني بقوله: (وَلَا تَقْرَبُوا) تعبير دقيق يؤكد على إبعاد كل باب يمكن أن يوصل في نهايته إلى ساعة الفاحشة في المجتمع المسلم، يعني: لا تفعلوه ولا تقربوا منه، أي: لا تفعلوا ما يؤدي إليه أو يقرب منه، فالنهي أعظم وأشمل، والوقاية أتم وأكمل، فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) وهناك كثير من الآيات التي تبين هذا الوجه وتحت عليه، وتأتي الوقاية الاجتماعية التي تسلم المجتمع من الأمراض التي تفكك به وتقطع أو اصره وتجعل الشحناء في القلوب والبغضاء في النفوس؛ فيأتي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات آية ١٢) وهذه الآيات هي في التحذير والوقاية، وفي التنبيه على الأمر اليسير الذي قد يكون ظناً يجول بالخاطر ويحوك في النفس، وإذا به ينتقل من

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية، ج ١، ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٨٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٤٨٩.

طور إلى طور حتى يدفع إلى التجسس والتحسس، ثم يدفع إلى الغمز، واللمز، والغيبة والنميمة، ثم يدفع إلى التباغض والتدابير، ويؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، لما يؤدي إليه أيضاً من المشاكل الاجتماعية الخطيرة من التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس^(١). وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران آية ١٠٣)، فأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة حماية من الفرقة حتى يبقى المجتمع متماسكاً مترابطاً،^(٢)

رابعاً الوقاية الاقتصادية:

الوقاية الاقتصادية في أن يكون الإنسان المسلم متبعاً لشرع الله في بيعه وشرائه وكسبه وإنفاقه، كما أخبر الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة آية ٢٧٨)، والله سبحانه وتعالى يسوق الآيات في كثير من جوانب الحياة ليعلمنا ما الذي يدعو إليه إيماننا، وما الذي يرسمه لنا إسلامنا، ثم ليحذرننا ويقيننا ويسلمنا من الزيغ والضلال والانحراف عن ذلك، ويكشف لنا ما يؤول إليه الأمر، أو ما آل إليه الأمر بالفعل، لمن ارتكب مثل ذلك من أهل الكفر والضلال؛ فإن العاقبة تكون وخيمة، والخاتمة تكون شر خاتمة.

ويتبين مما سبق أن في القرآن الكريم منهجاً واضحاً لهذه الوقاية، وتأكيداً عليها، وتنبهت على أهميتها، وتنبهت بخطر التهاون فيها، وكما يقدم لنا المنظور الإسلامي النموذج الذي يكفل لنا الوقاية من الاضطرابات النفسية، فإنه يقدم أيضاً العلاج لما يمكن أن يصيب الإنسان من أمراض واضطرابات، وقد ثبت أن تقوية الوازع الديني واللجوء إلى الله والتمسك بالعقيدة والإيمان القوي بالله تعالى من الأمور التي تفيد عملياً في علاج حالات الاكتئاب، والقلق والاضطرابات النفسية.

المطلب الثاني

الترغيب والترهيب

بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فُطر عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرغبة من الألم والشقاء وسوء المصير.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٣٠٩.

(2) انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٥٨١.

ومن ذلك يمكن تعريف الترغيب والترهيب كما يلي : "الترغيب: وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة، خيرة، خالصة من كل الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله تعالى.

والترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله تعالى عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله تعالى به، أو تهديد من الله تعالى يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي." (١)

ولقد حفلت الآيات القرآنية بالحض على الطاعات والتحذير من المنكرات، عن طريق الترغيب والترهيب، لكي تنقاد النفس وتزجر وتسارع إلى ما فيه مرضاة الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ* لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ* وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ* أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ* لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ (الزمر آية ١٥-٢٠). وهكذا تتوالى مشاهد الترغيب والترهيب في هذه الآية الكريمة، الترغيب والبشارة لمن استقام على طاعة الله تعالى، والنذير والوعيد والتخويف الشديد لمن أعرض عن هدي الإسلام وحاد عن طريق الحق، والمتأمل لهذه الآية الكريمة لا بد أن تهتز أعماق نفسه وتتيقظ فطرته، وهو يرى هذا التقابل بين مشاهد النعيم المقيم لأهل الجنة وما فيها من غرف من فوقها غرف مبنية، ومشاهد الشقاء والعذاب لأهل النار، وهم يحترقون في طيات تلك الظلل المعتمة من فوقهم ومن تحتهم (٢).

مميزات الترغيب والترهيب القرآني :

يمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية بميزات منها: (٣)

(1) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلوي، ص ٢٥٧.

(2) انظر: في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٣٠٤٥-٣٠٤٦.

(3) انظر: أصول التربية الإسلامية، ص ٢٥٩.

١ - يعتمد الترغيب والترهيب القرآني على الإقناع والبرهان، فلا يوجد أية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلا ولها علاقة بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر على الغالب، أو فيها توجيه خطاب للمؤمنين.

٢ - يكون الترغيب والترهيب مصحوباً بتصوير فني رائع بنعيم الجنة، أو لعذاب جهنم بأسلوب واضح يفهمه الجميع.

٣ - يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، كعاطفة الخوف من الله تعالى التي أمر بها، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف آية ٥٥-٥٦)، ومن الإحسان في الدعاء أن يكون مقروناً بالخوف والطمع، خوفاً من عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه، والدعاء بمعنى السؤال أو بمعنى العبادة، لا بد أن يجمع في النفس معنى الخوف والرجاء ظاهراً أو باطناً (١).

لقد مدح الله تعالى عباده الذين يخافونه، ووعدهم بالثواب العظيم في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران آية ١٧٥)، أي: "فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه، المستجيبين لدعوته.

وفي هذه الآية بيان وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، وهذا هو الخوف المحمود. " (٢)

وعلى تربية هذه العاطفة-الخوف والرجاء- بُنيت بعض العبادات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة آية ٩٤) فقال: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ علماً ظاهراً للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب، وأنه تعالى يبتليهم بالصيد

(١) انظر: روح المعاني، ج٨، ص٣٠٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص١٤٤.

يغشاهم في رحالهم، يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سراً وجهاً ليطهر طاعة من يطيع منهم في سره وجهره (١) .

وقد اعتنى القرآن في دعوته للإيمان بعقيدة التوحيد بإثارة دوافع الناس بترغيبهم في نعيم الجنة الذي سيحظى به المؤمنون، وبترهيبهم من العقاب أو العذاب الذي سيلحق بالكافرين في نار جهنم، وآيات الترغيب التي تصف نعيم الجنة تبعث في المسلمين الأمل في الحصول على هذا النعيم، وتدفعهم إلى التمسك بالتقوى والإخلاص في أداء العبادات والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله وعمل ما يرضي الله ورسوله ﷺ أملين أن يكونوا من أهل الجنة.

والآيات التي تصف عذاب جهنم تبعث فيهم الرهبة من هذا العذاب الأليم الذي ينتظر الكافرين والمنافقين والعاصين لأوامر الله تعالى.

ويلاحظ أن القرآن لا يعتمد فقط في إثارة الدافع لقبول الإسلام على تخويف الناس وترهيبهم من العذاب الأليم في نار جهنم، وإنما يعتمد أيضاً في نفس الوقت على ترغيبهم في الاستمتاع في نعيم الجنة، وذلك لأن الترهيب وحده، أو الترغيب وحده قد لا يكون مفيداً الفائدة المرجوة في تعديل السلوك، وتوجيهه، فاستخدام الترهيب وحده قد يؤدي إلى طغيان الرهبة على النفس فتتأسس من رحمة الله، واستخدام الترهيب وحده قد يؤدي إلى استيلاء الأمل في رحمة الله على النفس مما قد يوكلها إلى الدعة والتهاون والغفلة.

ولا تقتصر آيات الترغيب والترهيب في القرآن على ذكر النعيم الذي سيلقاه المؤمنون، والعذاب الذي سيلحق بالكافرين في الحياة الآخرة فقط، بل إنه يذكر أيضاً ما يناله المؤمنون من خير، وما يلحق بالكافرين من ألم وعذاب في الدنيا أيضاً ومن هذه الآيات التي تذكر ما يناله من خير في الحياة الدنيا، قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود آية ٥٢) رغبتهم نوح **U** بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات بعد أن حبس الله تعالى عنهم القطر وأعمق أرحام نساءهم ثلاث سنين (٢) .

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (نوح آية ١٠-١٢) هذا مقام

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٤٧.

(2) انظر: روح المعاني، ج ١٢، ص ١٢٠.

الدعوة بالترغيب، تم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب، بقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح آية ١٣) "أي لا تخافون من بأسه ونقمته" (١)، ومن الآيات التي تذكر ما يصيب الكافرين من عذاب في الحياة الدنيا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ (الرعد آية ٣١)، الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه (٢).

وذكرت بعض الآيات الأخرى حدوث الثواب للمؤمنين ووقوع العذاب للكافرين في الدنيا والآخرة معاً، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران آية ١٤٨) وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ (الرعد آية ٣٤) (٣).

وهكذا كان المسلمون متأثرين بدافعين قويين، أحدهما يدفعهم إلى القيام بالعبادات والتكاليف وكل ما يأمرهم به الشرع، والآخر يدفعهم إلى تجنب القيام بالذنوب والمعاصي وكل ما ينهاهم عنه الشرع، وهذا الشعور يجعل الإنسان على استعداد تام للطاعة التامة لله تعالى والرسول ﷺ وتجنب كل ما ينهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ.

المطلب الثالث

تجديد النفس بالتوبة

إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق، مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية، ويعتدى العلاج النفسي في مثل هذه الحالات بتغيير وجهة نظر المريض عن تصوراته السابقة التي سببت له الشعور بالذنب، فيراها في ضوء جديد، بحيث لا يرى فيها ما يبرر شعوره بالذنب والنقص، فيخف تأنيبه لنفسه، ويصبح أكثر تقبلاً لذاته، فيزول قلقه وأعراض مرضه النفسي.

ويمدنا القرآن بأسلوب فريد وناجح في علاج الشعور بالذنب، ألا وهو التوبة، فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله، فتخف حدة قلقه.

(1) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٦٢٠.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٤٣.

(3) انظر: القرآن وعلم النفس ص ١٥٦ - ١٥٧.

ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه، وزيادة ثقته فيها، ورضاه عنها، ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه.

إن إيمان المسلم بأن الله (جل شأنه) يقبل التوبة ويغفر الذنوب، وأنه لا يخلف وعده، يدفعه إلى الاستغفار والتوبة، والابتعاد عن ارتكاب المعاصي، أملاً في مغفرة الله ورضوانه. وإذا تاب المسلم توبة نصوحاً، والتزم بطاعة الله وعبادته وبالعمل الصالح، ارتاح باله، واطمأنت نفسه، وزال عنه الشعور بالذنب الذي يسبب القلق واضطراب الشخصية^(١).

والتوبة: هي التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي، والندم على كل ذنب سالف، والعزم على عدم العودة إلى الذنب في المستقبل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحريم آية ٨) والتوبة النصوح كما يقول ابن كثير: هي التوبة الصادقة الجازمة التي تمحو ما قبلها من السيئات، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات، وذلك بأن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ما سلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعل ذلك في المستقبل. ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه^(٢).

وقد حث الرسول ٣ على التوبة وعلى المداومة عليها باستمرار، فقال: (يأيتها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم والليلة إليه مئة مرة)^(٣).

والتوبة بهذا المعنى هي رجوع الإنسان عن إثمه وذنبيه، فيُخرج من نفسه حلاوة الفعل الذي كان سبباً في معصيته وانحرافه خروجاً أبدياً، حتى كأنه لم يكن هو الذي اقترف هذا الذنب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان آية ٧١) فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية، وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية، فالمعصية عمل وحركة، ويجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة، وإلا حنت النفس إلى الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع، وهذه لمحة في منهج التربية القرآني عجيبة، تقوم على خبرة عميقة بالنفس الإنسانية، ومن أخبر من الخالق بما خلق؟ سبحانه وتعالى!

(1) انظر: نحو علم نفس إسلامي ص ١٩٣ وما بعدها.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤ ص ٥٧٠.

(3) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ح رقم ٦٧٥٣، ص ١٣٢٧.

إذ يستطيع بالتوبة أن يتخلص من أمراضه وآفاته، ويرجع إلى صحة نفسه، وسلامة من قلبه معافى من كل مرض (١) .

"والتوبة واجبة على الدوام، فإن الإنسان لا يخلو من معصية، ولو خلا عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه، وإن خلا عن ذلك، لم يخل عن وساوس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، ... وكل ذلك نقص، ولا يسلم أحد من هذا النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وأما أصل ذلك فلا بد منه." (٢) قال تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (النور آية ٣١) فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً أو باطناً إلى ما يحبه، ودل هذا أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الخطاب للمؤمنين جميعاً، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ** ﴾ حث على الإخلاص بالتوبة أي: "لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة" (٣) .

ومن ثمار التوبة الندم، ويتحدد الندم في العزم على :

عدم العودة إلى الإثم. والبعد عن الرذائل، والفرح بإتيان الخير والتوبة عن الشر، وبذلك يصدق في التائب قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة آية ٢٢٢) "من ذنوبهم على الدوام" (٤) .

ومن شروط التوبة أن تقع من المكلف قبل أن يصل إلى حالة لا تمكن الحياة بعدها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ** ﴾ (النساء آية ١٨) "وذلك أن التوبة في هذه الحالة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار" (٥) ، وإذا اهتدى العبد الصادق إلى طريق التوبة، فإنه يصلح ما بينه وبين غيره ويسترضي خصومه، ويعمل على إذلال كبر نفسه فيقبل الآلام بصدر رحب ويسعى لراحة الناس بقدر ما يستطيع .

ثم إنه يسعى إلى الله بأنواع الطاعات، فيقوم الليل، ويصوم النهار، ويؤدي الفرائض، ويزيد كل يوم في مجاهدته، ويوجب على نفسه تحمل أعمال جليلة، ويمتنع عن اللقمة الحرام،

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٥٨٠.

(2) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٥١-٢٥٢.

(3) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦١٦.

(4) المرجع السابق، ص ٩٢.

(5) نفس المرجع، ص ١٦٠.

ويواظب على تلاوة الذكر، ولا ينظر إلى المحرمات، ولا يسأل أحداً شيئاً عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحریم آية ٨).

إذن التوبة تجديد عهد مع الرب سبحانه وتعالى، تغسل الإنسان من أحواله القديمة، ومخالفته الماضية، وأعماله السيئة لبدأ من جديد ميلاداً جديداً، ويؤيد ذلك حديث الرسول ٣ في قوله (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)^(١) (٢) .

"وقد ثبت لدى علماء النفس والطب النفسي أو الصحة النفسية، أن التوبة تشفي من كثير من الأزمات والأمراض النفسية، لأنها تعين على إعادة تكيف الإنسان مع نفسه، ومع مبادئه ومثله الأعلى، ومع مجتمعه القائم على المثل الأعلى الذي هو عبادة الله تعالى في النظام الإسلامي، ومراقبته، كما أنها تربي المجتمع على التسامح بين أفرادها، وفي هذا المعنى يقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور آية ٢٢)، وكان أبو بكر قد أقسم ألا يعود إلى عطاء مسطح الذي روج الإفك، وهو اتهام عائشة -رضي الله تعالى عنها- وألا يتصدق عليه بعد ذلك، وكان قبل ذلك يتعهده بالصدقة، فلما نزلت هذه الآية في حق أبي بكر وأمثاله قالوا: بلى نحب أن يغفر لنا، وعفا وصفح عن تكلم في عرض ابنته، لأن التوبة وطلب المغفرة من الله تعالى قد علمته أن يصفح عن الناس كما يحب أن يغفر الله تعالى له ويصفح عنه"^(٣) .

ويتبين مما سبق أن التوبة جعلها الله تعالى تطهيراً مستمراً للنفوس، وعودة للإيمان باطمئنان وراحة، عندما تسرف النفوس في الابتعاد عن أوامر الله تعالى وتعاليم شرعه، وهي مدخل إيماني واسع تحت عليها المصادر الشرعية في مواطن كثيرة، ومما يطمئن النفس البشرية أن التوبة مقبولة ما لم تغرغر الروح، وفي ذلك يقول ٣ (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)^(٤) وهذه بشارة مريحة تبعث

(1) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب ، ح رقم ٦٨٨٣، ص ١٣٥٢ .

(2) انظر: نحو علم نفس إسلامي ص ١٩٣ وما بعد ها .

(3) أصول التربية الإسلامية ، ص ٥٦ .

(4) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، ح رقم ٣٤٦٠، ص ٨٠٢ .

الأمل، وبذلك يتبين أهمية التوبة كوسيلة عملية لتزكية النفس، وترقيتها في مقامات القرب من الله تعالى.

المطلب الرابع

تربية عواطف المحبة والخوف والرجاء

أولاً المحبة: تبنى التربية الاجتماعية على أساس عواطف اجتماعية، أهمها المحبة، وتتبع المحبة من تربية الأبوين للناشئ، فإن وهباه ما يحتاج من الحب والعطف والعناية أصبح عنده استعداد لمحبة الآخرين، وإن لم يرويا عنده الحاجة إلى أن يحب، ظهر عنده الشذوذ والتبرم والسخط على الآخرين، وإلى هذه المحبة أضافت التربية الإسلامية محبة الله تعالى ينبوعاً لا ينضب من ينابيع العاطفة الصادقة، وعلى أساس محبة الله تعالى يحب المؤمن كل من يشاركه في الولاء لله تعالى ومحبته وطاعته والانقياد لشريعته، وهذا ما يسمى الحب في الله، وله في النفس أثر عظيم وسعادة نفسية، قال فيها بعض الزهاد: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه، وفي معنى ذلك يقول ٣ (ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه منه، كما يكره أن يقذف في النار) (١) (٢).

والحب كما ورد في القرآن الكريم على دربين:

الأول: حب الله، ومن الله تعالى: وهو الحب الحق من عبادة، ورضا، وشكر، وإسقاط التدبير ومجاهدة الله تعالى بالعمل الصالح، تقرباً إليه، ووسيلة لمرضاته، وعملاً بأمره.

قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة آية ٥٤)، وقال أيضاً: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة آية ١١٩).

الثاني: حب الدنيا وما فيها: كحب النفس، والشهوات، والمال، والفساد في الأرض، والعدوان، والإسراف في اللذات، والشره، والطمع.

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار، ح رقم ٢١، ص ١٨.

(2) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص ١٦٤-١٦٥.

يقول تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران آية ١٤)، و"المعنى تقليل الدنيا وتحقيرها، والترغيب في حسن المرجع إلى الله تعالى في الآخرة." (١)

والحب الإلهي: هو الذي يهدف إليه علم النفس الإسلامي؛ لأنه يحقق الصحة النفسية، أما حب الإنسان: فهو نتاج هذا الحب الإلهي، فالأصل هو الحب الإلهي، أما الحب الإنساني فحب في الله تعالى، وفي طريقه، وهو ألفة ومودة ورحمة، قال تعالى: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران آية ١٠٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه آية ٣٩) حبيبك إلى عبادي، حتى عدوك جعلته يحبك لتربي بعين الله وتغذى على عينه (٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم آية ٢١).

والمحبة بهذا المعنى إثراء للعلاقات الإنسانية، وثمره لصحة المجتمع، وتعاون على البر والصلاح، وألفة وإخوة بين الناس، ومودة ورحمة بين الأزواج والأقارب والأرحام . فالمحبة تستهدف الحياة الأخلاقية المثلى، بالإضافة إلى كونها أصلاً من أصول الدين، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات آية ٧).

وبدون هذه المحبة الإلهية تنبدد الروابط الإنسانية، وترتبط بالمصالح المادية والفوائد النفعية، فيقوى في النفس الحب الشهوي، ويعظم طلب الدنيا، واللذات الحسية، كما قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر آية ٢٠) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (يوسف آية ٣٠) والمعنى: "وصل حبه إلى شغافها فغلب عليه" (٣)، فامرأة العزيز هنا اندفعت إلى الحب الشهوي فهبطت إلى مرتبة الحيوان، لاتباعها أهواء النفس، التي جنحت فقادتتها إلى الرغبة في الشهوة المحرمة (٤).

والمحبة الصادقة: هي المحبة المحققة للأمن والأمل والطمأنينة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(1) الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٢٥.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٦٦.

(3) الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص١١٦.

(4) انظر: نحو علم نفسي، ص٢٤٧ وما بعدها.

(آل عمران آية ٣١)، وقيل: محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما، وقيل: محبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران آية ٣٢) أي: لا يغفر لهم، وقيل: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة، وعلامة حب الله حب القرآن وحب النبي ﷺ وحب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء، قال ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه قال: فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض (١) (٢) .

ومن علامات صدق المحبة لله تعالى، أنه إذا ذكر الله تعالى خالياً وجل قلبه، وفاضت عيناه من خشية الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال آية ٢).

وهكذا فإن المحبة الإلهية تهدف إلى طريق الخير والإحسان والمودة وتآلف القلوب، والتخلي بمكارم الأخلاق، ويهدف هذا الحب إلى تحقيق أمر الله تعالى، ومخالفة أهواء النفس، وحفظها، وشهواتها، وتحقيق الصحة النفسية للإنسان في الدنيا والآخرة، وبذلك يستطيع تركيبة نفسه بأعمال البر والمعروف، ويبتعد عن الشيطان ووساوسه، وهنا يحبه الله تعالى ويرضى عنه، فهو حب الله ومن الله وبالله وإلى الله تعالى.

ثانياً الخوف والرجاء: "وهما جناحان، بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيطان بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود" (٣) .

وقد ورد ذكر الرجاء والرحمة مقروناً بالتخويف والوعيد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبداً حبه لعباده، ح رقم ٦٦٠٠، ص ١٢٩٦.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٤٠.

(3) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٩٧.

الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ (الحجر آية ٤٩-٥٠)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف آية ١٦٧).

وقد عبر القرآن الكريم عن وصف أصفياء الله تعالى من الأنبياء وعباده الصالحين، فقال عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء آية ٩٠).

وأثنى الله تعالى على عباده الصالحين في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (المؤمنون آية ٦٠) قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "فهؤلاء الذين أثنى عليهم الله تعالى هم الذين يعطون العطاء لمستحقه، ويقومون بأعمال البر والطاعة، وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم إشفاقاً مما يعترهم من تقصير، ولذلك جعلهم الله تعالى من السابقين لكونهم جمعوا بين إحسان العمل والخشية من المولى سبحانه، فهم مع إحسانهم مشفقون خائفون" (١).

وقال ٣ (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أبداً) (٢). " (٣)

التلازم بين الخوف والرجاء:

الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف عند المؤمن؛ لأن كل خائف راج، وكل راج خائف، والخوف ليس ضد الرجاء، بل رفيق له، ولهذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف، كما قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح آية ١٣) كثير من المفسرين قالوا في هذه الآية: مالكم لا تخافون الله تعالى عظمة (٤)، فكل راج خائف من فوات مرجوه، فأطلق اسم أحدهما على الآخر، وهذا يفسر مدى ارتباط الرجاء بالخوف، وأن الراجي خائف من فوات مطلوبه ورحمة الله تعالى وجنته، فهناك تداخل عجيب بين مقامات الإيمان في قلب المؤمن، والخوف بلا رجاء: يأس وقنوط.

(1) تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤١٦.

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة، ح رقم ٣٥٤١، ص ٨٠٤.

(3) انظر: علم النفس التربوي، ص ٢٢١.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٦٢٠.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الجاثية آية ٤١) وقوله (لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) أي: لا يخافون وقائع الله تعالى بهم، كما وقعت في الأمم الذين من قبلهم من التدمير والإهلاك (١).

فينبغي على الإنسان أن يجمع بين الخوف والرجاء، الخوف من عقاب الله تعالى وعظمته ومقامه، فلا يطغى ولا يتملكه الغرور، والرجاء في رحمته فلا ييأس من عفوه، وأن يبادر إلى التوبة النصوح، ويدعو ربه وهو موقن بالإجابة، وأن يكثر من الاستغفار، ويذكر الناس به ليعودوا إلى ربهم تائبين خاضعين.

العلاقة بين المحبة والخوف والرجاء:

"المحبة: هي الرأس، والخوف والرجاء هما الجناحان، والعبد يسير إلى الله تعالى بالمحبة والخوف والرجاء" (٢) ولولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء، وكل محب راج خائف بالضرورة، فهو يرجو من يحبه أن يعطيه ما ينفعه، ويخاف أن يسقط من عينه وأن يطرده ويبعده.

ويجمع الله تعالى بين هذه المقامات الثلاثة في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا﴾ (الإسراء آية ٥٧)، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه (٣)، وبالخوف يعرف الله تعالى، وبالرجاء يعرف الله إكرامه (٤).

وهكذا ينبغي أن تُربى العواطف باعتدال واتزان، فلا يتمادون في المعاصي مغترين برحمة الله تعالى ومغفرتهم، مسوفين توبتهم إلى الله تعالى، ولا ييأسون من رحمته بدعوى أن المجتمع كله منغمس في المعاصي، منحرف عن الإسلام الصحيح، فيتركون العمل بشريعة الله والدعوة إليها، خاصة في وقتنا الحاضر الذي طغت فيه المادة على النفوس، وازداد الرجاء عند الناس، وبهذا تحقق هذه العواطف دورها في تركية النفس، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا نَنَاهَيْهِمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت آية ٦٩).

(1) انظر: سلسلة أعمال القلوب، ٧٥.

(2) المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(3) انظر: المرجع السابق، ص ٧٨.

(4) انظر: الأساس في التفسير، ج ٦، ص ٣٠٨٤.

المبحث الثاني

ضبط الشهوات والاندفاعات النفسية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تهذيب النفس بالعبودية لله تعالى.

المطلب الثاني: الجهاد في سبيل الله تعالى.

المطلب الثالث: محاسبة النفس وتذكر عيوبها.

المطلب الأول

تهذيب النفس بالعبودية لله تعالى

أصل العبادة: التذليل، من قولهم طريق معبد، أي مذل بكثرة الوطء عليه، ومنه أخذ العبد لذله لمولاه.

والعبادة الخضوع والتذلل والاستكانة، وفي اللسان: "أصل العبودية: الخضوع والتذلل" (١).

"والعبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود، لا يعرف منشأها، واعتقاده بسلطة له عليه لا يدرك تفهمها وماهيتها، وقصارى ما يعرفه منها أنها محيطة به، ولكنها فوق إدراكه، فمن ينتهي إلى أقصى الذل لملك من الملوك لا يقال إنه عبده، وإن قبل موطئ أقدامه" (٢).

قال الطبري - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرِينَ مِثْنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (المؤمنون آية ٤٧) "يعنون أنهم لهم مطيعون منذللون، يأتَمرون لأمرهم، ويدينون لهم. والعرب تسمى كل من دان لملك عابدا له" (٣) وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَّهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد آية ١٥-١٧) يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء، ودان له كل شيء، ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين، وكرهاً من المشركين، ويقرر أنه لا معبود بحق سواه (٤).

فهذه هي حقيقة العبادة في الإسلام، إنها معنى مركب من عنصرين: غاية الخضوع لله تعالى، مع غاية المحبة له سبحانه.

والله سبحانه وتعالى أمر الناس بعبادته حتى تقوم الساعة، والعبادة تشق على النفس، وذلك لمغالبة الهوى والشيطان، ومخالفة أهواء النفس.

(1) لسان العرب، ج٣، ص٣٣٥.

(2) العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، ص٣٠-٣٢.

(3) جامع البيان، ج٢٥، ص١٨.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٧٤٨.

والنفس البشرية حسب تركيبها ونزوعها إلى الهوى تأبى العبادة، لذلك كانت العبادة عملاً لصالحها، ومنازعة لشهواتها.

والله تعالى أعلم بجبلات النفس، ونزعاتها الظاهرة والباطنة وأعرف بالعلاج لأمراتها وآفاتهما، وما يتوجب على النفس تجنبه للابتعاد عن الأهواء والسقوط في برائن الغواية والضلال.

فالعبرة شريعة الله في خلقه، أمرهم بها وهي تحتاج إلى المعاناة والمكابدة، ودوام المجاهدة عليها ظاهراً وباطناً حتى ينتقل الإنسان إلى الحياة الأخرى ملائقاً ربه، ليثاب على عمله ويلحق بالصالحين والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر آية ٩٩) أي: الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، وهذه الحقيقة الأساسية الكبيرة هي التي يجب أن يصدع بها أصحاب الدعوة الإسلامية، ولا يخفوا منها شيئاً؛ وأن يصروا عليها مهماً لأقوا من بطش الطواغيت وتململ الجماهير (١).

ويحدد الله سبحانه وتعالى غاية الإنسان من هذه الحياة الدنيوية، حتى يعلم الناس كل الناس، لماذا خلقهم الله تعالى في هذه الدنيا؟ فيقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات آية ٥٦) "هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبتة، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه" (٢).

وهذا التحديد الإلهي لرسالة الإنسان في هذه الدنيا يجعله عارفاً بطريقه الواضح الفطري السليم دون لبس أو تلبيس، فلقد أعلمه الله به، فليس له على الله حجة بعدما أرسل إليه الأنبياء والمرسلين ليشروه ولينذروه، وليوضحوا له ما غمض من أمر هذه الدنيا، بحيث يصبح كل شيء واضحاً أمامه، وأنه مسؤول عن أفعاله وأعماله بعد توجيهه وإرشاده إلى طريق الله.

وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات آية ٣٧-٤١).

فالعبرة بهذا المعنى هي عمل الله تعالى، وهي الموصل على الحقيقة إلى نعيم الآخرة، وهي ليست أشكالاً ورسوماً وحركات، إنما هي إيثار وعدل وصدق وإخلاص وبر وطاعة

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٠٤.

وذكر لفضل الله تعالى ونعمه، وهي كذلك رضاً بالابتلاء، وإسقاط لتدبير العبد مع ربه، وتوكل عليه بالكلية في كل أمر وفعل، كما أنها صبر على الفاجعات، وصبر على المحبوب والمكروه جميعاً.

والعبادة تُدخل على النفس السكينة، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر، وهي خوف ورجاء، خوف من وعيد الله ورجاء في وعده، فإذا لم ير العبد ربه، يوقن أن الله يراه. فالعبادة بهذا المعنى ليست مقصورة على التكليف والفرائض الشرعية والمقررة، إنما هي صدق للنية وإخلاص في العمل لله.

ولذلك يكون المصلون في الصلاة الواحدة، وبين الواحد والآخر مثلما بين السماء والأرض؛ إذ بينهم الطائع والمرائي، والمخلص والعاصي، فليست العبرة إذن بتأدية الصلاة بالحركات والأشكال ولا بالتمتة بكلمات، والقلب خال من الصدق والإخلاص، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال آية ٢) وهم يتوكلون على الله تعالى، لا يرجون سواه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يسألون غيره، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه (١).

والعبادات أسمى أهدافها وغاياتها صلاح الفرد والجماعة، عندما تمارس بالتقوى والخشوع والتواضع والتراحم والتكافل.

وهكذا كلما أخلص المرء العبودية لله وجد نفسه مهتدياً إلى سر وجوده، ووجد مع ذلك سعادة روحية لا تدانيها سعادة تتمثل فيما سماه الرسول ٣ (حلاوة الإيمان)، فقال: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا) (٢).

وإن لهذه الحلاوة طعماً لا يتذوقه إلا من عرف الله، وآثره على كل ما سواه. والعبادات من شأنها تهذيب النفس والابتعاد عن الآثام، والمعاصي فتدخل على النفس السكينة وتشعر بالأمن والطمأنينة، وفي هذا ما يحفز الإنسان على السعي إلى مرضاة الله تعالى.

فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا ينعم ولا يبتهج ولا يلتذ، ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٤٢٣.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب، ح رقم ٥٨، ص ٤٧.

وبهذا يتبين أن الذي يذوق طعم الإيمان الحق ويزهر في قلبه مصابيح اليقين لا ينظر إلى العبادة على أنها مجرد خضوع أو تنفيذ أوامر فحسب، إنه يجد فيها تلذذاً بمناجاة الله وطاعته، وإن المؤمن ليجد في عبادة ربه في ساعة الشدة سكينه لنفسه، وأنساً لوحشته، وانشراحاً لصدره، وتخفيفاً لكاهله كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْتَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (١) (الحجر آية ٩٧-٩٩).

النفوس الزكية تعبد الله لأنه أهل للعبادة فهو لذاته مستحق للعبادة، والعبادة ليست مجرد وسيلة لتهديب النفس فحسب، بل هي عبادة مطلوبة لذاتها، وغاية في نفسها، كما أوضح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات آية ٥٦).

فالمقصود بالعبادة أن يعرف الإنسان نفسه فقيراً إلى الله تعالى، لا حول ولا قوة إلا بربه، ولا اعتماد إلا عليه سبحانه.

وأما صلاح النفس، وزكاة الضمير، واستقامة الأخلاق، فهي ثمرة لازمة للعبادة الحقّة، وليست علة غائبة لها؛ لهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (البقرة آية ٢١) وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ (العنكبوت آية ١٦) (٢) فإنه لا يستحق أن ينفرد بالعبادة إلا الله تعالى، وفي هذا ما يحكم سلوك الفرد عن طريق ما يتقرب به من الخالق سبحانه من عبادات، ومعتقدات، وأخلاق، ومعاملات تسمو بسلوكه وتشعره بالأمن والطمأنينة، فإن في تقربه إلى الله تعالى ما يدخل السكينة إلى نفسه مصداقاً لقول الحق تعالى في الحديث القدسي: (من تقرب مني شيراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي آتيته هرولة) (٣).

وينتج عن الخضوع والتسليم الإيماني؛ والتصديق بالرسول والشرائع الالتزام بمبادئ الدين ونظامه، والاهتداء بمنهجه وقيادته، فتؤثر كل هذه الحقائق تأثيراً إيجابياً على اتجاه النفس إلى الله سبحانه وإذعانها لأمره، بتفويض الأمر إليه، والتوكّل عليه، والرّضا بقضائه وقدره، والشكر على نعمه، وإخلاص الحبّ له .

(1) انظر: العبادة في الإسلام، ص ١٠١.

(2) انظر: المرجع السابق، ص ١١٦.

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ح رقم ٦٥٠٢، ص ١٣٨٢.

إن هذه المواقف النفسية التي تظهر على سلوك المؤمن هي من أجل مظاهر العبادة وأصدقها، فهي تمثل انعكاس الإيمان في أعماق الإنسان وتفاعله مع الذات، وتنمية شعور النفس الحقيقي بالعبودية لله، ورغبتها في التسليم والتوافق مع إرادته ومشيئته جلّ وعلا .

فعبادات الإسلام جاءت جميعها تزكية للنفس والبدن، وتطهيراً للذات، وتنمية للروح والإرادة، وتصحيحاً لنشاط الجسد والغريزة .

فكل عبادة في الإسلام لها أثرها النفسي والجسدي، ولها نتائجها التكاملية في مجالات الروح والأخلاق والعلاقات الإنسانية المتعددة.

- ف شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. هذه العبادة تدعو النفس الإنسانية إلى الخضوع لله، والسعي إلى ضمان طاعته، وتلوذ من الشرور والآثام نحو عفوه وتوبته، وتكتسب الهدوء النفسي والرضا والطمأنينة والسكينة، وفي هذا ما يحفز على العمل الدائب والسلوك المتوافق.

- وقد جعل الإسلام الصلاة تنزيهاً للإنسان من الكبرياء والتعالي، وغرساً لفضيلة التواضع والحب للآخرين، ولقاء مع الله للاستغفار والاستقالة من الذنوب والآثام، وشحذاً لهمة النفس وقيادتها في طريق التسامي والصعود، فوقوف الإنسان في الصلاة أمام الله سبحانه وتعالى في خشوع وتضرع يمدّه بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي، والاطمئنان القلبي، والأمن النفسي، وانصراف العبد عن مشكلات الحياة من شأنه أن يبعث في الإنسان حالة من الاسترخاء التام وهدوء النفس، وراحة العقل، وهذه الحالة لها أثرها العلاجي المهم في تخفيف حدة التوترات العصبية التي تحدثها مشكلات الحياة اليومية وهمومها، وقد كان الرسول ﷺ يقول لبلال t حينما تحين أوقات الصلاة (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها) (1)

أرحنا بها من هموم الدنيا، وتعب الدنيا، ومشاكل الدنيا، وهذا هو نفس الأسلوب الذي يستخدمه المعالجون النفسيون اليوم في علاج القلق، ويقوم الإنسان مباشرة بالتنسيب والدعاء إلى الله تعالى، وهذا يساعد على استمرار حالة الاسترخاء والهدوء النفسي لفترة ما عقب الصلاة، وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه، وهذه المناجاة أيضاً تساعد على التخلص من أي إزعاج أو أي قلق وهو في هذه الحالة من الاسترخاء والهدوء النفسي (2) ، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر آية ٦٠) فالدعاء باب من أبواب الخضوع؛ لأن العبادة خضوع، والمراد بالعبادة الدعاء، وإنما المؤمن يتضرع إلى الله تعالى في كل تقلباته، ويتوجه

(1) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب صلاة العتمة، ح رقم ٤٩٨٥، ص ٧٤٧.

(2) انظر: القرآن وعلم النفس، ص ٢٥٦ وما بعدها.

إليه بالعبادة والدعاء، وذلك مما يشفي صدره من الكبر الذي ينتفخ به (١) .
 وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة آية ١٨٦) فمجرد اللجوء إلى الله تعالى يؤدي إلى تخفيف حدة القلق والتوتر، والدعاء فيه تنمية لقوة الإحساس الروحي، وتوثيقاً للصلة الدائمة بالله والارتباط به والاعتماد عليه، ليحصل الاستغناء الذاتي بالله عمّن سواه، فيلجأ إليه المؤمن في محنه وشدائده، وعند إساءته ومعصيته. وبالإضافة إلى كل ذلك فإن لصلاة الجماعة الأثر العلاجي الذي يساعد على نمو شخصية الفرد، وعلى نضجه الانفعالي كما يشبع حاجته إلى الانتماء الاجتماعي، والتقبل الاجتماعي مما يؤدي إلى الوقاية من القلق الذي يعاني منه بعض الناس نتيجة شعورهم بالوحدة والعزلة وعدم الانتماء للجماعة، وتؤدي صلاة الجمعة نفس الدور الوقائي والعلاجي من الأمراض النفسية، وكذلك الوضوء فيه تطهير للنفس من أوساخها وأدرانها.
 - والصوم أيضاً فيه ترويض للجسد، وتقوية للإرادة على رفض الخضوع للشهوات، والسقوط تحت وطأة الاندفاعات الحسية الهلعة، وفيه تربية وتهذيب للنفس، وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم، ويؤدي إلى بث روح التقوى فيه (٢) ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة آية ١٨٣) أي لعلمك تتقون المعاصي، فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها، لما فيه من زكاة النفوس، وطهارتها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، وخشية الله في السر والعلن، لأن الصائم لا رقيب عليه سوى ضميره (٣) .

إن استمرار التدريب على ضبط الشهوات والسيطرة عليها مدة شهر كل عام، لا شك سيعلم الإنسان قوة الإرادة والعزيمة، وأداء الواجبات دون رقابة عليه، وفي الصيام تدريب على الصبر وعلى الجوع والعطش، والامتناع عن الشهوات، وللصيام فوائد كثيرة وعظيمة.
 - والزكاة تطهر النفس من دنس البخل والطمع والأثرة وحب الذات والقسوة على الفقراء، وهي تزكي النفس، أي تتميها وترفعها بالخيرات والبركة، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة آية ١٠٣)، يقول البيضاوي-رحمه الله تعالى- في تفسيره: "خذ من الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة تطهرهم بها من الذنوب والأوضار، وتتمي بتلك الصدقة حسناتهم حتى يرتفعوا بها إلى مراتب المخلصين الأبرار" (٤) .

(1) انظر: روح المعاني، ج٢٤، ص١٢٤.

(2) انظر: القرآن وعلم النفس، ص٢٥٦ وما بعدها.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣١٩.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص١٧٠.

- والمسلم الذي يؤدي فريضة الحج، تستنثر مشاعره عند زيارة الأماكن المقدسة وأداء الفريضة فيها، وتمد النفس بطاقة روحية هائلة تزيل كروب الدنيا وهمومها، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة، حيث تسمو النفوس البشرية عن ملايسات الأرض وشهواتها ومطامعها، وتتجرد لله خالصة، تتوجه إليه أن يتقبلها في عبادة ويمنحها مغفرته ورضوانه، وتمتزج مشاعر الناس بالأحاسيس المرهفة، والخضوع الإرادي، والخشوع التام والسكينة المتواصلة، وهذه المشاعر تهز الوجدان وتصل إلى أعماقه وتعمل على تنقية وتصفية الكيان النفسي من الأدران والخطايا، إلى الجوهر المشرق المستضيء بنور الله تعالى، حيث أودعه الله ليتصل به ويلقاه، إنها العبادة التي تطهر النفس وتخلصها من كثير من أوضاعها، وفي الحج تدريب على ضبط النفس والتحكم في شهواتها واندفاعاتها،^(١) يقول تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة آية ١٩٧) فيه التخصيص لأولي الألباب بالخطاب بعد حث جميع العباد على التقوى؛ لأن أرباب الألباب هم القابلون لأوامر الله، الناهضون بها، ولب كل شيء خالصة، فعلى العاقل تخليص العقل من الشوائب، وتهذيب النفس وتكميلها بالوصول إلى أعلى المراتب^(٢).

وبقية العبادات الأخرى لها نفس الأثر في تزكية النفس، وشأن الفرائض في ذلك شأن النوافل التي لها الأثر الفعال في تزكية النفس، وتقوية الصلة بينه وبين ربه - عز وجل - . وهكذا فإن العبادات في الإسلام تأتلف جميعها ضمن وحدة تعبدية فتكون منهاجاً متكاملًا لتطهير النفس والروح، وتصحيح مسيرة الجسد ونشاطه، تمهيداً لكمال بشري يؤهل الإنسان للعيش سعيداً في هذه الحياة ومنعماً في الآخرة.

(1) انظر : القرآن وعلم النفس، ص ٢٦٤ وما بعدها.

(2) انظر : فتح القدير، ج ١، ص ٢٩٨.

المطلب الثاني

الجهاد في سبيل الله تعالى

تعريف الجهاد: "الجهاد مشتق من الجهد وهو الطاقة والمشقة، والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة، وتحمل المشقة في العبادة" (١).

وقال الراغب الأصفهاني (٢): "الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج آية ٧٨) وقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة آية ٤١). فمجاهدة النفس فطمها وحملها على خلاف هواها المذموم، وإلزامها تطبيق شرع الله تعالى أمراً ونهياً (٣). قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت آية ٦٩) وهي آية مكية، ومن المعلوم أن جهاد الكافرين قد شرع في المدينة المنورة، وهذا يدل على أن المراد من الجهاد هنا جهاد النفس، وقال العلامة المفسر ابن جزري في تفسير هذه الآية: "يعني جهاد النفس من الصبر على إذابة الكفار واحتمال الخروج عن الأوطان" (٤). وقال العلامة المفسر القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "قال السدي (٥) وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال" (٦). وعن فضالة بن عبيد (٧) قال: قال رسول الله ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في الله) (٨).

(1) بصائر ذوي التمييز، ج ٢، ص ٤٠١.

(2) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل، ابو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني)، المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي (٥٠٢هـ - ١١٠٨م) (الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٢٥٥).

(3) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة -جهد- ج ٢، ص ٤٠١.

(4) التسهيل لعلوم التنزيل، ص ٤٠٤.

(5) السدي، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي، الكوفي الأعور السدي، أحد موالى قريش، قيل أنه مات في سنة سبع وعشرين ومئة. انظر: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٦٥.

(6) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٢٤٢.

(7) فضالة بن عبيد، ابن نافذ بن قيس بن صهيب، القاضي الفقيه، أبو محمد الأنصاري الأوسي، صاحب رسول الله ﷺ من أهل بيعة الرضوان، ولي الغزو لمعاوية، ثم ولي له قضاء دمشق، وكان ينوب عن معاوية في الإمارة إذا غاب، وله عدة أحاديث عن عمر وعن أبي الدرداء، قيل أنه مات سنة ثلاث وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١١٧.

(8) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب في فضل من مات مرابطاً، ح رقم ١٦٢١.

وقد ورد الجهاد في القرآن الكريم على معان عدة :

الأول: مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان آية ٥٢) أي: "جاهدهم بهذا القرآن حتى ينقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به" (١).

الثاني: مجاهدة الكفار بالقتال، وقد ورد فيه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء آية ٩٥).

الثالث: مجاهدة النفس والشيطان، وهو أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت آية ٦٩)، وقد قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون" (٢)، وقال الإمام الفخر الرازي -رحمه الله-: "من جاهد بالطاعة هداه الله سبل الجنة" (٣).

وهناك آيات كريمة أخرى تشمل المعاني الثلاثة، منها قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج آية ٧٨).

قال الإمام ابن كثير: "وجاهدوا في الله، أي بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم.. فالله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم.. وما كلفكم مالا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم" (٤).

وقد بين الإمام ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- أنواع الجهاد وأقسامه فقال: (الجهاد - شرعاً - بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق، ثم قال: فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين، ثم على العمل بها، ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب، أما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب) (٥).

وهكذا نجد أن الجهاد يشمل مجاهدة العدو الداخلي والخارجي، وأن مجالاته كثيرة من

أبرزها:

١ - المجاهدة باللسان والبيان عن طريق الحجة والنصح والدعوة والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(1) جامع البيان، ج ١٩، ص ٢٣.

(2) تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٦٧١.

(3) التفسير الكبير، ج ٢٥، ص ٩٤.

(4) تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣٩٨.

(5) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد السير، مقدمة باب فضل الجهاد والسير، ج ٦، ص ٣.

٢- المجاهدة بقتال الأعداء وبذل النفس والمال في سبيل الله.

٣- مجاهدة النفس والشيطان وقمع تسلطها، وقد جعل الله سبحانه الفلاح متعلقاً بتزكية النفس، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس آية ٩)، كما جعله متعلقاً بالجهاد، فقال سبحانه: ﴿جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة آية ٣٥)، وجعله أيضاً متعلقاً بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عز وجل: ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران آية ١٠٤).

فطريق الفلاح هو طريق الدعوة والجهاد، وهو نفس طريق تزكية النفس لا يختلفان، ومن هنا كان الجهاد بأنواعه وسيلة عظيمة لتزكية النفس^(١).

وقد أمر الله عباده بالجهاد وجعله ذروة سنام الإسلام، ولقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة في الأمر بالجهاد وبيان فضله ومنزلته، وما أعده الله للمجاهد من أجر عظيم، والتأكيد على أهمية الجهاد في تقوية الإيمان والتحقق بالصدق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات آية ١٥) أي: "من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك على الإيمان التام في القلب؛ لأن من جاهد غيره على الإسلام والقيام بشرائعه، فجهاده لنفسه على ذلك من باب أولى وأحرى؛ وأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك، دليل على ضعف إيمانه"^(٢).

منزلة الجهاد:

الجهاد في سبيل الله في أعلى المنازل وأسمائها بعد الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة آية ٤١) "وقد أمر الله بكل الأُمُرين فمن استطاعهما معاً وجبا عليه، ومن لم يستطع إلا واحداً منهما وجب عليه الذي استطاعه منهما"^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ (التوبة آية ١١١).

(١) انظر: المستخلص في تزكية النفس، ص ١٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٩٣.

(٣) التحرير والتنوير، ج ١٠، ص ٢٠٧.

وعن أبي هريرة **t** قال: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: (لا تستطيعون، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: لا تستطيعون، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله) (١).

ثم إن الإسلام يعدّ الجهاد طريق المؤمنين إلى الجنة، وسبيلهم إلى مرضات الله تعالى ونعيم الآخرة، وإن ترك الجهاد والتخلي عنه يورث الذل والخنوع والهوان، فقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة آية ٤١).

فالجهاد في سبيل الله تعالى فريضة محكمة إلى يوم أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، لا تقوم قائمة الإسلام إلا به ولا تصان كرامة المسلمين إلا تحت رايته، ولا عز لهم إذا ما تهاونوا في شأنه واستسلموا للآراء المضللة المنادية بتركه وإبطاله. وعلى هذا فالجهاد أربع مراتب:

جهاد النفس - وجهاد الشيطان - وجهاد الكفار - وجهاد المنافقين (٢).

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - من خلال حديثه عن مراتب الجهاد: إن جهاد الكفار في المعارك هو قمة الجهاد وكماله، بل هو قمة الإيمان وهو ثمرة جهاد طويل مع النفس والشيطان وتربية لها على الصبر والتضحية وقوة الصلة بالله - عز وجل - ولا يصبر على جهاد الكفار وينتصر عليهم إلا أولئك الذين انتصروا على أنفسهم والشيطان في جهادهم لهم، وكان لهم نصيب من جهاد البيان وقول الحق والصبر على الأذى فيه؛ إذ إن معركة الجهاد مع الكفار إن هي إلا ساعات أو أيام حاسمة لكنها ثمرة لمعركة سبقتها مع النفس والشيطان، وجهاد بالعقيدة مع الباطل بفضحه، وبيان ما يضاده من الحق وقد يستغرق ذلك سنوات أو أجيالاً، وهذا أمر لا بد منه، وهو ضرب من ضروب الجهاد، وإعداد للجهاد الحاسم مع الكفار.

وإن الكمل من الناس في باب الجهاد من قام بمراتب الجهاد كلها وأعد نفسه بجميع متطلبات الإعداد للانتصار على النفس والهوى؛ والذي هو ممهّد للانتصار على الكفار في ساحات الوغى، وممهّد للدخول في ذروة سنام هذا الدين، والثبات أمام الأعداء، والاستجابة لداعي الجهاد، والتضحية في سبيل الله - عز وجل - بالمال والنفس عند النداء، لتكون كلمة

(1) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، ح رقم ٤٧٦٢، ص ٩٥٤.

(2) انظر: زاد المعاد، ج ٢، ص ٣٩.

الله هي العليا وليكون الدين كله لله، ولكن لا يسارع إلى ذلك إلا من كان له جهاد سابق مع نفسه وهواه وكان النصر له عليها.

إن الجهاد بمعناه العام لا يسقط عن المسلم المكلف؛ فكما مر في مراتب الجهاد أن جهاد النفس والشيطان ضرب من ضروب الجهاد - وهو الممهّد لجهاد الكفار - والجهاد بهذا المفهوم لا يسقط عن أي مسلم.

وجهاد النفس والشيطان هما الأصلان لجهاد الكفار، والانتصار على الكفار في ساحات القتال هو نتيجة للانتصار على النفس والشيطان قبل ذلك، بل إن جهاد النفس والشيطان يستغرق العمر كله؛ إذ لا بد منه قبل منزلة الكفار، وأثناءها، وبعدها⁽¹⁾.

بعد أن تبين صفات المؤهلين للجهاد اتضح بذلك أهمية الإعداد الإيماني للمجاهدين حتى يلقوا عدوهم وهم مستعدون معنويًا وإيمانيًا لذلك.

فالأصل في الإعداد الذي يسبق جهاد الكفار هو جهاد النفس والشيطان، والمعركة معهما مستمرة ومتواصلة منذ بلوغ المسلم سن التكليف إلى أن يوفيه الأجل، فهو إذن جهاد لا يتقيد بوقت، بل هو مطلوب قبل ملاقاته العدو وأثناء ملاقاته وبعد ملاقاته، والنصر على الأعداء في معارك القتال مرهون بالانتصار على النفس والشيطان في معركة الجهاد معهما.

ويتبين من خلال ما سبق أن الجهاد بمفهومه العام يتضمن جهاد العدو الداخلي بمجاهدة النفس، وجهاد العدو الخارجي بالدعوة والقتال، وجهاد الكلمة بالنصح والتذكير، والدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل منها يكمل الآخر ويعضده، فمن ادعى الانشغال بأحدهما عن الآخر فقد أخطأ وفرط.

أثر الجهاد في تزكية النفس:

عندما يجاهد المسلم في سبيل الله سبحانه بلسانه وماله ونفسه، ويبدل جهده في إعلاء كلمة الله تعالى بكل ما أوتي من قوة، وبجميع المجالات الممكنة، بما فيها الدعوة والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لهذا الجهاد آثاره العظيمة في تزكية النفس، والتي تتجلى في الجوانب التالية:

١ - الجهاد تحرير للنفس من حب الحياة والتعلق بها، وبيع لها في سبيل الله، وتدريب عملي على الزهد في الدنيا والتطلع إلى الآخرة، والتشوق لما أعده الله لعباده في الجنة، وهذا من أعظم ما يهدف إليه القرآن في تزكية النفس.

(1) انظر: زاد المعاد، ج ٢، ص ٣٩، ٣٨.

فالمجاهد يبيع نفسه لله تعالى ابتغاء مرضاتِهِ، والله سبحانه واهب الأَنْفُسِ والأَمْوَالِ ومالكها يكرم عباده المجاهدين بأن يشتري منهم ما وهبهم إذا بذلوا في سبيله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١١١-١١٢).

وهكذا يتضح أن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة، والله سبحانه قد عقد الصفقة، واشترى هذه الأَنْفُسِ والأَمْوَالِ وهو مالكها سبحانه، وجعل الثمن في تلك التجارة الرابحة جنة عرضها السماوات والأرض، ولكن هذا الجهاد ليس مجرد اندفاع للقتال، إنما هو قمة تقوم على قاعدة الإيمان والعمل الصالح، فإله سبحانه وصف المجاهدين، الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بصفات جليلة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ..﴾ إلى آخر الآية.

ومجمل هذه الصفات أن الجهاد في سبيل الله يشمل جهاد الأعداء، وجهاد النفس، وجهاد الشر والفساد، وبذلك ينطلق المجاهد من قيود التعلق بالدنيا والتناقل إلى الأرض، وينفر بأذلاً نفسه وماله في سبيل الله (١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة آية ٣٨).

وقال سبحانه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء آية ٧٤).

٢- الجهاد تمحيص للنفس وتدريب لها على الصبر والفداء: إن حكمة الله سبحانه اقتضت أن تتعرض النفوس للتمحيص ليظهر ثباتها ويستقيم حالها، ولا شك أن أكبر ميدان لهذا التمحيص هو ميدان الجهاد.

قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٥٧٦، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٧١٤.

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ* وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾
(آل عمران آية ١٤٠-١٤٣).

فالشدائد والمحن تربي النفوس كما تكشف عن معادنها وتظهر درجة ثباتها، ولذلك كان ميدان الجهاد المقياس الحقيقي الذي يعرف به المؤمن درجة التزكية التي ارتقت إليها نفسه، فإن لاحظ فتوراً أو إجحاماً عن البذل والفداء، وصدته نفسه عن كل جهاد يخدم به دينه فهو في بداية الطريق، ولا بد له من ترويض النفس ومجاهدتها وتدريبها على الصبر والثبات، وتقوية إيمانها بالله واليوم الآخر، وإن لمس فيها همة وقوة، فهذا مؤشر على ترقى النفس في مقامات التزكية، فالشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس، وطبائع الغبش فيها والصفاء، عندئذ يتميز الصف، وتتكشف في دنيا الناس دخائل نفوسهم، وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك، فإن حقيقة النفس تظهر في الشدة لا في الرخاء، ولذلك كان الجهاد هو المحك الذي يكشف عن معدن النفس ليسارع صاحبها إلى تدارك ما فيها من نقص، فينبغي للمسلم أن يشد أزر نفسه ويقويها لتكون أهلاً لتحمل أعباء الجهاد (١).

٣- الجهاد عزة للنفس وقوة لها: الجهاد أعظم وسيلة لتنمية العزة في نفس المسلم، وتقوية كيانهما وتطهيرها من الذلة والمهانة، وكان الخمول وغيره من الصفات المهلكة للفرد والمجتمع، ولقد بين سبحانه أن المؤمن عزيز الجانب لأنه يستمد العزة من إيمانه بربه وتمسكه بدينه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون آية ٨)، وعزتهم بكون الرسول ٣ فيهم وبتأييد الله رسوله ٣ وأوليائه لأن عزة الله هي العزة الحق المطلقة، وعزة غيره ناقصة، فلا جرم أن أولياء الله هم الذين لا يقهرون إذا أراد الله نصرهم، فإذا تخلى المسلم عن الجهاد، وشغل بالدنيا عن الآخرة تعودت نفسه الذلة والهوان والاستكانة والخنوع (٢).

وبهذا يتضح أن الجهاد، وإن كان شاقاً على النفس، إلا أنه وسيلة عظيمة لصلاحها وتزكيتها، ومن جاهد إنما يعود نفع ذلك على نفسه، والله غني عن عمله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت آية ٦). أي: "أن ما يلاقيه من المشاق لفائدة نفسه ليتأتى له الثبات على الإيمان الذي به ينجو من العذاب في الآخرة" (٣).

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٤٨١.

(2) انظر: التحرير والتلوين، ج ٢٨، ص ٢٤٩.

(3) المرجع السابق، ج ٢٠، ص ٢١٠.

المطلب الثالث

محاسبة النفس

المحاسبة والمراقبة قريبة من التوبة، والمحاسبة في معناها الظاهر أن يُعِين الفرد في كل يوم وليلة وقتاً يحاسب فيه نفسه بموازنة طاعاته ومعاصيه، ليعاتب نفسه ويقهرها إذا وجدها في هذا اليوم والليلة مقصرة في طاعة واجبة، أو مرتكبة لمعصية، ويشكر الله تعالى لو أتت بجميع الواجبات ولم يصدر منها معصية، ويزيد الشكر لو صدر منها شيء من الخيرات والطاعات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشرية: ١٨) ومعنى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾، هو أمر بالمحاسبة للنفس على ما قدمت لغيرها المنتظر، ومحاسبة النفس - التي يحفزنا إليها القرآن الكريم - تقوم على إيضاح الخبيث من الطيب، وتعرف صاحبها بريئها أو صدق أفعالها، وترشد النفس إلى ترك أمراضها، والمؤمن دائماً يبحث عن ذاته ويحاسبها، ويضعها دائماً موضع الاتهام عندما تتظاهر بالتقوى، وهو دائم الذكر لله تعالى لا ييأس من رحمته، أو يستسلم لأهوائه أو يقنط، فينقطع عنه الرجاء من الله.

ومحاسبة النفس من أبرز الوسائل التي ينبغي على العبد أن يداوم عليها ليترقى في مقامات التزكية، فعليه أن يحاسب نفسه، وينظر في أعماله، فما وجد من خير حمد الله عليه وعزم على المزيد منه، وما وجد من سوء ندم عليه وسارع إلى التوبة منه توبة صادقة^(١).

فمحاسبة النفس تعني النظر والتأمل فيما عمل المسلم من أعماله، وما قدم من خير أو شر، مع النظر في النية والقصد، وبهذا تشمل المحاسبة الماضي والحاضر والمستقبل، وإن كانت في ظاهرها لا تشمل إلا الماضي والحاضر فقط، فلا بد لكل مسلم أن يكون له مواقف مع نفسه يحاسبها، ويعاتبها ليأمن شرها ويتحكم في قيادها، وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف الصالح للتأكيد على محاسبة النفس وبيان أهميتها وآثارها النافعة في التزكية، والأصل في محاسبة النفس قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشرية: ١٨).

- يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - "وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم القيامة من الأعمال: أهي من الصالحات التي تتجيه أم من السيئات التي توبقه؟

(1) انظر: نحو علم نفس إسلامي، ص ٢٧٢-٢٧٣.

قال قتادة: ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد، والمقصود أن صلاح القلب بمحاسبة النفس، وفساده بإهمالها والاسترسال معها " (١) .

ويقول سيد قطب - رحمه الله - تعالى: "والتقوى حالة في القلب يشير إليها اللفظ بظلاله، ولكن العبارة لا تبلغ تصوير حقيقتها، حالة تجعل القلب يقظاً حساساً شاعراً بالله في كل حالة، خائفاً متحرجاً مستحيياً أن يطلع عليه الله في حالة يكرهها، وعين الله على كل قلب في كل لحظة، فمتى يأمن أن لا يراه؟! "

(وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)، وهو تعبير كذلك ذو ظلال وإيحاءات أوسع من ألفاظه، ومجرد خطوره على القلب يفتح أمامه صفحة أعماله، بل صفحة حياته، ويمد ببصره في سطورها كلها يتأملها، وينظر رصيده حسابيه بمفرداته وتفصيلاته؛ لينظر ماذا قدم لغيره في هذه الصفحة، وهذا التأمل كفيل بأن يوظفه إلى مواضع ضعف، ومواضع نقص، ومواضع تقصير، مهما يكن قد أسلف من خير، وبذل من جهد، فكيف إذا كان رصيده من الخير قليلاً، ونصيبه من البر ضئيلاً؟ إنها لمسة لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكف عن النظر والتقليب! ولا تنتهي الآية التي تثير كل هذه المشاعر حتى تلح على القلوب المؤمنة بمزيد من الإيقاع:

(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)، فتزيد هذه القلوب حساسية ورهبة واستحياء، والله خبير بما تعملون " (٢) ويقول الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾ أي: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية" (٣) ويقول السعدي: "وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدتها، فإن رأى زللاً تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة" (٤) .

قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِبَيْتٍ مِّنَ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة آية ١-٢) .

(1) إغاثة اللهفان، ج ١ ص ١٠١ .

(2) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٥٣١ .

(3) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٩٧ .

(4) تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٤٩ .

قال مجاهد: اللوامة هي التي تندم على ما فات وتلوم نفسها.

وقد أقسم الله بها وذكرها مع يوم القيامة دلالة على شرفها ومنزلتها وبياناً لضرورة المحاسبة وأهميتها، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ "لا تلقى المؤمن إلا وهو يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه" (١).

وقال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ (القيامة آية ١٤-١٥) أي: شاهد ومحاسب، ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ فإنها معاذير لا تقبل، فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئاً، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره، وجميع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعبابه قد ذهب وقته وزال نفعه، فالإنسان بصير بعيوب نفسه، ولو تظاهر بالأعدار وجادل عن نفسه فلن ينفعه ذلك يوم القيامة وهذه إشارة إلى ضرورة الرجوع إلى النفس ومحاسبتها وكشف عيوبها قبل فوات الأوان (٢).

وكان عمر بن الخطاب **ؓ** قال كلاماً مشهوراً قد حذر من الإهمال في محاسبة النفس، لأنه يقود إلى الهلاك يوم القيامة، فقال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) (٣).

- ويروى عن ميمون بن مهران (٤) قال: "لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك" (٥).

- وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف آية ٢٨) "أضاع نفسه وغبن، مع ذلك تراه حافظاً لماله مضيعاً لدينه" (٦).

(1) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٦٥٢.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٩٨.

(3) انظر: إغاثة اللهفان، ج ١، ص ٩٤.

(4) ميمون بن مهران، الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزائري الرقي، أعتقته امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الرقة، وحدث عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وعدد كثير، وأرسل عن عمر والزبير، قيل: إن مولده عام موت علي **ؓ** سنة أربعين، وثقة جماعة. انظر: سير أعلام النبلاء ج ٥، ص ٧١.

(5) المرجع السابق، ج ١، ص ٩٤.

(6) نفس المرجع، ج ١، ص ٩٥.

- ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - "وقد مثلت النفس مع صاحبها بالشريك؛ فكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح إلا بالمشاركة على ما يفعل، والإشراف عليه ومراقبته ثانياً، ثم بحاسبته ثالثاً، ثم يمنعه من الخيانة إن اطلع عليه رابعاً؛ فكذلك النفس: يشارطها أولاً على حفظ الجوارح السبعة - وهي العين، والأذن، واللسان، والفم والفرج واليد والرجل - هي مراكب العطب والنجاة؛ فمنها عطب من إهمالها وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعاتها، فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور آية ٣٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الاسراء آية ٣٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الاسراء آية ٣٦) وقال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الاسراء آية ٥٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظَرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر آية ١٨).

فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح انتقل منها إلى مطالعتها، والإشراف عليها ومراقبتها، فلا يهملها؛ فإنه إن أهملها لحظة رتعت في الخيانة ولا بد، فإن تمادى على الإهمال تمادت في الخيانة حتى تذهب رأس المال كله، فمتى أحس بالنقصان انتقل إلى المحاسبة؛ فحينئذ يتبين له حقيقة الربح والخسران، فإذا أحس بالخسران وتيقنه استدرك منها ما يستدركه الشريك من شريكه من الرجوع عليها بما مضى، والقيام بالحفظ والمراقبة في مراقبته ومحاسبته، وليحذر من إهماله" (١).

وهذا القول يدل على أن المؤمن لا يستغني عن المحاسبة بحال من الأحوال، وعليه أن يحاسب نفسه وهو خائف حزين، منكسر القلب على ما فرط في جنب الله تعالى في الدنيا، خوفاً من قولها يوم القيامة، وذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر آية ٥٦).

(1) إغاثة اللفهان، ج ١، ص ٩٦-٩٧.

ومما يعين على هذه المحاسبة والمراقبة أمور منها:

١ - المداومة المستمرة في محاسبة النفس:

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- : " إنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً." (١) "فإن حاسبوا أنفسهم اليوم أصبح الحساب غداً يسيراً، والحساب اليسير صاحبه ناج، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق آية ٧- ٩) أما قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ (الطلاق آية ٨) فهذا الحساب الشديد نتيجة عدم المحاسبة الآن" (٢) .

٢ - استشعار المراقبة الدائمة لله عز وجل للعبد:

واستشعار هذه المراقبة الربانية كفيلاً أن يوقظ المسلم من غفلته ويجعله في خشية دائمة من سوء أعماله ويقوي إرادته على محاسبة نفسه ومجاهدتها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تَوْسُوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق آية ١٦-١٨).

وقال عز وجل: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (الحديد آية ٤). وقال عز وجل: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر آية ١٩).

وقد عرف الإمام ابن القيم (المراقبة) فقال: "المراقبة دوام علم العبد، وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه...، والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات، فكيف بحال المريدين؟ فكيف بحال العارفين؟" (٣) .

ويقول السعدي (٤) -رحمه الله تعالى- : "وإذا علموا أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد." (٥)

(1) إغاثة اللهفان، ج ١، ص ٩٦-٩٧.

(2) سلسلة أعمال القلوب، ص ٢٦٨.

(3) مدارج السالكين، ج ٢، ص ٦٤.

(4) السعدي، الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي من قبيلة تميم ولد في بلدة عنيزة في القسم، وتوفي بها عام ١٣٧٦هـ، انظر التيسير للسعدي، ص ١٢-١٥.

(5) تيسير الكريم الرحمن، ص ٩٤٩.

٣ - الإيمان بالحساب والسؤال يوم القيامة:

المحاسبة تنطلق من الإيمان باليوم الآخر، وأن الله تعالى سيحاسب العباد يوم القيامة، ويسألهم عما قدموا من خير أو شر، ويجد الإنسان أعماله وقد أحصيت عليه لا يغيب منها شيء ولو كان متقال ذرة، وقد حذرنا الله تعالى ذلك اليوم في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة آية ٢٨١) (١).

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "معرفة، إن ربح هذه التجارة، سكنى الفردوس، والنظر إلى وجه الرب سبحانه، وخسارتها دخول النار والحجاب عن الرب تعالى، فإذا تيقن هذا هان عليه الحساب اليوم؛ فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لاحظ لها، يمكن أن يشتري بها كنزاً من الكنوز، لا يتناهى نعيمه أبد الآباد؛ فإضاعة هذه الأنفاس أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه خسراناً عظيماً لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران آية ٣٠) (٢). واحذروا يوم تجد كل نفس عملها من الخير أو الشر حاضرًا أمامها، فتسرى بالأول وتتمنى للثاني أن يكون بعيداً عنها حتى لا تراه، خوفاً من العقاب، وهي مواجهة تأخذ المسالك على القلب البشري، وتحاصره برصيده من الخير والسوء. وتصور له نفسه وهو يواجه هذا الرصيد، ويود - ولكن لات حين مودة! - لو أن بينه وبين السوء الذي عمله أمداً بعيداً أو أن بينه وبين هذا اليوم كله أمداً بعيداً، بينما هو في مواجهته، أخذ بخناق، ولات حين خلاص، ولات حين فرار! (٣).

ومن الأشياء التي تعين على المحاسبة التفكير في أسئلة يوم القيامة، ليس سؤال المذنبين فقط، فإله تعالى قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ*عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر آية ٩٢-٩٣) قيل: "يسأل العباد سؤال توبيخ وتقريع عن خلتين يوم القيامة: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين" (٤).

(1) انظر: سلسلة أعمال القلوب، ص ٢٥٧.

(2) إغاثة اللفهان، ج ١، ص ٩٦-٩٧.

(3) انظر: في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٨٦.

(4) تفسير أبي السعود، ج ٤، ص ٣١٥.

وقال تعالى: ﴿فَنَسَأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَنَسَأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف آية ٦)، أي: أن حساب يوم القيامة دقيق وعادل، فيسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين، ويسأل المرسلين عما بلغوا (١).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب آية ٨)، فإذا سئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين؟ وسؤال الصادقين عن صدقهم تكريم لهم، وشهادة بأنهم أدوا ما عليهم (٢).
لذلك إذا أراد العبد أن يحاسب نفسه، فليتذكر هذه المشاهد وليتخذ العبرة منها حتى تقوى في نفسه الهمة على المحاسبة.

أنواع محاسبة النفس :

ومحاسبة النفس نوعان نوع قبل العمل ونوع بعد العمل:

أولاً: محاسبة النفس قبل العمل: "إن للنفس إرادة وعزيمة وهم، فمن أصدق أسماء الإنسان الحارث والهمام، لأن النفس تهم وتحث، فلها هم ولها عمل، فيبدأ بالمحاسبة على ما هم به وأراده، وما خطر بباله، فإذا المحاسبة تبدأ من مرحلة الخواطر، والإرادات، والعزائم، وهذه محاسبة قبل العمل" (٣).

ولذلك يقول الحسن البصري - رحمه الله تعالى - "رحم الله عبداً وقف عند همه يحاسب، فإن كان الله مضي وإن كان لغيره تأخر ولم يعمل العمل" (٤).

وهذا النوع مهم جدا في إيقاع الأعمال على الإخلاص، وبدون المحاسبة تقع هذه الأعمال بدون إخلاص، فيهلك الإنسان، فهو يعمل تحت قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ (الغاشية آية ٣-٤)، فما استفاد من العمل شيئاً مع أن ظاهره أعمال صالحة لكن ليست لله تعالى (٥).

ثانياً: محاسبة النفس بعد العمل: وهي على ثلاثة أنواع، أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، وحق الله تعالى ستة أمور، وهي الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول ٣ فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود

(1) انظر: جامع البيان، ج ١٤، ص ٦٧.

(2) انظر: تفسير أبي السعود، ج ٥، ص ٣٩٦.

(3) سلسلة أعمال القلوب، ص ٢٧٠.

(4) إغاثة اللفهان، ج ٢، ص ٩٨.

(5) انظر: سلسلة أعمال القلوب، ص ٢٧٠.

منة الله تعالى عليه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله، فيحاسب نفسه: هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد: لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً، أو أراد به الدنيا وعاجلها، فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر^(١).

كيف تتم المحاسبة:

الواجب على المؤمن أن يكون محاسباً لنفسه دائماً قبل أن يقول قولاً أو يفعل فعلاً، وبعد أن يقول أو يفعل، هذا هو الأصل في المحاسبة: أن تكون مصاحبة للمؤمن ما دام حياً، وهذا من علامات توفيق الله تعالى لعبده، فمحاسبة النفس هي عماد اليقظة قبل العمل وبعده، يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- : "وجماع ذلك أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض، فإذا تذكر فيها نقصاً تدارك، إما بقضاء أو بإصلاح، ثم يحاسبها على المناهي: فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، ثم يحاسب نفسه على الغفلة، فإن كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى، ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشت به رجلاه، أو بطشت به يده، أو سمعت أذناه : ماذا أردت بهذا؟ ولم فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته؟"^(٢).

وهكذا يتبين أن محاسبة النفس طريق الخلاص، ولا يحصل الصلاح إلا بها، عليها تدور السعادة، وبها تكون النجاة في الدنيا والآخرة، لذلك كانت محاسبة النفس جزءاً من تركية النفس وهذه المحاسبة دليل حياة هذه النفس، دليل أنها نفس يقظة، وليست نفساً نائمة، فهي نفس لوامة وليست نائمة، وإذا أهمل الإنسان نفسه ولم يحاسبها فقد ضيع نفسه؛ لأنه في هذه الحالة لم يحرص على خير يقوم به، ولم يمتنع من شر يفعل، فسيسير في ركاب الشيطان والعياذ بالله تعالى؛ لأن الشيطان سيوسوس له، ذلك قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (الناس آية ٤-٥) والذي يقف ضد هذه النفس هي النفس المحاسبة، النفس الحية التي تراقب صاحبها وتحاسبه وتؤنبه وتعاقبه قبل عقاب الله تعالى في الآخرة.

(1) انظر: إغاثة اللهفان، ج ١، ص ٩٨-٩٩ .

(2) المرجع السابق، ج ١، ص ٩٩ .

المبحث الثالث

التغيير من وحي القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : قاعدة القرآن الكريم في التغيير النفسي.

المطلب الثاني: كيفية التغيير.

المطلب الأول

قاعدة القرآن الكريم في التغيير النفسي

إن الله سبحانه سنناً في الآفاق والأنفس، من أدركها وأحسن التعامل معها وصل إلى مبتغاه، ومن تنكب طريقها وعاندها غلبته، ولذلك أمر الله تعالى عباده بالسير في الأرض للتدبر في سننه التي خلت ليأخذوا منها، ويتعرفوا عليها ويستخدموها في التغيير الإيجابي، ومن ذلك أمره بالسير في آفاق الأرض، ودراسة تاريخ الأمم وأسباب هلاكها وصعودها، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (آل عمران آية ١٣٧) ومن سنن الله تعالى في خلقه سنة التغيير، التي جعلها الله تعالى العقد الذي ينظم حركة الإنسان فرداً وجماعة، وقد بعث الله تعالى الأنبياء وأرسل الرسل من أجل تغيير حركة التاريخ الإنساني لتكون متوائمة مع سنن الله تعالى، المؤدية إلى خلافة الإنسان في الأرض، وعمارتها بالمعتقدات الصحيحة، والأفكار القويمية، والأعمال السديدة، فقال تعالى: ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء آية ٧٧) وهذه السنن لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد آية ١١) وهذه سنة وقاعدة اجتماعية سنها الله تعالى ليسير عليها الكون وتنتظم عليها أسس البنیان، أي أن الله تبارك وتعالى إذا أنعم على قوم بالأمن والعزة والرزق والتمكين في الأرض، فإنه -سبحانه وتعالى - لا يزيل نعمه عنهم، ولا يسلبهم إياها إلا إذا بدلوا أحوالهم، وكفروا بأنعم الله، ونقضوا عهده، وارتكبوا ما حرم عليهم، هذا عهد الله، ومن أوفى بعهده من الله؟ فإذا فعلوا ذلك لم يكن لهم عند الله عهد ولا ميثاق، فجرت عليهم سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل، فإذا بالأمن يتحول إلى خوف، والغنى يتبدل إلى فقر، والعزة تؤول إلى ذلة، والتمكين إلى هوان، وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم، وإنها لحقيقة تلقي على البشر تبعة ثقيلة؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرفهم؛ وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم (١).

ومن قواعد التغيير أيضاً في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال آية ٥٣) يخبر تعالى عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا

(١) انظر: في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٠٤٩.

بسبب ذنب ارتكبه، فهذه آلية التغيير في هذه الحياة الدنيا، يبدأ الإنسان بالتغيير، فيغير الله ما به (١).

والتغيير في اللغة يقع على وجهين أحدهما: تغيير صفة الشيء بدون تغيير ذاته، كما نقول: غيرت داري، أي إذا أخربتها، وعمرتها عمارة أخرى، فالذات موجودة إلا أنك غيرت الصفة.

والتغيير أيضاً له معنى آخر: وهو التغيير إلى بدل آخر - تغيير الذات - كما نقول غيرت غلامي، غيرت سيارتي ودابتي إذا أتيت بسيارة أخرى، أو بسلام آخر - تغيير الذات - فإذن التغيير المطلوب هو تغيير الصفة، وأما تغيير الذات فلا يمكن تغييرها (٢)، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار آية ٦-٧-٨) فالله تعالى هو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم فعده وركبه تركيباً قوياً معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، ثم جعله سوياً مستقيماً معتدلاً القائمة، منتصباً في أحسن الهيئات والأشكال، فلا يستطيع أن يغير ذاته، ولكن يستطيع تغيير صفاته، فإذا كانت صفات الإنسان التي يتصف بها صفات قبيحة، فإنه يستطيع أن يغير تلك الصفات القبيحة إلى صفات حسنة، والذي يبدأ التغيير هو الإنسان (٣).

والتغيير غير التطوير، فالتطوير يكون دائماً للأفضل، والتغيير إما أن يكون للأفضل، وإما للأسوأ، وهذا يشمل سنة التغيير من الفساد إلى الصلاح، ومن الصلاح إلى الفساد.

ويبين الله تعالى مزيد فضله ووعده، أنه لا عقاب من دون جريمة، فقال: إن الله لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية، فيزيلهما عنهم، وينتقم منهم إلا بتغيير ما بأنفسهم، بأن يكون منهم الظلم والمعاصي والفساد وارتكاب الشرور والآثام التي تهدم بنية المجتمع، وتدمر كيان الأمم، قال رسول الله ٣ : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب) (٤) وهذا مؤكد بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٤٧٢.

(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٤١٣.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠١٣.

(4) سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، ح رقم ٢١٦٨، ص ٤٩٠.

خَاصَّةً ﴿(الأنفال آية ٢٥)﴾^(١) هذا هو التغيير للأسوأ.

ولكن هناك التغيير للأحسن، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى :
"وكذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية، فانتقلوا إلى طاعة الله، غير الله عليهم
ما كانوا فيه من الشقاء إلى الخير والسرور والغبطة والرحمة"^(٢) .

هذه هي سنة الله في الخلق، لا يتغير حالهم للأحسن أو للأسوأ إلا بأنفسهم
وبإرادتهم، وبأعمالهم ومعتقداتهم.

من هنا كانت مسؤولية التغيير كبيرة، وهي مسؤولية جماعية ومسؤولية فردية،
فالفرد يبدأ بالتغيير للأسوأ، فإذا وافقه القوم، ولم يأخذوا على يديه، يعمهم الله بالعقاب، قال
الدكتور وهبة الزحيلي: "وواقع التاريخ الإسلامي في القرون الماضية يدل دلالة واضحة على
أن الله تعالى لم يغير ما كان عليه حال الأمة الإسلامية من عزة ومنعة، ورفاه واستقلال،
وعلم وتفوق في السياسة والاقتصاد والاجتماع، إلا بعد أن غيروا ما بأنفسهم، فحكموا بغير
القرآن، وأهملوا دينهم وتركوا سنة نبيهم ﷺ، وقلدوا غيرهم، وضعفت روابط التعاون بينهم
وساعت أخلاقهم، وانتشرت الموبقات بينهم، وقد وعد الله الأرض لمن يصلحها بقوله
تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
(الأنبياء آية ١٠٥)، أي الصالحون لعمارة الأرض وهم الذين قاموا بما أمروا به، واجتنبوا
ما نهوا عنه، وهم أمة محمد ﷺ" ^(٣) .

وآيات القرآن الكريم تحدثت كثيراً عن سنة التغيير في المجتمعات إما بشكل واضح
كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ
سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد آية ١١)، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران آية ١٤٠) أو بشكل ضمنى كقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَأْنٍ﴾ (الرحمن آية ٢٩).

وتحدث القرآن عن الأقوام السابقين وتبدل أحوالهم إلى الأسوأ بسبب كفرهم، وهذا
ما يُسمى بالتغيير السلبي كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا

(1) انظر: التفسير المنير، ج ١٣، ص ١٢٤.

(2) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٣٨.

(3) التفسير المنير: ج ١٣، ص ١٢٤.

كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل آية ١١٢) "فهذه البلدة لم يكن فيها زرع ولا شجر ولا رزق، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها رغداً من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقته، يدعوهم إلى الخير وإلى أفضل الأمور، وينهاهم عن أسوأ الأمور، فكذبوه، وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم." (١) وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة آية ١١٧).

وبهذا يتبين معنى التغيير الحاصل في النفس، المستوجب لتغيير النعمة:

- إنه تغيير من الإيمان إلى الجحود والنكران.

- ومن العمل الصالح إلى اكتساب الأيدي للخطايا.

فإذا حصل هذا التغيير ابتداء من الإنسان، ثم انتشر إلى الآخرين، حصل التغيير في

الجماعة والأمة.

وتحدث القرآن الكريم كذلك عن التغيير الإيجابي عندما ينجي المؤمنين والرسول ويورثهم الأرض، ويمكن لهم فيها بعد مراحل الضعف والخوف والفقر (٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور آية ٥٥) "هذا وعد من الله ﷻ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمة الناس والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة، فإنه لم يمض رسول الله ﷻ حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية - وهو المقوقس - وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة" (٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف آية ٩٦).

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٨١.

(2) انظر: منهج التغيير الإسلامي، نافذ سليمان الجعب، ص ٢.

(3) تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤٩٢.

فالشروط المذكورة في هذه النصوص للتغيير من حال النعمة إلى حال النعمة هي:
الإيمان والتقوى والعمل الصالح وعبادة الله وحده لا شريك له.

وبهذا يصلح الإنسان كله والجماعة والأمة، وتستحق وعد الله تعالى: بالاستخلاف،
والتمكن والأمن والبركات من السماء والأرض، وبهذه الأمور يتحقق: العدل والأمن والكفاية
والصلاح، فالنظام القرآني وسيلة لتغيير ما في النفس، ليس نفس الفرد الواحد فحسب، بل
الحاكم والجماعة والأمة؛ أي استصلاح للجميع، ليكونوا أختياراً، ليحصل تغير الأحوال من
النعمة إلى النعمة، وهذا التغير هو تغيير ما بالنفوس، فالحل القرآني نشاطه يبدأ من تغيير
النفس بالإصلاح والتركية، ليمتد بعده إلى كافة النشاطات، بما فيها السياسي.

فإنه لما كان هذا هو هدف القرآن، كانت الأمة الآخذة بهذا الطريق مرحومة في
نفسها، وفيما بينها، ينتشر فيها العدل والأمن والكفاية والصلاح، وهذا تاريخ الخلافة
الراشدة شاهد.

لكن لما كان هدف الأمة ليس إصلاح النفس، كانت الأمة في أمر مريج، من اللغط،
والخلاف والخط، وفيها من الفساد والظلم ما لا ينكره أحد؛ لأن الإصلاح لم يتجه إلى الجذر
والأصل، بل إلى الفرع.

فالمتبعون للحل القرآني، يقومون بما عليهم من التحقق بالشروط، وعنده ينتهي
دورهم، ثم يأتي دور الثواب الإلهي، ومنه تغيير الحال إلى النعمة والرحمة، فقد يأتي سريعاً،
وقد يتأخر لحكمة إلهية؛ امتحاناً أو لخلل في الشروط، كما في هزيمة أحد:

- ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾

(آل عمران آية ١٦٥) فهذا التأخر ليس إخلافاً، لكن إعلماً للأمة والجماعة المؤمنة: أن مهمتهم
تنتهي عند تحقيق الشروط، أما النتيجة فأمرها إلى الله تعالى، هو أعلم بوقتها، فربما تذهب
الجماعة والأمة لما تر الثمرة، فما على المسلمين إذن إلا تحقيق ما أمروا به، ثم يترك الباقي
عند الذي له الرحمة الواسعة، والحكمة البالغة.

والقرآن الكريم يؤمن بحتمية التغيير، ويميز بين تغيير إيجابي وتغيير
سلبي، ويعتبر أن كليهما يخضعان لسنن كونية تحكم مسيرة المجتمعات، وعلى الإنسانية
أن تكتشفها وتسخرها لصالحها، ولم يكتف برسم النظريات لكنه جعل من النظرية تطبيقاً
عملياً في أرض الواقع،^(١) وهذا سوف نتحدث عنه الباحثة في المطلب الثاني من
هذا المبحث.

(1) انظر: منهج التغيير الإسلامي، ص ٢٥.

فقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد آية ١١) هذه الآية تعكس قاعدة نفسية؛ لأنها تتعامل مع النفس، فالتغيير النفسي كما هو واضح في الآية يعتبر البداية، لكن مفتاح التغيير هو الوعي، فالوعي يغير من نمط التفكير وهذا ينعكس على السلوك لإحداث التغيير.

وهذه الآية الكريمة تشكل قاعدة عامة على صعيد المجتمع، مفادها - كما هو واضح - أن التغيير النفسي هو الأساس في حركة الأمة، أو إن التكوين الفكري والنفسي للإنسان هو الذي يمون التاريخ بالحركة ونوع هذه الحركة، وأن أي انقلاب اجتماعي أو تاريخي في حياة الأمم إنما يترتب على انقلاب فكري نفسي داخلي، ولا بد أن يحدث تغيير معنوي بتغيير الأفكار والمفاهيم والاتجاهات النفسية.

ويتبين من خلال ما سبق أن القاعدة الإلهية في تغيير الواقع وتحسين الظروف المادية، التي يعيشها الناس من رخاء وأمن وصحة وتمكين ونصر وغير ذلك، كلها لا تحدث إلا إذا أحسن الناس إيمانهم وإسلامهم وعبوديتهم لله عز وجل، ولهذا فإن التغيير النفسي الحقيقي هو الذي يتجه إلى تغيير تدين الناس، وتزكية أخلاقهم، وإحسان صلتهم بربهم، وهذا أولى الأولويات، وما يكون من اهتمام بتنمية حياة الناس المادية، فهو أمر مصاحب لتزكية النفوس وإصلاح القلوب، عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة آية ٢٠٠-٢٠٢).
وإنه لجدير بالدعاة إلى الله في هذا الزمان، وفي كل زمان أن يقفوا طويلاً عند هذه السنة؛ فهي الأساس المهم، والمنهج الصحيح للدعوة والتغيير، بل هي أم السنن الربانية في البناء والتغيير.

المطلب الثاني

كيفية التغيير

العناية بالفرد والأسرة من أهم وسائل تغيير المجتمع، ذلك أن الفرد والأسرة هما القاعدة الأولى، والعصب الأساسي في بناء المجتمع، فإذا صلح الفرد والأسرة، صلح المجتمع، وما المجتمع في الحقيقة إلا مجموعة من الأسر التي هي بدورها مجموعة من الأفراد.

إصلاح الفرد والأسرة وسيلة أساسية، ومرحلة ضرورية لإصلاح المجتمع لا يجوز إطلاقاً تجاوزها، أو الاستغناء عنها.

وإصلاح الفرد والأسرة غاية في ذاته ووسيلة إلى غيره، فهو غاية في ذاته؛ إذ إن مبادئ القرآن وتعاليمه وتكاليفه تهدف إلى إصلاح الفرد، وبالتالي إصلاح الأسرة، ثم تجعل من ذلك وسيلة لإصلاح المجتمع الذي يتكون من الفرد والأسرة.

أولاً تغيير الفرد:

الفرد هو اللبنة التي يتكون منها البناء الاجتماعي كله، فهو خلية في جسد المجتمع الكبير وسلامة الجسد منوطة بسلامة خلاياه، ولهذا اشتدت عناية القرآن بالفرد في كل مراحل حياته، ولم يبخل عليه بالتشريع والتوجيه، لأنه أساس الأسرة والمجتمع^(١).

فإذا صلح الأفراد صلحت الأسر، وإذا صلحت الأسر صلحت الجماعات والأمم.

"ومثل المجتمع البشري كمثل البنيان المرصوص، ومثل الأفراد فيه كمثل اللبنة للبنيان، فإذا كانت اللبنة قوية متينة وكانت المادة التي تربط بينها قوية الربط والإحكام، قام منها بناء قوي مكين، فالعمل الأول من البناء يجب أن يتجه إلى اللبنة وإعدادها." (٢)

وصلاح الفرد له أهميته القصوى في الإسلام، وله شأنه الكبير في صلاح المجتمع، والأمة القوية تتأثر بقيمة الفرد في المجتمع، ومن الخطأ البالغ إهمال هذا الفرد وعدم الاعتناء به. وهو تغيير مهم، لأن الفرد إن لم يتغير تغيراً حقيقياً داخلياً، سار مع الجماعة سير الغنمة مع القطيع، وأصبح عبئاً على القوم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة آية ٤٧)، أي لم يزيدوكم بخروجهم إلا فساداً وضرراً، ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، (يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ) أي هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم، فالفرد الفاسد يمثل عبئاً على الجماعة، ويحدث إرجافاً وشقاً للصفوف ويكون نواة لتجميع المرجفين والجاهلين والمفسدين والمحبطين، فيحدث تصدعاً في الجبهة الداخلية^(٣).

(1) انظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، محمد السيد يوسف، ص ٣٤١.

(2) الإيمان والحياة، ص ٢٠١.

(3) انظر، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٩٤.

فإذا أراد الفرد أن يكون صالحاً فليصلح نفسه، وإن أرادت مجموعة أن تكون
صالحة، فلتصلح نفسها، وإن أرادت أمة أن تكون سالحة قوية، فلتبدأ بالنفوس تصلحها،
يقول تعالى في ذلك: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس آية ٧-٨)، ثم
يرتب النتيجة فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس آية ٩-١٠).

ويقول - تعالى - في صلاح الأمة وفسادها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد آية ١١) ويؤكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا
عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأفان آية ٥٣) فصلاح النفوس هو
صلاح الأمة، وتغيير النفوس هو تغيير الأمة، لهذا جاء القرآن يقرر هذا المعنى (١).

ويتبين من ذلك أن حجر الزاوية في منهج التغيير "هو إصلاح النفس، وهو الأداة،
وعلى هذه القاعدة جاء القرآن الكريم، فعني بالنفس الإنسانية، يصلحها ويحببها في الحق
والعدل والجمال، ويبغض إليها القبح والشر والباطل، حتى تكون نفساً فاضلة خيرة" (٢).

"لهذا كان كل بناء أو إصلاح أو تغيير اجتماعي، لا يقوم على إصلاح الأنفس وإيقاظ
الضمائر، وتربية الأخلاق، أشبه ببناء على كثران من الرمال" (٣).

"وكما أن العضو الواحد في الجسم إذا فسد كان الجسم كله عرضة للتلف وهدفاً
للهلاك، فكذلك الأفراد في المجتمعات.

وقد وضع القرآن لإصلاح الفرد ركيزتين مهمتين هما: العقيدة والعبادة.

للعقيدة القوية المتينة دور كبير في إصلاح الفرد وتزكيته، والعقيدة الصحيحة هي
الأساس الذي وضعه القرآن لتكوين الفرد المسلم، وهي القوة الدافعة للحياة، ومنها يستمد
المسلم طاقته، وبها يحدد طريقه وغايته" (٤).

فلقد نزل القرآن الكريم لتغيير أفكار الناس واتجاهاتهم وسلوكهم، ولهدايتهم، وتغيير
ما بهم من ضلالة وجهل، وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم، ومدهم بأفكار جديدة عن
طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة، وبقيم وأخلاق جديدة، ومثل عليا للحياة، يقول سيد قطب
رحمه الله تعالى: "إن انحراف العقيدة وفسادها ينشئ آثاره في حياة الجماعة الواقعية،

(1) انظر: حديث الثلاثاء، الإمام حسن البناء، ٣٣١.

(2) المرجع السابق، ص ٤٠٢.

(3) الإيمان والحياة، ص ٢٠٢.

(4) منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ص ٣٤١.

ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والشعائر التعبدية، وتصحيح العقيدة ينشئ آثاره الطيبة في صحة المشاعر وسلامتها، وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها" (١).

وقد نجح القرآن نجاحاً عظيماً في التأثير في شخصيات الناس، وفي تغييرها تغييراً كبيراً كانت له نتائج بعيدة الأثر في وضع أسس جديدة لنظام حياة الإنسان الشخصية، ولنظام العلاقات الإنسانية سواء في داخل الأسرة، أو في المجتمع عامة، نجح القرآن نجاحاً لا نظير له في جميع عصور التاريخ في إحداث تغييرات عظيمة الأثر في شخصيات المسلمين وفي المجتمع الإسلامي، فقد نجح القرآن - في فترة وجيزة من الزمن - في تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة المتزنة الآمنة مطمئنة التي استطاعت بطاقتها الجبارة، التي تولدت عن هذا التغيير الذي حدث فيها، أن تهز العالم وتغير مجرى التاريخ، فكيف استطاع القرآن أن يعالج نفوس العرب؟ وأن يغير شخصياتهم؟

* طريقة القرآن الكريم في إصلاح نفوس الأفراد:

تعتمد طريقة القرآن في إصلاح نفوس الأفراد على أمرين وهما:

١ - الإيمان بعقيدة التوحيد:

فأول شيء أراد القرآن أن يغيره في نفوس العرب هو العقيدة؛ ولذلك فإن آيات القرآن التي نزلت بمكة في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية كانت تهدف أساساً إلى تأكيد عقيدة التوحيد، وكان أسلوب القرآن الفائق في بلاغته بما لم يعهد العرب بمثله من قبل، واستدلالاته العقلية المقنعة فيما يعرض من القضايا والأحكام، وما جاء فيه من قصص وأمثال توضح المعاني، وتبسطها وتقربها إلى الأذهان، وتثير في المستمعين الاهتمام والانتباه وما استخدمه القرآن من أساليب الترغيب والترهيب لإثارة الدافع إلى التعلم، وتكرار بعض المعاني لتأكيدھا في الأذهان، كل ذلك كان له أكبر الأثر في تقبل الناس للدين الجديد، وفي إيمانهم بعقيدة التوحيد وقد كان الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في إحداث تغيير كبير في الشخصية فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، ويملاً قلبه بالحب لله تعالى وللرسول ﷺ وللناس من حوله، وللإنسانية عامة (٢).

فإن الأمم لا تنهض من كبوة، ولا تقوى من ضعف، ولا ترتقي من هبوط، إلا عند تربية أصيلة حقه أو بعد تغيير نفسي عميق الجذور، يحول الجمود فيها إلى حركة، والغفوة إلى صحوة، والموت إلى حياة، تغيير في عالم النفس، تغيير نفسي لا بد أن يصاحب كل

(1) في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٢٣.

(2) انظر: القرآن وعلم النفس، ص٢٥٢ - ٢٥٤.

حركة أو نهضة أو ثورة سياسية أو اجتماعية ومن غيره تكون النهضة أو الثورة كلاماً أجوف يتبدد في الهواء، سنة قائمة من سنن الله تعالى في الكون، قررها القرآن الكريم في عبارة وجيزة بليغة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد آية ١١)، ولكن هذا التغيير أمر ليس بالهين اليسير، إنه عبء ثقيل تتوء به الكواهل، فإن الإنسان مخلوق مركب معقد، ومن أصعب الصعب تغيير نفسه أو قلبه أو فكره، فصنع هذا الإنسان أمر عسير غير يسير.

ولكن الإيمان كان له الأثر الكبير الذي لا يُنكر في تغيير النفوس تغييراً تاماً، وينشئها خلقاً آخر، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، وهي منثورة على مدى التاريخ وفيها الدلالة الأكيدة على أن الإيمان مفتاح القلوب، وعلاج الأرواح، ومن النماذج على ذلك سحرة فرعون كيف غيرت شخصياتهم هذا التغيير، وكيف تحولت نفوسهم هذا التحول، لقد كانت همتهم مشدودة إلى المال، ويصور القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَاجِرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الشعراء آية ٤١)، وكانت آمالهم متعلقة بفرعون قال تعالى: ﴿فَأَقْوَا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (الشعراء آية ٤٤) كان هذا منطقهم قبل أن يؤمنوا، فلما ذاقوا حلاوة الإيمان، واطمأنت نفوسهم وانشرفت به صدورهم كان جوابهم لفرعون بعد أن بالغ في تهديدهم ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه آية ٧٢) ويعلق ابن عباس - رضي الله عنهما - على هذا الموقف العجيب، والتحول المذهل من سحرة فرعون، فيقول "أصبحوا سحرة، وأضحوا مؤمنين، وأمسوا شهداء" ^(١) لقد تغير الاتجاه، تغير المنطق، تغير السلوك، تغيرت الألفاظ، أصبح القوم غير القوم، وما ذلك إلا من صنع الإيمان.

لقد حار المؤرخون من الغربيين والمستغربين في فهم السر العجيب الذي حول هذه الأمة من رعاة غنم إلى رعاة أمم، ومن قبائل بدواة إلى أمة حضارة، وهياً لها سبيل النصر على كسرى وقيصر، وفتح لها باب السيادة على معظم الدنيا القديمة في عشرات من السنين لا عشرات من القرون.

ولكن العارفين لا يدهشون ولا يحارون، فالسر معروف، والسبب معلوم، فإن مرده هو الإيمان الذي صبه محمد ﷺ في نفوس أصحابه، فنقلهم من حال إلى حال، من وثنية إلى توحيد، ومن جاهلية إلى إسلام، فالعقيدة الإسلامية هي الدافع الذي لا يشبهه دافع آخر في تسيير دفة الحياة البشرية، ولكنها لا تدفع إلا من يعتنقها ويقبل عليها ويعزم على تطبيقها

(1) الدر المنثور، ج ٣، ص ٥١٥.

في واقع حياته (١) .

٢ - العبادة:

وقد تحدثت الباحثة عن تأثيرها في تهذيب النفس وبالتالي إمكانية تأثيرها في تغيير الإنسان إلى الأفضل (٢) .

وهكذا ترى قدرة القرآن الكريم في اتخاذ أقوى الوسائل لتزكية الفرد وتغييره، من خلال التمسك بالعقيدة، والعبادة، اللتين يبلغ الفرد المسلم بهما قمة الهداية والرشاد، ليصبح فرداً صالحاً، وعضواً فاعلاً لأهله ولأمته، وبذلك يصنع القرآن اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، ويخطو الخطوة الأولى التي لا بد منها لبناء مجتمع سليم على أساس متين.

وبهذا يتضح الطريق الأمثل للتغيير، إنه طريق واحد يتوجب على الأمة الإسلامية أن تسلكه، إنه طريق الإيمان.

ثانياً : تغيير الأسرة:

عني المنهج القرآني بالحديث عن الأسرة عناية بالغة؛ إذ إنها أخطر وحدة اجتماعية في بناء الأمة، وأهم لبنة في بناء المجتمع المسلم.

"والأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتتطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة، وتفسر الحياة، وتتعامل مع الحياة" (٣) .

"لذلك عمل الإسلام جاهداً على أن تكون البيئة التي ينشأ فيها الفرد بيئة تقيّة نقيّة تصان فيها الحقوق، وتتحقق فيها الفضائل.

ولقد كان وضع الأسرة قبل الإسلام وضعاً مشيناً، لا قيمة فيه للمرأة، ولا مكانة فيه للوالدين، ولا عناية فيه بالأبناء، وليس هناك إلا القهر والاستبداد من جانب الرجل.

فجاء الإسلام بمبادئه السامية، وتوجيهاته الراشدة، فانتشل الأسرة من حضيض العدم، وارتفع بها إلى القمة السامقة، وأعطى لكل ذي حق حقه، ووضع الأسرة في مكانتها التي تليق بها في الحياة.

(1) انظر: الإيمان والحياة، ص ٣١٢ وما بعدها.

(2) انظر: ص ١٨٢ من هذه الرسالة.

(3) في ظلال القرآن، ج ١، ص ٢٣٥.

وقد عاشت الأسرة الإسلامية قوية سعيدة هائلة مستقرة حينما ترسخت مبادئ الإسلام، ووضعته من نفوسها موضع التقدير، ومن سلوكها موضع التنفيذ، ونشأت في كنفها أجيال من الرجال في كل الميادين، وكانت تلك المبادئ تقوم في نفوس المؤمنين بها مقام القانون، فكان الأب يعرف مكانه من ابنه، وكان الابن يعرف حدوده من أبيه، وكانت الزوجة تعترف بقوامة الرجل، وكان الرجل يؤدي حقوق المرأة، وكانت تسود الأسر والبيوت روح المحبة والسعادة" (١).

وتم ذلك من خلال العلاقة السليمة بين الزوجين، ومن ثم رعاية الأبناء رعاية قائمة على منهج الله تعالى ثم بر الوالدين.

وقد عني القرآن الكريم بالعلاقة الزوجية عناية بالغة فهي عصب الأسرة التي يترتب عليها نجاح الحياة الزوجية والأسرية أو فشلها.

وقد صور القرآن الكريم العلاقة الزوجية تصويراً يشع منه العطف، ويفوح منه العبير، ويشيع فيه الندى، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم آية ٢١)، أي "من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة، وهي المحبة، ورحمة، وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتة لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك." (٢)

ولأهمية الزواج البالغة وضرورته الملحة لإقامة الحياة السعيدة، فإن القرآن حث عليه ورغب فيه، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور آية ٣٢).

وقال ٣ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (٣).

وأوجب الله سبحانه المعاشرة بالمعروف، وبين أنها من أهم حقوق المرأة على الرجل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا

(1) منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ص ٣٥١-٣٥٢.

(2) تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٦٨٢.

(3) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنه، ح

رقم ٣٢٨٨، ص ٦٥١.

وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿النساء آية ١٩﴾ " فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال" (١).

وأوجب أيضاً التسريح بالإحسان إذا فشلت الحياة الزوجية، ووصلت إلى طريق مسدود، ففي هذه الحالة يلجأ إلى الدواء المر الذي لا مفر منه حفاظاً على الأسرة من أذى قد يطول ويتضاعف، وذلك قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا...﴾ (البقرة آية ٢٢٩)، أي الإمساك بالرجعة وحسن المعاشرة، أو إطلاق مصاحب له من جبر خاطر وأداء الحقوق" (٢).

" وقد عمل القرآن جاهداً على أن يسود المعروف والجميل والحسنى جو الحياة الأسرية، سواء اتصلت بحالها، أو انفصلت عراها" (٣).

وقد عنى القرآن الكريم برعاية الأبناء، وطالب الوالدين بالمحافظة عليهم، وتربيتهم التربية السليمة القائمة على منهج القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم آية ٦) " ووقاية النفس عن النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، ووقاية الأهل بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب" (٤).

وأمرهم الله تعالى بحسن تربيتهم، وذلك بغرس العقيدة في نفوسهم، وتدريبهم على العبادات والأخلاق الكريمة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه آية ١٣٢).

"فالأبناء قطعة من الآباء والأمهات، فلا يضحى أحدهم بجزء منه، ويدعه يذهب إلى النار، وأنه آية على أدبه وخلقه، فلا يجعل هذه الآية سيئة المنظر والمخبر ذكر بعد موته، فلا يترك بعد موته إلا أحسن وأفضل الذكريات، وأنه إن صلح كان رحمة له، وخيراً وبركة

(1) تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٠.

(2) روح المعاني، ج ٢، ص ٢٠٤.

(3) في ظلال القرآن، ج ١، ص ٢٥٠.

(4) روح المعاني، ج ٢٨، ص ٢٣٢.

عليه وسعادة في الدنيا والآخرة^(١) يقول الرسول ٣ : (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(٢) .

"ومن أهم الحقوق التي عني بها القرآن حقوق الوالدين، وبرهما، وحسن الصلة بهما، لأن الوالدين نواة الأسرة، والأسرة نواة المجتمع، ومن المجتمعات تتكون الأمة بأسرها، فإذا كانت الأسرة قوية، تتراحم فيما بينها وتتعاطف، كان المجتمع قوياً، متمسكاً، متراحماً، وإذا تفككت الأسرة ودب بينها النزاع والخلاف، واستحكمت العداوة والبغضاء، وجدت آثاره بوضوح في المجتمع ككل، ولذلك عني القرآن بالوالدين وحقوقهما، وبين قدرهما " (٣) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء آية ٢٣-٢٤) .

والمتتبع لكتاب الله تعالى يجد أن الله تعالى قرن - في كثير من الآيات - الأمر بعبادته بالإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء آية ٣٦) .

ويجد كذلك أن الله تعالى حينما طلب من عبده أن يشكره على نعمه، وفضله وإحسانه، لم يطلب الشكر لذاته فقط، بل قرنه بالشكر للوالدين، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان آية ١٤) .

وبهذا كان القرآن الكريم وما يزال يرتفع في سموه، ومبادئه بالوالدين لدرجة أن جعل البر بالوالدين عبادة يتقرب العبد بها إلى ربه، ولا يكون العبد ناجياً يوم القيامة إلا إذا كان باراً بهما طائعاً لهما في دنياه^(٤) .

وهكذا ترى حرص القرآن الكريم الشديد، وعنايته البالغة بتغيير وإصلاح الفرد والأسرة، وصولاً بذلك إلى تغيير وإصلاح المجتمع.

(1) طريق النجاة، محمد عبد الفتاح عفيفي، ص ٢١٦ .

(2) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح رقم ٤١١٤، ص ٨٠٧ .

(3) طريق النجاة، ص ٢٠٢ .

(4) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٣ .

ثالثاً : تغيير المجتمع:

ومع التغيير الفردي يتم التغيير الجماعي حتى تتجمع الأمة حول مشروعها القومي وأهدافها العليا، وتدفع قاطرة التطوير والتغيير الإيجابي للأمام بقوة جماعية، هذه هي فلسفة التغيير في القرآن.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد آية ١١) ما يدل على أن هذه السنة اجتماعية لا سنة فردية، بمعنى أن كلمة (قوم) تعني الجمع أو الجماعة التي يطلق عليها "أمة" أو "مجتمع"، ولا تعني فرداً معيناً، بدليل أن الله تعالى لم يقل (إن الله لا يغير ما بإنسان) ، ولا ما يدل على شخص فرد، سواء كان رجلاً أو امرأة، مؤمناً أو كافراً، وإنما الحديث عن مجتمع، عن قوم، بكل خصائصه ومميزاته، بكل محتويات القوم أو المجتمع المعين أو الأمة، فهناك أمور في المجتمع لا بد من تغييرها، حتى ينال الفرد نصيبه من هذا التغيير (١).

والتغيير الذي ينشده كل مؤمن تغيير علمي، وتقني تعليمي تربوي أخلاقي، وفق منهاج الله، وبضوابط شرع الله، وهذا ما فعله المصطفى ﷺ مع صحابته، وما فعله صحابته بعد وفاته ﷺ حيث حاربوا المرتدين ونشروا الدين وعمروا الكون بنواميس الله في الخلق وفق منهاج الله فأسسوا حضارة علمية خلقية يتيه بها الزمان، والمكان ويسعد بها الإنسان، وعندما تغير المسلمون وفق منهاج أعداء الله من الأوروبيين المستعمرين غير الله عليهم وأصبحوا في ذيل العالم، وانتقلوا من القاطرة الأمامية إلى السيارات الخلفية المعدة للنفايات والحيوانات، ونقل المهملات.

ويتبين مما سبق أن تغيير المجتمع لا يكون إلا بتغيير الفرد والأسرة، والله سبحانه سيغير ما بالقوم حتماً إن هم غيروا ما بأنفسهم، سنة الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر آية ٤٣).

وما أحوج المسلمين اليوم إلى الرجوع لمنهج القرآن الكريم في تغيير الفرد والأسرة والمجتمع، لا سيما بعد أن أعلنت المناهج البشرية إفلاسها، وأثبتت فشلها في إسعاد الفرد أو بناء الأسرة أو تغيير المجتمع إلى الأفضل، فالمسلمون إذن عليهم واجب فردي، وواجب جماعي أن يسعوا للوصول إلى القاطرة الأمامية وقيادة العالم، كما قادوه قروناً عدة وفق منهاج الله، وبنواميس الله في الخلق.

(1) انظر: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص ٣٨.

هذه بعض الوسائل والطرق التي دل عليها كتاب الله تعالى في آياته الكريمة لتغيير الفرد والمجتمع، فيوم أن تأخذ الأمة بها، بصدق وإخلاص، وجد واجتهاد، وتصحو من غفوتها، التي طال عليها الزمن مع حسن التوكل على الله تعالى، فإن تغيير المجتمع يومئذ سيكون قريباً، والنصر قريباً بإذنه تعالى.

الخاتمة

الحمد لله الذي مكنتني من إتمام هذا البحث رغم الأوضاع الصعبة التي مر بها قطاعنا الحبيب، ولقد كنت في أثناء إعداد هذا البحث أشعر دائماً بتوفيق الله سبحانه وتعالى، فأتوجه بالشكر له سبحانه أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع، فمن يتوكل على الله فهو حسبه وكافيه وناصره، وأسأل الله سبحانه القبول، وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم .
وبعد فهذه أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي خلُصت إليها:

أولاً : النتائج :

١- جاء ذكر النفس في القرآن الكريم مائتين وبضع وتسعين مرة في ثلاث وستين سورة في القرآن الكريم .

٢- ورد ذكر النفس في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وتعددت معانيها بحسب سياق الآيات الكريمة الواردة فيها، إلا أن لهذه الكلمة في القرآن معنيين رئيسيين تنفرع عنهما سائر المعاني الأخرى .

المعنى الأول : بمعنى الإنسان جوانبه العقلية والنفسية والجسمية والروحية وهو الذي يقابل في القرآن الكريم (الآفاق) .

المعنى الثاني : النفس بمعنى الروح التي تسكن هذا الجسم وتوجهه، فإذا فارقتة حل بها الموت.

٣- الصحة النفسية أمنية غالية ينشدها جميع الناس أغنياء وفقراء ، رجالاً ونساءً ، فمن شعر بها فهو في عيشة راضية، ومن فقدتها أو انحرف عنها فهو في عيشة ضنكى؛ لأن الشعور بالصحة النفسية يعني السعادة، والشعور بعدمها يعني التعاسة .

٤- تربية النفس وتهذيبها يؤدي إلى ترقى النفس من درجة إلى درجة، ومن منزلة إلى أخرى إلى أن يصل لدرجة يحبها الله تعالى ويرضى عنها .

٥- تشمل كل آية قرآنية تربية نفسية وروحية وعقلية وتطبيقية وتمرينية وتعويدية حريّة أن تعود الإنسان على أن يُمرن حواسه على الملاحظة والمشاهدة لما في الكون من مفاتن ومباهج كلها للإنسان منافع .

٦- الأمراض النفسية مثل غيرها من الأمراض ولا شك، وهي نوع من الهم والابتلاء، والإيمان بالله تعالى إذا ثبت في نفس الإنسان فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة

بالأمراض النفسية، وقد بين القرآن ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن في قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد آية ٢٨) .

٧- إن صلة الإنسان بربه وتربيته على أساس من العقيدة السليمة واليقين الراسخ هي أهم جوانب التربية الروحية وأشدها خطراً وأعمقها أثراً في تكوين شخصية الإنسان المؤمن وهي أعظم قوة دافعة للعمل بما أمر الله به، والابتعاد عما نهى عنه، وهي أكبر قوة تصنع الخير في حياة المسلم وتطهر قلبه، وتسمو به إلى معارج الكمال، وتشعره أن الدنيا دار انتقال من حياة قصيرة فانية إلى حياة باقية سعيدة .

ثانياً : التوصيات :

على ضوء النتائج التي توصلت إليها الباحثة توصي بما يلي :

١- إن النفس الإنسانية من الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة والاستقصاء، فعلى الباحثين استخلاص نظرية شاملة عن النفس الإنسانية لنعرف كيف تكون في صحتها ومرضاها واستوائها وانحرافها، ونستثمر هذه المعرفة في معالجة هذه النفس على أساس سليم .

٢- ضرورة عمل سلسلة من الندوات تتعرض للآفات النفسية وماهيتها وأثارها الصحية والنفسية .

٣- ضرورة عناية علماء المسلمين بمبدأ الوقاية خير من العلاج وعمل برامج لذلك، تساعد في حل كثير من المشكلات النفسية كالقلق والاكتئاب والخوف والرعب واللامبالاة .

وبهذا أكون قد أنهيت بحثي مقرةً بضعفي وعدم إحاطتي، وأسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله قبولاً حسناً .

الفهارس

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية .
- ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
- ثالثاً : فهرس الأعلام .
- رابعاً : فهرس المصادر والمراجع .
- خامساً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
البقرة		
١٨٥	٢١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾
١٠٨	٣٨	﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
١٣٦	٤٤	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
٢١ - ١٢	٤٨	﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
٢٣	٥٤	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
٣١	٧٤	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾
١٠٤ - ١٠٠	٨٧	﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَتَّقُونَ﴾
١١٢	١١١	﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾
٢٠٨	١١٧	﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنِ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
٢٣	١٣٠	﴿وَمَنْ يَرْعُبْ عَن مَّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾
١٥	١٥٥	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾
١٨٧	١٨٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
١٨٧	١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٨٨	١٩٧	﴿الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾
٢١٠	٢٠٢-٢٠٠	﴿فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نُصِيبُ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
١٤٢-٩٨	٢٠٦-٢٠٤	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾
١٣١	٢١٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
١٧٣	٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
٢١٧	٢٢٩	﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾
٢١	٢٣٣	﴿لَا تُكَافُ نَفْسٌ إِلَّا بِسَعْيِهَا﴾
٨٥	٢٣٥	﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾
٩٦	٢٥٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ﴾
٩٦	٢٥٨	﴿أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ أَنَا أَحْيِي وَأَمِيتُ﴾
٤٤	٢٦٠	﴿وَلَكِن لَّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾
١٤٢	٢٦٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
١٦٨	٢٧٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَدَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٠١-٧٩	٢٨١	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
٣١	٢٨٣	﴿لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أِثْمٌ قَلْبِيهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾
آل عمران		
١٧٦	١٤	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾
٢٢	٢٨	﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾
٧٧-٨٠-٢٠١	٣٠	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾
١٧٧	٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
١٧٧	٣٢	﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾
١٥٦	٣٩	﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾
١٧٦	١٠٣	﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾
١٩١	١٠٤	﴿وَلَتَكُنَّ مَنَّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٣٣	١٠٦	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾
١٢١	١١٢	﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾
١٢٦	١١٨	﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صدورُهُمْ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٥٩	١١٩	﴿وَإِذَا لَفُوقُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾
١٥٧	١٣٤	﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٠٥	١٣٧	﴿فَدَخَلْتُ مِنَ قِبَلِكُمْ سُنَنًا فَمَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾
٢٠٧-١٩٤	١٤٣-١٤٠	﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ* وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾
١٢	١٤٥	﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا﴾
١٧١	١٤٨	﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٥٨	١٥١	﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾
٨٦	١٥٤	﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾
-١٥١ -٧٩ ٢٠٩	١٦٥	﴿أُولَئِكَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ أِنَّا قُلُوبٌ هَلْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٥٠	١٦٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
١٤٢ -١١٦	١٧٥	﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
٣٣-٣٢ -١٠	١٨٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
النساء		
٣٩-٢٢	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
١٧٣	١٨	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾
٢١٦	١٩	﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَىٰ أَنْ تَكَرَّهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
٨٢	٢٨	﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾
٢١٨	٣٦	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾
١٤٣	٣٩	﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾
١١٢	٤٩	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾
٨٨	٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
١٩٤	٧٤	﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
١٥-٢٣	٧٩	﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾
١٩٠	٩٥	﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
١٣٩	١٠٨	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ﴾
٩١	١١٧	﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾
١٢٩	١٢٠	﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨٣ - ٣٠	١٢٨	﴿وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾
١٧	١٣٥	﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾
١٤٢ - ١٤٠	١٤٢	﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
٣٤	١٧١	﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
المائدة		
١١٢	١٨	﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾
١٢٧	٢٧	﴿وَإِثْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَا يُقْبِلَ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لِأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
٤١ - ٢٤	٣٠	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
١٥	٣٢	﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾
١٩١	٣٥	﴿جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
٢١	٤٥	﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
٨٤	٥٢	﴿فِيصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾
١٧٦	٥٤	﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
٦٠	٨٢	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
١٧٠	٩٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بَشِيرًا مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَمَا حُكْمُ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلُهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
١٢	١١٦	﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٥٠	١١٩	﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾
١٧٦	١١٩	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾
الأنعام		
١٢٩	٧٠	﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾
٥٨	٨١	﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟﴾
٥٨-٥٧	٨٢	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
١٠-١١-٣٤-٢١	٩٣	﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾
٣٩	٩٨	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾
٧٩	١٠٤	﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾
١٣٥	١١٢	﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾
١١٩	١٥١	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ﴾
١٦٧	١٥١	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾
٧٩	١٦٤	﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾
الأعراف		
٢٠١	٦	﴿فَلْيَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْيَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾
١٥٤	١٢	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٦٩	٥٦-٥٥	﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٠٨	٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
١٠٠ - ٩٥	١٤٦	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾
١٦٠ - ١٥٤	١٥٠	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾
١٥٩	١٥١	﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾
١٧٨	١٦٧	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
٩٢ - ٣٢	١٧٩	﴿وَلَقَدْ نَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾
١٥٦-٨٦	٢٠٠	﴿وَأَمَّا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
الأنفال		
-١٧٧ - ١١٨ ١٨٤	٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
٢٠٦	٢٥	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ﴾
١٣٩ - ١٣٨	٤٧	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بِطَرَأٍ وَرَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾
٢١٢-٢٠٥	٥٣	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
١٤٩	٥٨	﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾
١٤٩	٥٩	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
التوبة		
٦٥	٦	﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾
١١٣	٢٥	﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾
١٩٤	٣٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾
١٩١ - ١٨٩	٤١	﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٢١١	٤٧	﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْعُونَكُم الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
٢٢	٥٥	﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾
١٨٧	١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾
١٩٤-١٩١	١١٢-١١١	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٨٨	١١٨	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾
٢٣	١٢٨	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ
يونس		
١٤٦	١١	﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨٠	٣٠	﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتِرُونَ﴾
٨٧-٨٠	٥٤	﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
٥٢	٥٧	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٣	٩٢	﴿الْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾
هود		
١٧١	٥٢	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾
يوسف		
١٧٧	٣٠	﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾
٢٢	٣٢	﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَنِي عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾
٤١-٢٤-١٥	٥٣	﴿وَمَا أَبرَأُ نَفْسِي إِن النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِن رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾
٢٤	٦٨	﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾
٨٩	٧٧	﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾
٨٥	٧٧	﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾
٤١	٨٣	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الرعد		
١٧ - ٢٣ - ٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢١٤ - ٢١٢	١١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾
١٨٢	١٧-١٥	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
١٧ - ٤٤ - ٥٧ - ٥٨	٢٨	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾
١٦٤ - ١٧١	٣٤	﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾
إبراهيم		
١٢١	٤٣	﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتَهُمْ هَوَاءً﴾
الحجر		
٣٤	٢٩	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾
١٧٨	٤٩ - ٥٠	﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾
٢٠١	٩٢ - ٩٣	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
١٨٥ - ١٨٢	٩٧ - ٩٩	﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾
النحل		
١٠٢	٤	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾
٥٢	٥ - ٦	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿جَمَالَ حِينَ ثَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾
١٥٠-٣٦	١٦	﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾
١٠١	٢٣	﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَخْبِرِينَ﴾
١٣٦	٩٦	﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾
٨١	٩٧	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
٣١	١٠٦	﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
٧٧-٧٦	١١١	﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
٢٠٧	١١٢	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾
٧٧	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
الإسراء		
١٤٩-١٤٨	١١	﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾
٢١٨	٢٤-٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾
٣٤-٢٣	٢٥	﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾
١١٩	٣١	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِمْلَاقٍ﴾
١٦٧	٣٢	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٩٩	٣٦	﴿وَلَا تَفْقُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
١٩٩	٣٧	﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَتَلَعَ الْجِبَالَ طُولًا﴾
٦٤	٤٦-٤٥	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾
١٩٩	٥٣	﴿قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾
١٧٩	٥٧	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾
٢٠٥	٧٧	﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾
٤٥	٨٥	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
٧٣	١٠٠	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا﴾
الكهف		
٢٢	٦	﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾
٨٩	٢٨	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾
١٩٨	٢٨	﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾
١٣٤	٣٦	﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾
٧٥	٥٤	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾
١٤٩	٥٨	﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿١١٠﴾
١٤٣-١٣٨	١١٠	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
مريم		
٤٧	٩	﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾
طه		
١٧٦	٣٩	﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾
٥٦	٤٦	﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾
١١٦	٦٧	﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾
٢١٤	٧٢	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَافْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
١٣٢	٨٢	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾
١٤٧	٨٣	﴿وَمَا أَغْجَلِكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾
١٤٧	٨٤	﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾
١٤٧	١١٤	﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾
١٠٨	١٢٣	﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾
٤٤	١٢٤	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾
٢١٧	١٣٢	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾
الأنبياء		

الصفحة	رقمها	الآية
١٤٧-١٤٦ ١٥٠-١٤٨	٣٧	﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾
١٥٤-١٥٨	٨٧	﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾
١٧٨	٩٠	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾
٢٠٧	١٠٥	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
الحج		
١٩٠-١٨٩	٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾
المؤمنون		
٥٣	١٦-١٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾
١٨٤	٤٧	﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾
١٧٨	٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾
١٠٦	٧١	﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾
١٣٥	٩٩	﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون﴾
النور		
١٧٤	٢٢	(وَلَا يَأْتَلِ أُولَئِ الْفِضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)
١٩٩	٣٠	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾
١٧٣	٣١	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢١٦	٣٢	﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
٢٠٨	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْقَاسِفُونَ﴾
٢٣	٦١	﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾
الفرقان		
٩٥	٢١	﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَفَدَّ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾
١٩٠	٥٢	﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾
٩٩	٦٠	﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنسَجِدَ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾
١٧٣	٧١	﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾
الشعراء		
٢١٤	٤١	﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرَآ إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ﴾
٢١٤	٤٤	﴿قَالِقُوا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَهُمْ وَقَالُوا بَعِزَّةٌ فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾
٩٠-٣١	٨٩	﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
٣٤	١٩٤-١٩٣	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾
٩٩-٩٦	٢١٥	﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
النمل		
٨٦-١٥	١٤	﴿وَجِدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾
القصص		

الصفحة	رقمها	الآية
٤١	١٥	﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾
٢٢	٣٣	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾
١٠٧	٥٠	﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعِيرٌ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
١٢٠	٥٧	﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٣٦	٧٧	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾
١١٠	٧٨	﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾
٩٦	٧٩	﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
١٠٢	٨٣	﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾
العنكبوت		
١٩٥ - ١٦	٦	﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾
١٨٥	١٦	﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾
١٨٩ - ١٨٠ - ١٩٠	٦٩	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
الروم		
٢٧ - ٥٥ - ٥٦	٨	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾
٥٣ - ٢٣	٢٣ - ٢٠	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ* وَمِنْ

الصفحة	رقمها	الآية
٢١٦-١٧٦		آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
٨٣	٥٤	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾
لقمان		
١٦	١٢	﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾
٥٨	١٣	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
٢١٨	١٤	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي غَامِيقٍ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾
٩٨	١٨	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾
١٣٠ - ١٢٩	٣٣	﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾
السجدة		
٦٧	٢	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٨٥	١٣	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾
الأحزاب		
٢٠١	٨	﴿لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
١٢١	١٩	﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾
٨٣	٧٢	﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾
فاطر		
١١١	٨	﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٨٨ - ٢٣	٨	﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾
١١٧	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
٢١٩	٤٣	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾
١٢٧	٤٣	﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾
ص		
٦٢	٧٢-٧١	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَاذَا سَوَّيْتُهُ وَتَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾
٩٩	٧٦	﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾
الزمر		
١٦٩	٢٠-١٥	﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مَنْ فَوْقَهُمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظِلٌّ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ * وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ * أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأنتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾
٦٦	٢٣	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾
٧١	٤١	﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾
٣٥-٣٤-١١	٤٢	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّافِسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾
١٦	٥٣	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٤٣ - ٨٩ - ١٩٩	٥٥	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ﴾
١٠١	٦٠	﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾
٤٧	٦٢	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
غافر		
٢٠٠	١٩	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾
١٣٦ - ١٠٠	٣٥	﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾
٩٥	٥٦	﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾
١٨٦	٦٠	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾
١١٠	٧٥	﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾
١٠١	٧٦	﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾
فصلت		
٧٦	٢١	﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾
٧٦	٢١	﴿أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
٦٥	٢٦	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾
١٥٧	٣٤	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
١٥٩	٣٥	﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
١٥٩	٣٦	﴿وَأَمَّا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
١٣١	٥٠	﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّئِهِ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلْيُنَبِّئَنِّي﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَاَلَّذِينَ قَتَلُوا نَفْسَهُمْ﴾
١١٤	٥١	﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾
٥٤	٥٢	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ تُمْ كَفْرُكُمْ بِهِ مَنْ أُضِلَّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾
٥٣ - ٥٢	٥٣	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾
الشورى		
١٦٠ - ١٥٥	٣٧	﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾
١١٢	٤٨	﴿وَإِنَّا إِذَا أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾
٣٤	٥٢	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾
الزخرف		
١٦٠	٥٥	﴿فَلَمَّا أَسْفَوْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾
الدخان		
٥٠	٥٦	﴿لَا يَدُوفُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾
الجاثية		
١٧٩	١٤	﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
٥٢	٢٠	﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾
٧٨	٢٢	﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٠٨ - ١٠٥	٢٣	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾
محمد		
١١٨	٢٠	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾
الفتح		
١٧	٤	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾
١٥٩	٢٦	﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٥٦	٢٩	﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾
٣٣	٢٩	﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾
الحجرات		
١٥٢ - ١٤٨	٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾
١٧٧ - ٣١	٧	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَيَّ الْإِيمَانُ وَرَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾
١٦٧	١٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾
١٩١	١٥	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا﴾
ق		
٢٠٠ - ٨٦	١٨-١٦	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا نُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ* إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾
الذاريات		
٥٤ - ٥٢	٢٠	﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٩-٢٦-٢٥	٢١	﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
٥٤	٢٢	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾
-١٦٤ -٢٧ ١٨٥ -١٨٣	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
النجم		
١٠٤	٢٣	﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾
١٣٤ -١٦	٣٢	﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾
الرحمن		
٥٣	٤-١	﴿الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾
٢٠٧	٢٩	﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
الواقعة		
٥٢	٧٣-٧١	﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاتًا لِلْمُقِيمِينَ﴾
الحديد		
٢٠٠ -٥٦	٤	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾
١٣١	١٤	﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَامِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾
٢٨	٢١	﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾
المجادلة		
٦٣	٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمَصِيرَ﴾
٨٧	١٩	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٣٤	٢٢	﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾
الحشر		
٣٠-١٥ ١٦٥	٩	﴿يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
١٩٦-٨٠ ١٩٩	١٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
٦٤	٢١	﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾
الصف		
١٣٦	٣-٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبِيرٌ مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
المنافقون		
١٩٥	٨	﴿وَاللَّهِ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
التغابن		
٥٧-٣١	١١	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾
الطلاق		
٢٠٠	٨	﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسَلَهُ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَبْنَاهَا عَذَابًا نُخْرًا﴾
التحريم		
٢١٧	٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
١٧٤-١٧٢	٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾
١٥٦	٩	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الملك		
٣٠	١٤	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
القلم		
١٢٥	٥١	﴿وَأَن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلْفُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾
المعارج		
١٦٦ - ٨٤	١٩	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾
١٦٦	٢٣-٢٢	﴿إِنَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾
١٦٦	٢٥-٢٤	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾
١٦٦	٢٨-٢٦	﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾
١٦٦	٣٠-٢٩	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾
١٦٧	٣٣-٣٢	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾
١٦٧	٣٤	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾
١٦٧	٣٥	﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّتٍ مُّكْرَمُونَ﴾
نوح		
١٧١	١٢-١٠	﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾
١٧٩ - ١٧١	١٣	﴿مَا لَكُمْ لَّا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾
المزمل		

الصفحة	رقمها	الآية
١٤٩	١٠	﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾
المدثر		
٨٠	٣٨	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾
القيامة		
-٤١ - ١٥ -٥٢ - ٤٣ ١٩٧	٢	﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ *﴾
١٤٨	١٧-١٦	﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾
الإنسان		
٤٧	١	﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾
٧٣	٢	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
٧٣ - ٧١	٣	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
١٦٤	١١	﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾
المرسلات		
١١١	٢٢	﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾
النبأ		
٤٣	٤٠	﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ثَرَابًا﴾
النازعات		
٩٩	٢٤	﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
-١٠٦ - ١٠٤ ١٨٣ - ١٠٨	٤١-٣٧	﴿فَأَمَّا مَنْ طَعَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

الصفحة	رقمها	الآية
التكوير		
١٥	٧	﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾
الانفطار		
٢٠٦-١٣٤	٨-٦	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾
الانشقاق		
٢٠٠	٩-٧	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا* وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مُسْرُورًا﴾
الأعلى		
٥٠	١٣	﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾
١٣٦	١٧	﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾
الفجر		
١٧٧	٢٠	﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾
٤٤-٢٠-١٥	٢٧	﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾
البلد		
٥٣	٩-٨	﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾
٧٤-٧٢-١٢	١٠	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾
الشمس		
-٣٠-١٢ -٥٢-٤٠ -٧٣-٦٢ ١٩١	١٠-٧	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾
التين		

الصفحة	رقمها	الآية
٧٤-٧١	٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾
العلق		
٣٠	٥	﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
البينة		
١٤٣ - ١٣٨	٥	﴿وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾
قريش		
١٢٠ - ١١٦	٤	﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾
الفلق		
١٢٤	٥-١	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾
الناس		
١٩٧	٥-٤	﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	طرف الحديث	الصفحة
١	أَلَمْ تَرَوْا الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَخَّصَ بَصِيرَهُ	٢٣
٢	أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه	٤٠
٣	ألا أنبئكم بشراكم؟ فقال: هم الثرثارون المتشدقون	٩٧
٤	أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها	١٠٧
٥	ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله	١٦٣
٦	أخذ بنفسي يا رسول الله الذي أخذ بنفسك	٣٤
٧	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ	٣٠
٨	إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ	٣٢
٩	إِنَّ فِي ابْنِ آدَمَ نَفْسًا وَرَوْحًا بَيْنَهُمَا مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ	٣٤
١٠	إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها	٣٤
١١	العز إزاره، والكبرياء رداءه، فمن ينازعني عذبتة	٩٩
١٢	إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه	١٠٦
١٣	إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية	١١٦
١٤	اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمخاربة	١٤١
١٥	إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار	١٧٣
١٦	إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	١٧٤
١٧	إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل	١٧٦
١٨	المجاهد من جاهد نفسه في الله	١٨٨
١٩	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب	٢٠٥
٢٠	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به	٢١٧
٢١	بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبتة نفسه، فحسف الله به الأرض	١١٢
٢٢	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُرَكِّبهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم	٩٦

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٣	ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه	١١٢
٢٤	ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما	١٧٥
٢٥	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا	١٨٢
٢٦	قال: (لا تغضب) فردد عليه مراراً قال (لا تغضب)	١٥٩
٢٧	قال: لما نزلت (و لم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال أصحابه : وأينا لم يظلم ؟	٥٧
٢٨	كَانَ النَّاسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعُونَ الثَّمَارَ فَإِذَا جَدَّ النَّاسُ وَحَضَرَ تَقَاضِيهِمْ	٨
٢٩	كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه ب (قل هو الله أحد وبالمعوذتين)	١٢٣
٣٠	لا تستطيعون فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول : لا تستطيعون	١٩١
٣١	لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا	٩٧
٣٢	لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر	٩٤
٣٣	لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ	٢٣
٣٤	لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد، ولو يعلم الكافر	١٧٧
٣٥	ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب	١٥٨
٣٦	ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه	٧٢
٣٧	ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك	١٦٣
٣٨	من سره أن يُتمثل له الرجال قياماً، فليتبو مقعده من النار	٩٧
٣٩	من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، وعنده قوت يومه	١١٦
٤٠	من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً	١٨٤
٤١	نعمتان مجحودتان وفي رواية "مغبون فيهما كثير من الناس" الصحة في الأبدان، والفراغ	٥٨
٤٢	والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس	٧٣
٤٣	ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا	١٢٤
٤٤	ولا يجتمعان في خوف قلب عبد الإيمان والحسد	١٢٤
٤٥	يأبها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم والليلة إليه مئة مرة	١٧٢

الصفحة	طرف الحديث	م
٣٥	يأيها الناس إن الله قبض أرواحنا ولو شاء ردها إلينا في حين غير هذا	٤٦
١٨٥	يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها	٤٧
٢١٥	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر	٤٨
١٣٨	يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي	٤٩
٥٢	يأتي شيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟	٥٠

ثالثاً : فهرس الأعلام

صفحة	الاسم	م
١٩٩	أبو عبد الله السعدي .	١
١٤٢	أبو عبد الله المروزي .	٢
٢٨	أبو حامد الغزالي .	٣
١٨٨	أبو قاسم الأصفهاني .	٤
١٨٨	أبو محمد الحجازي (السدي).	٥
١٠٦	أبو الدرداء .	٦
٤٩	أبو البقاء .	٧
١٠٤	الشعبي .	٨
١٤٢	الأصمعي .	٩
٣١	الماوردي .	١٠
١١٣	بشر بن منصور .	١١
١٤٢	طاهر بن الحسين .	١٢
١٨٨	فضالة بن عبيد .	١٣
١١٣	مطرف بن عبد الله .	١٤
١٩٨	ميمون بن مهران .	١٥
٤٨	ابن باجه الأندلسي	١٦
٤٩	ابن سينا	١٧
٩٠	ابو طالب المكي	١٨

رابعاً : فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ، المؤلف فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- ٣- إحياء علوم الدين ، تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، المتوفى ٥٠٥هـ ، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، المتوفى ٨٠٦م ، المكتبة التجارية الكبرى .
- ٤- الأخلاق الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حنبكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
- ٥- أدب الدنيا والدين ، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيبي الماوردي البصري (٤٦٤-٤٥٠هـ) ، حققه ووضع فهارسه ياسين محمد السوسي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت .
- ٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تفسير أبي السعود القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، المتوفى ٩٨٢هـ ، خرج أحاديثه وعلق عليه وضبط نصه ووضع فهارسه الشيخ محمد صبحي حسن حلاق ، إشراف مكتبة البحوث والدراسات ، دار الفكر .
- ٧- الإرشاد النفسي الديني ، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية ، الدكتور أسامة عطية المزيني .
- ٨- الأساس في التفسير ، سعيد حوى -رحمه الله- ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
- ٩- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، المؤلف عبد الرحمن النحلوي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
- ١٠- أصول علم النفس الحديث ، د فرج عبد القادر طه، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- ١١- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين خير الدين الزركلي ، ١٩٩٨م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .

- ١٢- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان ، مؤسسة جمال ، بيروت ، لبنان ، تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير ابن قيم الجوزية ٦٩١-٧٥١هـ ، الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ-١٩٦١م .
- ١٣- آفات على الطريق ، د. السيد محمد نوح ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة السابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
- ١٤- أمراض النفس وعلاجها بالذكر ، إعداد آمال سعدي قطينة ، إصدارات جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، دار مكتبة الحامد ٢٠٠٣م ، عمان ، الأردن .
- ١٥- الإيمان والحياة ، الدكتور يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السادسة ١٤١١هـ-١٩٨١م .
- ١٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، المتوفى ٨١٧هـ ، تحقيق الأستاذ عبد الحليم الطحاوي، الكتاب الرابع القاهرة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .
- ١٧- البيان في إعجاز القرآن علوم القرآن وأصول التفسير دار عمار، عمان - الأردن، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .
- ١٨- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي تأليف محمد عز الدين توفيق ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .
- ١٩- التحرير والتوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .
- ٢٠- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى ٧٩١هـ ، حققه وبين الأحاديث الموضوعية والضعيفة والإسرائيليات فيه الشيخ عبد القادر عرفات العشاء حسونة ، إشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٢١- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى ٣٧٥هـ ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الدكتور زكريا عبد المجيد النواتي ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- ٢٢- تفسير القرآن العظيم، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، هذه النسخة موافقة لطبعة الشيخ الألباني ٧٠١-٧٧٤ هـ ، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
- ٢٣- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، الطبعة الثانية ، الناشر دار الكتب العلمية ، طهران .
- ٢٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م
- ٢٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، فضيلة الدكتور محمد السيد طنطاوي ، الأستاذ بكلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٠٧هـ-١٣٧٦هـ -رحمه الله- ، قدم له فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٢٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، المتوفى ٣١٠هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٢٨- الجامع لأحكام القرآن ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .
- ٢٩- حتى يغيروا ما بأنفسهم ، المؤلف جودت سعيد ، تقديم مالك بن نبي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، دار الثقافة للجميع .
- ٣٠- حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا سجلها وأعداها للنشر أحمد عيسى عاشور ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع .
- ٣١- خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن ، وليد عبد الله زريق ، دراسات عليا في التربية وعلم النفس ، مطبعة اللداوي ، دمشق ١٩٩٦م ، دار الكتاب العربي ، دمشق - القاهرة - حلب .
- ٣٢- الدر المنثور في التفسير المأثور ، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، طبعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
- ٣٣- دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ، الدكتور توفيق محمد عز الدين ، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة ، بدون طبعة .

- ٣٤- الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للشيخ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني -رحمه الله -، دار البياز للنشر والتوزيع ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
- ٣٥- ذم الهوى ، تأليف الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام أبي فرج علي الجوزي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى ١٢٧هـ ، قرأه وصححه محمد حسين العرب دون طبعة ، إشراف هيئة البحوث للدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- ٣٧- زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، الإمام ابن قيم الجوزية ، الطبعة المصرية ، ومكنتها .
- ٣٨- سلسلة أعمال القلوب ، الشيخ محمد صالح المنجد ، دار الفجر للتراث ، طبعة أولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، اعتنى بها قسم التحقيق بمركز الدكتور عبد الوارث الحداد للبحث العلمي .
- ٣٩- السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر ، د. عبد المجيد سيد أحمد منصور ، د. زكريا أحمد الشربيني ، د. إسماعيل محمد الفقي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ٢٠٠٢م .
- ٤٠- سنن ابن ماجة ، تصنيف أبي عبدالله بن يزيد الشهير بابن ماجة ٢٠٩-٢٧٣هـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
- ٤١- سنن أبي داود ، تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعبي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .
- ٤٢- سنن الترمذي للإمام الحافظ محمد بن عيسى الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى .
- ٤٣- سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي (٢١٥-٣٠٣هـ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى .
- ٤٤- سير أعلام النبلاء ، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ-١٣٧٤م ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه مؤسسة الرسالة، ناشرون شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوس، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

- ٤٥- السيرة النبوية ، ابن هشام ، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وعبد الحفيظ شلبي وإبراهيم البياري وآخرون ، طبعة جديدة مصححة وملونة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
- ٤٦- الشخصية الإنسانية في الفكر الإسلامي ، نزار العاني، عمان ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، طبعة ١٩٩٥م .
- ٤٧- صحيح البخاري للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ - رحمه الله- طبعة دار الأرقم بن أبي الأرقم للنشر .
- ٤٨- صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ رحمه الله ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، لبنان ، بيروت .
- ٤٩- طريق النجاة ، دستور إسلامي للداعية المسلم محمد عبد الفتاح عفيفي إمام وخطيب مسجد عمر مكرم ، دار الاعتصام بدون طبعة .
- ٥٠- العبادة في الإسلام ، الدكتور يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .
- ٥١- العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، أشرف على طبعتها الأستاذ أحمد شاکر ، نشر زكريا علي يوسف ، مطبعة الامتياز .
- ٥٢- علم النفس التربوي ، د. شادية أحمد التل ، عمان ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٥٣- علم نفس الدعوة ، تأليف دكتور محمد زين الهادي أستاذ الدعوة والإعلام بمعهد السلطان قابوس للدراسات الإسلامية ، الناشر الدار المصرية اللبنانية .
- ٥٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، معجم معاني كلمات القرآن الكريم ، تأليف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي الشافعي ، المعروف بالسمين ، المتوفى سنة ٧٥٦هـ ، تحقيق محمود محمد السيد الدغيم ، صورة المخطوطة المحفوظة في خزانة مكتبة نور عثمانية في اصطنبول ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- ٥٥- العين ، أبي عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

- ٥٦- فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- ٥٧- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، المتوفى ١٢٥٥هـ ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ٥٨- الفلسفة الإسلامية وبناء الإنسان المعاصر ، ١٩٩٧م ، أ.د. عبد اللطيف العبد ، رئيس قسم الفلسفة الإسلامية ، أ.د. حامد طاهر ، عميد كلية العلوم .
- ٥٩- الفوائد ، الإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق حامد محمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
- ٦٠- في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، محمود قاسم ، الإنجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٩م .
- ٦١- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، دار الشروق .
- ٦٢- القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت ، دون طبعة .
- ٦٣- القرآن والطبائع النفسية ، علي حسن العماري ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر والإعلانات ، مطابع شركة الشرقية .
- ٦٤- القرآن وعلم النفس ، الدكتور محمد عثمان نجاتي أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة وجامعة الكويت وجامعة الإمام محمد بن سعود والإسلامي سابقاً ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
- ٦٥- كتاب التسهيل لعلم التنزيل ، للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م .
- ٦٦- كتاب الروح، الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١هـ ، خرج أحاديثه وعلق عليها ، وحققه وخرج أحاديثه محمد محمد تامر ، مدرس مساعد بكلية دار العلوم ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

- ٦٧- كتاب الموطأ ، الإمام مالك بن أنس المتوفى ١٧٩٠هـ برواية يحيى بن يحيى بن كثير المتوفى ٢٤٣هـ ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، بيروت ، لبنان .
- ٦٨- كتاب دراسات في النفس الإنسانية ، الدكتور محمد قطب ، دار الشروق ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .
- ٦٩- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأويل أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون طبعة .
- ٧٠- الكليات ، أبي البقاء أيوب بن حسين موسى الحسيني ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أعده للطبع ووضع نهايته د. عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة .
- ٧١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ترتيب العلامة علاء الدين علي المتقي الهندي توفي ٩٧٠هـ ، طبعة بيت الأفكار الدولية .
- ٧٢- لسان العرب ، الإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري ، الإفريقي المصري ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٧٣- مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة ، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ، رئيس التحرير محمد بن سعد الشويعر ، العدد ١٧ ، دار أولي النهى .
- ٧٤- مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - رحمه الله- راجعه وحققه لجنة من علماء العربية ، عني بترتيبه محمود خاطر ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، دار مكتبة الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا .
- ٧٥- مختصر منهاج القاصدين ، تأليف الإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي علق عليه شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة علوم القرآن ، ١٩٨٢م ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م .
- ٧٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، الإمام السلفي العلامة المحقق أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ٦٩١هـ-٧٥١هـ

- رحمه الله - تحقيق عماد عامر ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٧٧- المستخلص في تركية الأنفس ، نظرية متكاملة في تركية النفوس ، تأليف سعيد حوى ، دار السلامة للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- ٧٨- المستدرك على الصحيحين ، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد الحاكم النيسابوري المتوفى ٤٠٥هـ ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- ٧٩- مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية ، الدكتور عبد الرحمن واصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي .
- ٨٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفى ٧٧٠هـ ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف .
- ٨١- معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٠هـ ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٨٢- معجزة القرآن ، الكتاب الأول ، محمد متولي الشعراوي ، مكتبة دار التراث الإسلامي القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .
- ٨٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، محمد فؤاد عبد الباقي .
- ٨٤- معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المتوفى ٣٩٥هـ ، دار الفكر للطباعة .
- ٨٥- مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى ٥٠٣هـ ، ضبطه وحققه وخرج آياته وشواهد إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- ٨٦- من علم النفس القرآني، الطبعة الأولى، تشرين الأول أكتوبر ١٩٨٧م ، دار العلم للملايين ، د.عدنان الشريف.

- ٨٧- منهج التغيير الإسلامي ، دراسة تطبيقية لمنهج التغيير الإسلامي في عهد عمر بن عبد العزيز ، نافذ سليمان الجعب ، ماجستير أصول التربية ، تقديم الدكتور حمدان عبد الله الصوفي، الجامعة الإسلامية غزة، قسم أصول التربية ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- ٨٨- منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ، الدكتور محمد السيد يوسف المدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .
- ٨٩- الموسوعة الإسلامية العامة، إشراف الدكتور محمد حمدي زقزوق، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- ٩٠- نحو علم نفس إسلامي، الدكتور حسن محمد الشرقاوي ، تقديم الإمام الأكبر ، د. عبد الحلیم محمود ، الكاتب الكبير د. مصطفى محمود ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، ١٩٨٤م .
- ٩١- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، الإمام الحافظ الفقيه محيي الدين يحيى النووي ٦٧٦هـ ، الدكتور مصطفى سعيد الخن ومعه آخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة عشرة ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
- ٩٢- نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ، تأليف عز الدين إسماعيل ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
- ٩٣- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ، تأليف د. راجح الكردي ، الكتاب الثاني (طبيعة المعرفة) ربانية المعرفة وموقفها من المثالية والواقعية ، تأليف د. راجح عبد الحميد الكردي أستاذ العقيدة والفلسفة ، كلية الشريعة ، الجامعة الأردنية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، العبدلي ، عمارة جوهرة القدس ٢٠٠٤م .
- ٩٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى ٨٨٥هـ ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه ، عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- ٩٥- النكت والعيون، تفسير الماوردي ، تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ٣٦٤هـ-٤٥٠هـ ، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

خامساً : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	إهداء
ب	شكر وتقدير
ج	ملخص الرسالة بالعربية
د	ملخص الرسالة بالإنكليزية
١	مقدمة
٨	التمهيد:
٩	المبحث الأول: آفات النفس بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية
١٣	المبحث الثاني: لفظة النفس في السياق القرآني
الفصل الأول	
النفس البشرية في ضوء القرآن الكريم	
١٩	المبحث الأول: مفهوم النفس في ضوء القرآن الكريم .
٢٠	المطلب الأول: معاني النفس في القرآن الكريم.
٢٤	المطلب الثاني: معرفة الإنسان حقيقة نفسه في ضوء القرآن الكريم
٢٩	المطلب الثالث: علاقة النفس بالروح والقلب والعقل و الجسد في ضوء القرآن.
٣٧	المبحث الثاني: معالم النفس في القرآن الكريم .
٣٨	المطلب الأول: أنواع النفس البشرية.
٤٤	المطلب الثاني: النفس البشرية عند الفلاسفة.
٤٧	المطلب الثالث: عناية علماء الإسلام بالنفس البشرية.
٥٠	المبحث الثالث: الإعجاز النفسي في القرآن الكريم .
٥١	المطلب الأول: آيات الله في الأنفس.
٥٧	المطلب الثاني: أثر القرآن في الأمن النفسي.
٦٠	المطلب الثالث: وجوه إعجاز القرآن في حديثه عن النفس.
٦٤	المطلب الرابع: أثر سماع القرآن في النفس.
الفصل الثاني	
صفات النفس الإنسانية	
٦٩	المبحث الأول: كسب النفس للخير والشر وجدالها وجزاؤها .
٧٠	المطلب الأول: كسب النفس للخير والشر.
٧٤	المطلب الثاني: جدال النفس.
٧٦	المطلب الثالث: جزاء النفس.

الصفحة	الموضوع
٨١	المبحث الثاني: صفات النفس الإنسانية .
الفصل الثالث آفات وآثارها في القراءان الكريم	
٩٣	المبحث الأول : آفة الاستكبار .
٩٤	المطلب الأول : تعريف الاستكبار .
٩٥	المطلب الثاني : أسباب الاستكبار
٩٦	المطلب الثالث : صفات المستكبر والأعمال التي تعد من الكبر.
٩٩	المطلب الرابع: أثر الاستكبار على النفس البشرية.
١٠٢	المبحث الثاني : آفة الهوى .
١٠٣	المطلب الأول : تعريف الهوى .
١٠٤	المطلب الثاني : أسباب الهوى.
١٠٦	المطلب الثالث : أثر الهوى على النفس البشرية.
١٠٨	المبحث الثالث : آفة العجب .
١٠٩	المطلب الأول : تعريف العجب.
١٠٩	المطلب الثاني : أسباب العجب.
١١٠	المطلب الثالث : مظاهر العجب
١١١	المطلب الرابع: أثر العجب على النفس.
١١٤	المبحث الرابع : آفة الخوف .
١١٥	المطلب الأول : تعريف الخوف.
١١٧	المطلب الثاني : أقسام الخوف.
١١٩	المطلب الثالث : أسباب الخوف
١٢٠	المطلب الرابع: أثر الخوف على النفس.
١٢٢	المبحث الخامس : آفة الحسد .
١٢٣	المطلب الأول : تعريف الحسد.
١٢٤	المطلب الثاني : أسباب الحسد.
١٢٦	المطلب الثالث : أثر الحسد على النفس.
١٢٧	المبحث السادس : آفة الغرور .
١٢٨	المطلب الأول : تعريف الغرور.

الصفحة	الموضوع
١٢٨	المطلب الثاني: أصناف المغترين.
١٣٢	المطلب الثالث : مظاهر الغرور.
١٣٤	المطلب الرابع: أثر الغرور على النفس.
١٣٦	المبحث السابع : آفة الرياء .
١٣٧	المطلب الأول: تعريف الرياء.
١٣٨	المطلب الثاني: أسباب الرياء.
١٣٨	المطلب الثالث : أنواع الرياء.
١٤٠	المطلب الرابع: أثر الرياء على النفس.
١٤٤	المبحث الثامن : آفة العجلة .
١٤٥	المطلب الأول: تعريف العجلة.
١٤٦	المطلب الثاني: حقيقة العجلة.
١٤٧	المطلب الثالث : أسباب العجلة.
١٥٠	المطلب الرابع: أثر العجلة على النفس.
١٥٢	المبحث التاسع : آفة الغضب
١٥٣	المطلب الأول: تعريف الغضب.
١٥٤	المطلب الثاني: حقيقة الغضب.
١٥٥	المطلب الثالث : أسباب الغضب.
١٥٧	المطلب الرابع: أثر الغضب على النفس.
الفصل الرابع	
منهج القراءن الكريم في تركية النفس البشرية	
١٦٣	المبحث الأول : التربية الإيمانية .
١٦٣	المطلب الأول : اعتماد المنهج القراءني على الوقاية.
١٦٧	المطلب الثاني: الترغيب والترهيب.
١٧١	المطلب الثالث: تجديد النفس بالتوبة.
١٧٤	المطلب الرابع: تربية عواطف المحبة والخوف والرجاء.
١٨٠	المبحث الثاني: ضبط الشهوات والاندفاعات النفسية.
١٨١	المطلب الأول: تهديب النفس بالعبودية لله تعالى.
١٨٨	المطلب الثاني: الجهاد في سبيل الله.
١٩٥	المطلب الثالث: محاسبة النفس وتذكر عيوبها.
٢٠٣	المبحث الثالث: التغيير من وحي القراءن الكريم.
٢٠٤	المطلب الأول : قاعدة القراءن الكريم في التغيير النفسي.

الصفحة	الموضوع
٢٠٩	المطلب الثاني: كيفية التغيير.
٢٢٠	الخاتمة
٢٢٢	الفهارس
٢٢٣	فهرس الآيات القرآنية
٢٥١	فهرس الأحاديث النبوية
٢٥٤	فهرس الأعلام
٢٥٥	فهرس المصادر والمراجع
٢٦٤	فهرس الموضوعات